TEXT CROSS WITHIN THE BOOK ONLY

تاريخ الفلاسفة

ترجمه

من اللغة الفرنساوية الى اللغة العربية

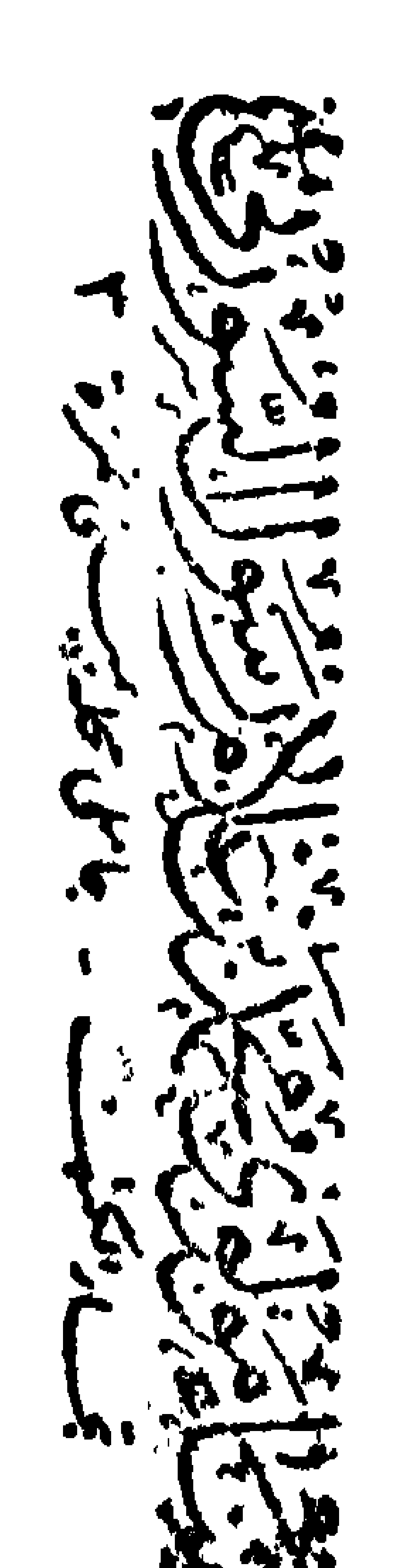
الكاتب اللوذعى * اللبيب الاريب الالمعى * السيد عبدالله
افندى نجل حسين افندى المصرى

الطبعة الثانية

نقلت من النسخة المطبوعة فى مصر فى سنة ١٢٥٢

طبعت برخصة نظارة المعارف الجليلة

طبع فى مطبعة الجوائب
قسطنطينية
١٣٠٢



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نوع اصناف الخلائق * وجعلهم مختلفين فى العوائد والخلائق * وجعل فلاسفة اليونان اشهر الفلاسفه * وحكماءهم مشاهير الحكماء بلا سفه * أوليس ان منهم من وضع الطب والميقات * والرياضيات والطبيعيات * فهل ينكر احد معارف افلاطون وسقراط * ولطائف مهارة ارسطاليس وبقراط * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاء دينه بالعمل بمقتضى الاخبار الجميله * والآثار الجليله * وحفظت شريعته من احكام الاوائل كل فضيله * وتنزهت عن كل رذيله * وعلى آله الذين ازالوا الشبه والضلالات * وايدوا دينه بالآيات الباهرات * ﴿اما بعد﴾ فيقول المتوسل بسيد اهل الخافقين * عبدالله بن حسين * لما تعلقت همة وزير مصر الاعظم * وعزيزها المفخم * صاحب العز الاكبر * الذى يعجز عنه امثال كسرى وقيصر * باحياء ممالكه الاسلاميه * واخراجها من حيز الجهالة الى حيز العلميه * بذل فى ذلك الجهد التام * وارسل الى الديار الافرنجية عدة شاع امرهم فى الانام * فحصلوا قدرا جسيما من اللغات والفنون * وجلب لهم كتب العلوم * وصار يترجمها المترجمون * وكنت من جملة من تعلم اللغة الفرنساوية على قدر الحال فاردت ان اصرف همتى فى كسب رضاء الخديوى

الاكرم

الاكرم * الذى احسن الىّ بحسن التربية وانعم * فشرعت فى ترجمة تاريخ فلاسفة اليونان * حيث انه عند الافرنج عظيم الشان * وكنت وقت ترجمته بمدرسة الالسنة بالازبكيه * فاستعنت فى مشكلات الكتاب وتحرير ترجمته بمدير تلك المدرسة البهيه * كما ان المدرسين بها اعتنوا بتصحيحه * واجتهدوا فى تهذيبه وتنقيحه * وقد اهديت هذا الكتاب الفائق * ذا المنهل الرائق * المشتمل على الدرر النفائس * لحضرة البيك ناظر عموم المدارس * حفظه مولاه * ولكل خير اولاه * وهذا اوان الشروع فى التعريب * فاقول مستمدا من القريب المجيب *



هذا مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة

طاليس الفيلسوف

طاليس المليطى ولد فى السنة الاولى من الاولمبياد الخامس والثلاثين اى قبل الميلاد بنحو ستمائة واربعين سنة لان الاولمبياد دور مدته اربع سنوات وتوفى فى الاولمبياد الثامن والخمسين وعمره ثنتان وتسعون سنة وطاليس هذا من ذرية قورموس بن اوجنور من اهالى بلاد الصور من اعمال الشام وكان سبب انتقال اهله لمليطة التى ولد فيها طاليس جور ظلمة ملوك بلادهم حتى على صلحاء الناس وحتى على اهل ذلك الفيلسوف فلما اهانوهم خرجوا من بلادهم الشامية واقاموا بمملكة مليطة اليونانية وهذه المدينة من مدن يونيا التى ولد فيها طاليس فى السنة الاولى من الاولمبياد السابق وكان اول من استحق ان يلقب باسم الحكيم بل كان اعظم مؤلفى الفلسفة المسماة يونانية نسبة للمملكة التى بها ميلاده ومكث مدة من الزمان فى منصب الاقضية والاحكام وبعد ان قضى ذلك على وجه حسن مناسب لاصول المصلحة حملته الرغبة فى البحث عن اسرار الكائنات على ترك خدمة المصلحة العامة المتعلقة بالمملكة فتوجه الى بر مصر الذى كان مشهورا بالعلوم حينئذ ومكث مدة من السنين يمارس علماء البلاد وهم القسيسون فتعلم اصول ديانتهم وكان معتنيا بسائر العلوم مجتهدا فيها لا سيما فى علم الهندسة وعلم الاسترونومية يعنى علم الهيئة وكان لا يكتفى بمعلم واحد بل كان يتحيل على جميع الحكماء المصريين فى التلقى عنهم مدة اقامته عندهم وكان لا يبنى المعارف فى الفلسفة الا على التجربة مع وفور العقل والتدبير ومن ثم كان قليل التكلم كثير التفكر وكان لا يعتنى بمصلحة نفسه بل لا يعتنى الا بالامور التى تتعلق بالبلاد عموما فهى عنده مقدمة وقال بعض المؤلفين ان بعض الحكماء كان يرى ان اخذ الثار احب اليه من جميع لذات الدنيا ولكن هذا الرأى بعيد جدا من مذهب اكرسيب ومن اين جانب طاليس ولما رجع طاليس الى بلده

المسماة

المسماة مليطة اعتكف فى خلوة عظيمة ولم يشغل فكره الا بالامور العلوية والسماوية يعنى علم النجوم والهيئة وما اشبه ذلك وحمله حب الخلوة والحكمة على اختيار الوحدة وترك الزواج وكان عمره فى ذلك الوقت ثلاثا وعشرين سنة فاشارت عليه امه اقلوبواين بالتزوج ومخالطة الناس فقال لها ان الانسان فى صغر سنه لا يليق به الزواج وفى كبر سنه يفوت عنده اوان الزواج وبين هذين الاجلين لا ينبغى له ان يختار زوجة وقال بعض الناس انه تزوج فى آخر عمره بامرأة مصرية صاحبة معارف مؤلفة لجملة من الكتب العظام واتفق لبعض غرباء مملكة مليطة انهم عدوا الى الجزيرة اليونانية المسماة « قو » وتسمى الآن جزيرة استنكوى واشتروا من بعض الصيادين النصيب الذى يخرج فى الشبكة بان يقول المشترى للصياد كل ما خرج فى هذه الرمية يكون لى بكذا فرمى الصياد الشبكة فخرج فيها كرسى من الذهب الاكسير له ثلاث قوائم فقيل فى شأنه ان هيلانة ام اليونان كانت اتت من مدينة « ترواه » مرة وألقت ذلك الكرسى فى هذا المحل باشارة بعض الكهنة عليها فحصلت مشاجرة بين الذى معه الكرسى وبين الغرباء وبقية الصيادين ودخل فى تلك المشاجرة اهل المدائن اليونانية واشتد الشر بين جميع اهل المدائن حتى كاد ان يقع بينهم حرب شديد ثم اتفق جميعهم على تحكيم الوحى اى الكاهن فارسلوا الكاهن دلفيس وحكموه فى ذلك فحكم بان الكرسى يعطى للحكيم الاول يعنى لاعظم الحكماء فعند ذلك ارسلوه الى طاليس فلم يرض به وارسله الى بياس وبياس ارسله الى واحد آخر تواضعا منه وهذا الآخر ارسله الى واحد فارسله الى سولون فقال سولون لا يوجد احد اعظم من صاحب الكهانة فارسله الى دلفيس فوهبه دلفيس لصنمة الشمس واعترض بعض الناس من مملكة مليطة على طاليس وقال ان علومه لا تنفع لكونها لم تخرجه عن حيز الفقر والمسكنة فقال طاليس ان اهل العقول لا يحبون جمع المال الكثير بل يحتقرون وصف الغنى وانما يحبون اكتساب العلوم والمعارف التى لا تتولد منها حادثة مضرة ولم

يزل مفكرا فى ما قيل له حتى علم بشدة فطنته فى الاسترونومية اى علم الهيئة بالقحط فاخبر ان السنة القابلة تكون مجدبة جدا فاشترى جميع ثمار الزيتون التى كانت موجودة حول مملكة مليطة قبل اوان ظهورها فحملت الاشجار بثمار كثيرة جدا وحصل منها ربح عظيم ولكن لما كان طاليس منزها عن الطمع بالكلية قسم جميع ما ربحه فى تلك السنة على جميع تجار مليطة وكان طاليس يحمد الله على ثلاثة اشياء حيث جعله من العقلاء دون البهائم ومن الرجال دون النساء ومن الروم دون البربر اى الاعجام وكان يزعم ان العالم لا اول له ولا آخر له وانه يرى فى جميع ازمنته على حالته التى هو عليها الآن وكان اول من قال من الروم ان الارواح غير فانية بل هى ازلية ابدية ودخل عليه رجل من اهل مليطة فى بعض الايام وسأله هل يمكن ان تخفى اسرارنا على الاله فقال له طاليس لا تظنن هذا ابدا لان جميع الاسرار الخفية لا تخفى على الاله العليم وكان يقول ان اكبر الاشياء فى الدنيا المكان لانه مشتمل على جميع الموجودات وان اقوى البواعث الحاجة لان الانسان يقطع دونها كل مشقة حتى يدرك غرضه واسرع الاشياء العقل لانه فى طرفة عين يمكنه ان يطوف بالكون كله واحكم ما يكون الزمن لانه يظهر جميع الامور الخفية ولكن اعظم من هذا كله وألطف منه عمل الانسان بما يليق بعقله وكان كثيرا ما يقول ان كثرة الكلام ليست من شأن العقلاء وانه يلزم تذكر الاحباب فى حال حضورهم وغيابهم على حد سواء وانه يجب على الانسان بر والديه واعانته لهما لاجل ان يجازى بذلك فى كبره فتشد ذريته ظهره عند ضعف قواه الذى هو اصعب الاشياء وكان يقول ان الذى يسلينا عند حلول المصيبة من احد علمنا بان الذى اذا نابها هو اشقى منا واسوأ حالا منا وكان يقول ان الامر الذى تلوم اخاك على فعله لا ينبغى لك ان تفعله بنفسك وان السعادة الحقيقية هى تمتع الانسان بالعافية وان يكون عنده رزق الكفاف وان لا يضيع عمره فى الجهل والجبن وكان يقول انه لا شئ اصعب على الانسان من معرفة حقيقة نفسه فهو الذى اخترع هذه الحكمة العظيمة الآتية

الآتية وكتبها على رق من الذهب وعلقه فى هيكل الشمس وهى هل انت ايها العالم تعرف حقيقة نفسك وكان يزعم ان الموت والحياة مستويان دائما فسئل لاى سبب لم تقتل نفسك فاجاب بقوله حيث كان الموت والحياة مستويين فما يحملنى على ايثار الموت على الحياة وكان يتسلى بعض الاحيان بنظم الاشعار ويقال انه الذى اخترع نظم الاشعار الهكسامترية يعنى المسدسة واتفق انه جاءه رجل من شرار الناس وقال له هل يصدق الانسان فيما قاله بحلفه عليه فاجابه ارتجالا من غير روية وقال له ذنب الحلف اخف من الزناء بيسير وكان له تلميذ صديق اسمه مندريتى البرينى فجاءه يوما فى مدينة مليطة ليزوره وقال له ما تريد ايها الاستاذ منى من الجزاء فى نظير ما صنعته من المعروف العام حيث مهدت اصولا وحكما منها تعلمت و بها عرفت واود ان اكافئك عليها شكرا لمعروفك ومجازاة لفضلك فقال له طاليس لا اود فى نظير ذلك شيئا اللهم الا انك حين يقتضى الحال ان تعلم هذه الاصول لتلامذتك فانسبها الىّ ولا تكتم عزوها لى بل اخبر من يتلقاها عنك انى مخترعها ومبتدع المذهب الذى يحتوى عليها وكان اول اليونانيين الذين عرفوا علم الطبيعة وعلم الهيئة وكان يزعم ان الماء هو الاصل الاول لكل شئ ويقول ان الارض ما هى الا ماء وجمد والهواء هو ماء ثقيل الزنة وان جميع الاشياء تتغير دائما من حالة الى حالة الى ان يؤول امرها الى رجوعها ماء وان سائر مافى الكون لا يخلو عن احساس ما وانه مملوء بما لا يدركه الطرف من المخلوقات وكلها متحركة ذات ارواح وان الارض فى وسط العالم تتحرك على مركزها الاصلى الذى هو عين مركز العالم لانها من حيث كونها موضوعة على مياه البحار ثبت لها هذا الاضطراب الذى كان سببا فى تحركها وكان يقول ان كلا من الآثار العجيبة الناشئة عن الاشياء وكذا الاختلافات بين الاشياء المتجاذبة كالمغناطيس والكهرباء يدل على انه لا شئ فى الدنيا الا وله روح احساس وكان يقول ان سبب زيادة النيل كثرة هبوب الرياح الدورية اى التى تهب كل سنة فى اوقات معلومة من الشمال الى الجنوب فتحجز المياه التى تجرى من

الجنوب الى الشمال وتجريها الى ان تعم الارض وهو اول من اخبر من كسوفات الشمس والقمر قبل وقوعها وهو الذى اجتهد الغاية فى رصد حركات هذين الكوكبين على اختلافهما وكان يقول ان الشمس جسم مضئ بنفسه وان جرمها قدر جرم القمر مائة وعشرين مرة والقمر جسم غليظ لا يمكنه ان يعكس نور الشمس الا بجهة واحدة من سطحه وبهذا يقام البرهان على اختلاف الصور التى يرى بها القمر اى منازله الاربعة وهى تربيعه فى اول الشهر وقبيل آخره وانتصافه ومحاقه وكان اول من فحص على اصول الهواء والزوابع والصواعق واسباب البرق والرعد ولم يكن احد قبله يفهم طريقة مقياس ارتفاع القلاع والاهرام ونحوها من ظلها الجنوبى حين تكون الشمس فى زمن الاعتدال وهو الذى قال ان السنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوما ورتب قواعد الفصول وحدد كل شهر ثلاثين يوما وفى آخر كل اثنى عشر شهرا اضاف خمسة ايام لاجل تمام السنة وهذه القاعدة تعلمها من المصريين وهو الذى رصد الدب الاصغر اى بنات نعش الصغرى الذى به تهتدى الملاحون من اهل مملكة الصوريين وبينما هو ذات يوم خارج من محله بقصد رصد الكواكب واذا هو قد وقع فى حفرة عميقة فمضت اليه عجوز من خدمة بيته واخرجته ثم قالت له أتزعم يا طاليس انك تعلم جميع ما يقع فى السماء مع انك لم تعلم ما تحت رجليك وقد قضى طاليس عمره فى عز وجاه وكان يستشار دائما فى مهمات الامور حتى ان اكريبوس لما عزم على حرب بلاد العجم وكان قد نصب رئيسا على جيش عظيم وسار به الى ان وصل الى نهر هاليس وهو نهر عظيم عميق لا قناطر له ولا سفن عنده فتحير فى تعدية عساكره واذا بطاليس اقبل عليهم فى ذلك الوقت والتزم له ان يعدى له جميع الجيش بدون قناطر ولا سفن فابتدأ اولا بعمل صورة خندق كبير على شكل هلال مبتدئا باحد طرفى الجيش منتهيا بطرفه الآخر فتشعب بهذه الطريقة ذلك النهر الى ذراعين اى فرعين حتى صيره قابلا للخوض فيه من الجهتين ثم عدى جميع الجيش بدون تعب وكان لطاليس مزيد

اعتناء

اعتناء فى هذه الواقعة بكون المليطيين لا يتعاهدون مع اكريبوس الذى كان يسعى فى المعاهدة معهم دائما وهذا الاحتراس والتبصر كان سببا فى خلاص وطنه ونجاته لان الملك قيروس الذى كان انتصر على اللديين اغار على جميع المدائن التى تعاهدت معهم واحترم من كان من اهل مدينة مليطة فانهم لم يخالفوه ويتعاهدوا مع غيره وكان طاليس فى ذلك الوقت هرما جدا فلاجل حظ نفسه امرهم ذات يوم ان يضعوه على تل مرتفع من التراب لاجل ان يروح نفسه بنظرة الى القتال فظمئ ظمأ شديدا من شدة الحر فهلك بغتة فى ذلك المحل الذى كان ينظر القتال به وكان ذلك فى الاولمبياد الثامن والخمسين بعد ان عاش اثنتين وتسعين سنة وعمل له اهل مدينة مليطة جنازة عظيمة

﴿ تاريخ سولون الفيلسوف ﴾

سولون ولد فى السنة الثالثة من الاولمبياد الخامس والثلاثين اى نحو ستمائة واربعين قبل الميلاد وصار يقارض بماله فى مدينة اثينا فى السنه الثالثة من الاولمبياد الخامس والاربعين وتوفى فى ابتداء الاولمبياد الخامس والخمسين وكان عمره ثمانية وسبعين سنة وكان اصل سولون من مدينة اثينا وولد فى مملكة سلامين فى الاولمبياد الخامس والثلاثين وكان من نسل ملك يونانى يسمى قدروس وكانت امه بنت عم ام بيزسترات فصرف بعض زمن صباه فى السفر الى بر مصر الذى كان ميدانا لاهل العلوم فى ذلك الوقت فمن بعد تعلمه قوانين الحكم وجميع ما يلزم للشرائع وعوائد البلاد رجع الى مدينة اثينا ولما صار بذلك من ارباب العز والجاه بلغ اعظم المناصب وكان سولون ذا عقل عظيم وقوة عظيمة مع صدق وتثبت وكان شاعرا ماهرا وخطيبا فقيها بالقوانين شجاعا فى الحرب ومضى طول عمره شديد الغيرة على حماية حرية وطنه وعدوا كبيرا للظلمة وقليل الاعتناء فى علو مراتب اهله وعياله ولم يكن يعتنى بالبحث فى اسباب الطبيعة وكان مثل طاليس

لا يلازم شيخا بعينه بل كان يصرف همته بالكلية فى علم الاخلاق والسياسة وله هذه الحكمة العظيمة وهى ﴿ خير الامور اوسطها ﴾ ولما سمع بشهرة طاليس سافر من بلده الى مدينة مليطة فلما وصلها واجتمع بهذا الفيلسوف تحادث معه قليلا ثم قال له يا طاليس انى تعجبت من عدم زواجك فهلا تزوجت حتى يكون لك ذرية تربيهم وتعلمهم فلم يجبه حالا عن سؤاله ثم بعد ايام احضر له رجلا واوهمه انه غريب جاء يزوره فقال طاليس هذا الرجل يزعم انه قدم عن قرب من مدينة اثينا فقال سولون لذلك الغريب ما عندك من اخبارها فقال الغريب ما عندى خبر وانما رأيت فيها شابا ميتا دفن يوم خروجى منها وشهد جميع اهل المدينة جنازته ودفنه لانه ذو نسب عظيم وابن رجل مكرم عند جميع الناس وان اباه غائب عن مدينة اثينا من مدة قريبة واحبابه بتلك المدينة كتموا هذا الخبر عن ابيه خوفا عليه ان يموت من الغم والحزن فصاح سولون انى لاب مسكين قليل الحظ ثم سأل الغريب عن اسم اب الشاب فقال ان اسمه غاب عن حفظى ولكن سمعت جميع الناس يقولون انه رجل كثير الحكمة فزاد على سولون القلق والاضطراب فى هذا الوقت وحصل له انزعاج عظيم فقال له سولون هل سمعت ان اب الشاب يسمى سولون فاجابه الغريب بالبديهة وقال نعم هو سولون فعند ذلك غاب سولون عن الوجود وحصلت له حرقة شديدة ومزق ثيابه وازال شعره وضرب رأسه ولم يدع شيئا من الامور المحركة للغم والحزن من اشعار وغيرها الا استعمله حتى صار كئيبا فقال له طاليس ما لى اراك حيران فى امرك تبكى كثيرا أتبكى على الخسارة التى لا يمكن جبرها ولا بدموع الدنيا فقال سولون هذا هو الذى ابكانى لان هذا امر لا دواء له فعند ذلك اخذ طاليس فى الضحك على سولون من هذه الامور المختلفة التى حصلت منه وقال له يا اخى هذا هو الذى منعنى من الزواج لانى اعرف ان اثبت الرجال قلبا لا يمكنه تحمل مشقة العشق وتربية الاولاد ثم قال له لا تغتم لان الذى قيل

لك امر مخترع ومزاح ابتكرته لك لمجرد الهزل وقيل انه من مدة زمان طويل حصلت حروب كثيرة بين الاثينيين والمغاريين بسبب جزيرة سلامينا وانتهى الامر بعد حروب شديدة من الجانبين الى ان انهزم الاثينيون وحصل لهم مشقة شديدة بسبب كثرة سفك الدماء حتى انهم اتفقوا على ان كل من تكلم فى شأن الحرب مع المغاريين لاجل جزيرة سلامينا وطلب تجديد الحرب معهم يكون عقابه الموت ما دام المغاريون مستولين عليها ثم ان سولون رأى انه اذا تكلم فى ذلك اضر نفسه واذا سكت يعود الضرر على وطنه واهل مملكته وهو اشد فاخذ فى اسباب الجنون عمدا خديعة لهم ليقول كل ما يخطر بباله فشاع فى المدينة انه صار مجنونا و بعد ذلك انشأ بعض ابيات من الاشعار المحزنة وحفظها ثم خرج من محله بثياب من صوف رثة بالية وربط رقبته بحبل وجعل على رأسه طيلسانا قديما فاجتمع عليه اهل المدينة فطلع لهم فوق الحجر الذى كانوا يعتادون المناداة عليه فانشد تلك الاشعار على خلاف عادته وقال ياليتنى لم اكن من اهل هذه البلدة واحسرتى اتمنى لو كنت مولودا فى بلاد الاعجام او البرابرة او فى اى محل يكون اشد خشونة فى العيش وقسوة فى القلب وجهلا بالعلوم من هذه البلدة فان ذلك اهون علىّ من ان يرانى الناس ويشيروا الىّ ويقولوا ان هذا الرجل من اهل مدينة اثينا الذين هربوا من حرب سلامينا فاسرعوا فى اخذ الثار وامحوا عنا هذا العار الذى لحقنا وتنبهوا حتى نأخذ هذه المدينة التى اخذها اعداؤنا ظلما فأثر قوله ذلك فى عقول اهل مدينة اثينا وابطلوا اتفاقهم الذى كانوا اتفقوا عليه اولا واخذوا سلاحهم وتوجهوا الى حرب المغاريين واتفقوا على جعل سولون رئيسا على العساكر وحاكما عليهم فنزل هو وجيشه فى جملة من مراكب الصيادين ومعهم مركب كبير له ستة وثلاثون مقذافا فرسى بالمراكب بالقرب من سلامينا فلما علم المغاريون الذين كانوا بالمدينة بذلك حملوا اسلحتهم من غير ترتيب وارسلوا سفينة كبيرة من سفنهم بمن فيها لينظروا تلك المراكب

التى رست بالقرب من مدينتهم فاخذ سولون تلك السفينة واسر جميع من كان فيها من المغاريين ونقلهم منها عنـده وشحن تلك السفينة باشجع من معه من الرجال من اهل مدينتـه وامرهم بان يتوجهوا جهة سـلامينا ويختفوا جدا وطلع هو ومن بقى معـه من جماعته الى البر من جهـة اخرى بقصد ملاقاة عسـكر المغـاريين الذين خرجـوا من سلامينـا مستحضرين للحرب فلما اشـتغلوا بتعديل الصفوف وما يتعلق بترتيب الجيش للحرب اسرع الذين ارسلهم سولون فى السـفينة الى جهة سـلامينا ودخلوا المدينـة وانتهبوا جميع ما كان فيهـا ثم لما اخذ سولون المدينة وهزم المغـاريين ارسل جميـع الاسراء الذين أخذهم من المغـاريين الى مدينـة اثينـا وانشـأ هيـكلا عظيما لشرف المريخ وهو كـوكب القاهر المسمى عندهم اله الحرب فى المحل الذى رجع فيه منصورا ثم بعد مدة من الزمن تحركت جاعة من المغاريين وصمموا على اخذ سلامينـا فلم يأتوا بطائل ثم انحط الامر بينهم وبين سـولون على تحكيم اهالى لقدمونيـا فى تلك القضية والرجوع الى رأيهم فيها ثم ان سولون قال بحضرة المحكمين من اهل اسـبرتا وهى لقدمونيـا ان فيلوس واوريفاس ولدى جاكس ملك مدينة سلامينا كانا حضرا سابقا بمدينة اثينا وسكنا بها واعطيا هذه المدينة للاثينيين بشرط ان يصيروا اهلها اثينيين وامر سولون اهل مدينة سلامينا بانهم يفتحون القبور ليروا ان رؤوس امواتهم جهة مدينة اثينا لا الى الجهة التى امرهم المغاريون الآن بالوضع اليهـا واطلعهم على انهم كانوا يكتبون على تابوت كل ميت اسم عشـيرته وهذه العادة خاصة باهل اثينـا ولكن المغاريون لم يحملهم ما قاله على الصلح بل صمموا على الحرب وذلك لما ان المخاصمـات التى مكثت زمانا طويلا متحكمة بين ذرية قيلون وذرية ميغاكلس اخذت فى التمادى حتى انتهى امرهم ان عزموا على هلاك المدينـة بالكلية وذلك لان قيلون كان اراد ان يكون سلطانا بمدينة اثينـا فظهر ما نواه فقتل مع عدة من المتعصبين معه المهيجين للفتنة ومن

فر

فر منهم ونجا بنفسه احتمى فى هيكل منيرف اى هيكل الحكمة وكان حاكمها فى ذلك الوقت ميكالس فتكلم بحكم عظيمة وامرهم بالوقوف بين يدى اهل الشرائع فامروهم ان يمسكوا الشبكة المربوطة فى نهاية صورة الصنم لاجل ان يحتموا فيه فعند نزولهم من الكنيسة انقطعت الشبكة المذكورة فقال ميكالس هذا دليل واضح على ان الصنم ليس راضيا عنهم وامر اهل المدينة برجمهم ومن فر منهم واحتمى فى محراب من المحاريب امر بذبحه ولم يحترم هذه المحاريب فذبحوا كل من امر بذبحه ولم ينج منهم الا القليل بسبب شفاعة نساء القضاة فخلصوا من ذلك فمثل هذه الافعال الشنيعة صيرت القضاة وذراريهم مبغوضين عند الناس فصاروا من ذلك الوقت غير مألوفين لاحد من الاهالى فبعد مدة من السنين كثرت ذرية قيلون وصارت ذات شوكة وكان سولون فى ذلك الوقت قاضيا بالمدينة فخشى عليها من التلف بسبب ذلك فشرع فى امر يكون فيه رضاء الجانبين وهو ان يختار من الطرفين جماعة يكونون محكمين لاجل انتهاء هذا النزاع الواقع فحكموا مراعاة لجانب القولينيين بطرد جميع ذرية مغاكاس من المدينة حتى انهم نبشوا عظام امواتهم وألقوها خارج مدينة اثينا فعند ذلك انتهز المغاريون هذه الفرصة الملائمة لهم وتوجهوا باسلحتهم حين كانت نار الفتنة مضطرمة بين الطرفين واخذوا جزيرة سلامينا فما خمدت نار هذه الفتنة الاولى حتى جاءت عقبها فتنة اخرى اشد منها واكثر ضررا خصوصا على الفقراء فقد تراكمت عليهم الديون التى صيرتهم تحت اسر اصحاب الديون كالعبيد وذلك ان الفقير اذا كان عليه دين مؤجل بيوم معلوم اذا مضى ذلك اليوم ولم يدفع ما عليه من الدين يأخذه صاحب الدين ويجعله عبدا له اما ان يستخدمه او يبيعه فى مقابلة دينه فنشأ من ذلك ان جملة من اصاغر الرعايا الفقراء اجتمعوا واتفقوا على ان يجعلوا لهم رئيسا منهم لاجل ان يمنع عنهم ذل الاسترقاق بالديون فلا يكونون عبيدا لاحد من ارباب الاموال ولاجل ان يلزم القضاة

بقسمة جميع الاموال على جميع الناس بالمساواة على حسب الرؤوس مثـل ما صنع
ليكرغه فى مملكة اسبرتا وتولد من ذلك فتنة عظيمة اضطرمت نارهـا ولم يقدر
احد على اطفائها فاتفق الفقراء والاغنياء من الجانبين وارتضوا على ان سولون
هو الذى يسكن هذه الفتنة ويحكم بين الفريقين لاجل تسكين هذه الفتنة بطريقة
سـهلة فامتنع من ذلك وتعلل بامور كثيرة ولم يقبل هذا المنصب المتعب ثم فى آخر
امره قبله ولم يكن له رغبة الا فى نفع وطنه كما نواه وسبب اختيارهم له من الجانبين
انه كان سابقا يقول المعادلة تمنع المجادلة فسمعه جميع الناس من الفقراء والاغنياء فكل
فرقة فسرت هذا القول بما يناسب حالها فالفقراء يقولون ان سولون مراده ان
تكون جميع الناس متساوية وتقسم الاموال على حسب الرؤوس والاغنياء يقولون
مراده ان جميع الاشياء من مال وغيره تكون بين الناس على قدر مراتبهم
فى الشرف وهـذه المقـالة هى التى جعلت سـولون محبوبا عند الفريقين وكانت
باعثة لهم على توليته عليهم واسرع كل فريق منهم فى اختيـارة قاضيـا لظنه
انه يحكم له بمـا فهمه من كلامه حتى ان بعض الناس الذين لا دخل لهم فى هذه
الفتنة ولا يخشون على ضياع شئ لهم دخلوا فى ذلك وقالوا يلزم ان يكون
الرئيس المحكم على الناس من احسن اهل الارض واحكمهم وان يتولى سولون
ملكا فتباعد سولون عن ذلك بالكلية ولم يرض به اصلا وقال ان صـاحب هذا
المنصب يسمى باسم طـاغيه اى ظـالم فلامه خيار احبابه فى ذلك وقالوا كانك
لا خبرة لك بالامور مجرد هـذه التسمية يمنعك من هـذا المنصب الذى اكتسبته
بطريق حلال اما سمعت بان طيونداس ولى نفسه سلطانا بجزيرة اوبا وهى جزيرة
اغربوز سـابقا وبيتاخس الذى هو حكيم فيلسـوف هو الآن سلطان بمدينة
ميطيلينا فامتنع سولون ولم يزده هذا القول الا رغبة عنه وبعدا او قال ان الامارة
الشرعية والولاية الملكية من عظم المنـاصب العلية تحتف بها مصائب من كل
جهة ولا يمكن الخروج منهـا بعد الدخول فيهـا ولم يكن له اقدام ولا رغبة على

هذا

هذا الامر الصعب الذى عرض عليه حتى ان جميع اصحابه قالوا انه كالمجنون واراد سولون ان يصرف جهده فى تسكين هذه الفتنة التى وقعت بمدينة اثينا فامر بان جميع الديون التى تقدم ذكرها توضع عن المدينين وتبرأ ذمتهم منها بحيث انه لا يمكن احد من ارباب الديون ان يطالب واحدا من المدينين بدين وكان له سبع قطع من معاملة ذلك الوقت المسماة طالان ورثها من ابيه فتجاوز عنها وتركها لاجل ان يقتدى بها الناس فى التجاوز عن الديون وامر ايضا ان من حدث عليه دين من الآن فصاعدا لا يسوغ لرب الدين ان يطلبه منه ولا يتعلق الدين بذات المدين كما كانت عادتهم قبل ذلك وانما صنع ذلك لاجل دفع مضرة الفتن التى كانت بين الفقراء والاغنياء وفى اول الامر لم يرض احد من الفريقين بذلك وحصل لكل منهما غم فاغتم الاغنياء على خسارة اموالهم وكان الفقراء اشد غما حيث لم يتساووا فى القسمة مع الاغنياء ولكن آل الامر الى ان رضى الفريقان بما صنعه سولون ولما رأوا حسن تدبيره النافع اختاروه ثانيا ان يسعى فى تسكين الفتن التى كانت سببا فى قسمة مدينة اثينا الى ثلاث فرق مختلفة وسلموا له ايضا ان يصنع الشرائع والقوانين بما يليق بعقله ويحكم بما يختار فاهل الجبال ارادوا ان الرعية هى التى تتكلم فى سائر المصالح لان اهل المدينة ليسوا مثلهم فى العدد واهل السهول قالوا ينبغى ان توكل المصالح الى اهل الاعتبار والبحريون قالوا انه ينبغى الحكم من الاهالى واهل الاعتبار ولما اختاروا ان يكون حاكما يحكم بما يريد ابتدأ بابطال جميع القوانين التى كان عملها ادراكون الذى كان قبله لانها كانت مبنية على التشديد جدا حتى كان اخف الذنوب فيها كالبطالة وسرقة شئ حقير كالفاكهة والحشيش يجازى عليه بالقتل كجزاء الذنوب العظيمة التى هى مثل الفكر والقتل وهذا معنى قولهم ان الشرائع مكتوبة بالدم وقد سئل ادراكون ذات يوم لاى سبب تأمر فى القصاص بالموت فى سائر الذنوب المختلفة فقال اقل

ذنب عندى يستحق هذا القصاص ولا اعرف اشد منه حتى اجعله عقابا للكبائر فلذلك سويت بين الجميع وسولون قسم الاهالى ثلاث طوائف مختلفة بحسب ما يملكه كل واحد من الاموال ورخص فى الدخول فى المصالح العامة الميرية لجميع الاهالى الا الصنائعية فانهم لا يعيشون الا من اشغالهم فكانوا مستثنين من الوظائف فليس لهم هذه المزية التى اختص بها غيرهم وامر بان كبار القضاة والحكام لا ينتخبون الا من الرتبة الاولى وامر بان الذى يدخل فى فتنة من الفتن بعد ذلك يرسم له علامة فى جسده لتكون علامة يفتضح بها وامر بان من تزوج بامرأة غنية فوجدته عنينا فلها ان تمكن من نفسها من تختاره من اقارب زوجها وان النساء لا يدخلن بجهاز عند الازواج وقت التزوج الا بثلاثة اثواب وبعض امتعة تكون بثمن قليل وان من شاهدوه يزنى بمتزوجة وقتلوه فلا قصاص على قاتله حيث كان قتله حال الاطلاع عليه وقلل مصاريف النساء حيث ابطل بعض عوائد لهن كان يلزمها مصاريف كثيرة ونهى ان يتكلم الانسان بسوء فى حق الاموات واذن للناس الذين ليس لهم ذرية ان يجعلوا ميراثهم لمن يختارونه بان يوصى الرجل فى اختياره بميراثه لمن اراد وامر بان الذى يسرف فى امواله يعلم بعلامة الفضيحة ويفقد جميع ايراداته المرتبة له وكذلك الذى يقصر فى الانفاق على ابيه وامه عند كبرهما وعجزهما ولكن قال ان الابن لا يلزمه الانفاق على ابيه الا اذا كان علمه صنعة فى صغره وامر بان الغريب لا يحسب من اهل مدينة اثينا الا ان كان مطرودا من بلده طردا مؤبدا ويأتى بجميع اهله لاجل ان يتخذ له فيها حرفة من الحرف ونقص من الانعامات التى كانت تعطى للمصارعين او البهلوانية وامر بان بيت المال يربى جميع الاولاد الذين قتل آباؤهم فى حرب الاعداء لاجل حماية الوطن وامر بان اوصياء الايتام لا يمكنون من السكنى مع ام الايتام الموصى عليهم وان الوارث القريب لا يمكن ان يجعل وصيا على الايتام وان السرقة مهما كانت عقابها الموت ومن فقأ عينا لشخص

يعاقب

يعاقب بفقأ عينيه وجميع هذه القوانين التى احدثها سولون كتبت على الالواح وارباب المشورة الذين ولاهم تنفيذ هذه القوانين والعمل بها عاهدهم خلفوا على رؤوس الاشهاد انهم يلتزمون حفظها والعمل بها وحلفوا ان كل من حاد منهم عن العمل بها يلزمه ان يصنع صورة من الذهب وزنها ثقل نفسه وينذرها الى هيكل الشمس وكان هناك قضاة لتفسير الشرائع لاجل اجراء القانون بين الرعايا عند وقوع الاختلاف على هذا المنوال وبينما هو ذات يوم يؤلف فى شرائعه واذا بانكرسيس الحكيم اتاه وسخر من قوله وقال له ما هذا أتزعم انك بهذه النقوش تمنع ظلم الناس واهويتهم وقال ما مثل هذه الاوامر الا مثل بيت العنكبوت الذى لا يصيد شيئا غير الذباب فقال سولون ان الناس يحفظون الاشياء على حسب اتفاق بعضهم مع بعض وقال انا اجرى شريعتى على وجه بحيث ان جميع اهل بلادى يفهمون ان الانفع لهم امتثالها لا مخالفتها وسئل لاى سبب لم تخصص جزاء لمن يقتل اباه وامه فقال لانى لا اظن انه يوجد احد يفعل هذا الفعل القبيح ابدا وكان دائما يقول لاصحابه اذا بلغ عمر الرجل سبعين سنة فلا ينبغى له ان يخاف من الموت ولا يشتكى من مكاره الحياة وان جميع جلساء الملك يشبهون الترس الذى يستعمل للحساب فى اللعب فهو يلعب بهم على ما يقتضيه هوى نفسه مثل آلات الشطرنج وان الذى يتقرب من الملك ليس لكونه محبوبا بل لكونه نافعا له وانه ليس لنا هاد يهدينا اعظم من العقل فلا تقول شيئا الا بعد استشارته وانه ينبغى الثقة بصلاح الانسان اكثر من الثقة بيمينه وينبغى للانسان قبل ان يصاحب انسانا ان يمارسه ويتفكر فى شأنه لانه من الخطر انقطاع المحبة بعد انعقادها وان اعظم الاسباب فى دفع اساءة المسئ عنك ان تنسى اساءته لك وانه ينبغى للانسان ان لا يتولى حاكما حتى يتعلم الطاعة لغيره وان الكذب ينبغى ان يكون مبغوضا عند جميع الناس وانه ينبغى للانسان ان يهتم بعبادة مولاه وبر والديه ويجتنب مخالطة الاشرار وحفظ

سولون ان بيزستراتث عمل له عصبة عظيمة بمدينة اثينا واخذ فى اسباب كونه يصير بها سلطانا فعمل سولون غاية جهده فى معارضة ما شرع فيه من المخاصمة وجمع الناس فى محفل عام ولبس جميع سلاحه واظهر جميع ما كان بيزستراتث شرع فيه وصاح سولون وقال يا اهل مدينة اثينا انا اعقل من الذين لا يعرفون قبيح قصد بيزستراتث وانا اشجع من الذين يعرفونه ولكن خوفهم وقلة شجاعتهم منعتهم من المعارضة فانا مستعد لان اكون قائدكم واحارب مع طيب نفس بذلك لاجل حماية حرية الوطن فالجماعة الذين كانوا مساعدين لبيزستراتث قالوا ان سولون مجنون ثم ان بيزستراتث بعد ايام جرح نفسه وامر ان يحملوه على عربة وهو غريق فى دمائه واحضروه فى محل ظاهر بحيث يراه جميع الناس وقال ان اعدائى جرحونى بطريق الخيانة وصيرونى بهذه الحالة الشنيعة التى ترونى عليها فعند ذلك تعرض جماعة من رعاع الناس واخذتهم الغيرة فاخذوا سلاحهم لمساعدة بيزستراتث فصاح سولون وقال له يا ابن ايبراقراس انت تعمل الحيلة التى عملها اوليس حيث خدش نفسه ليغش اعداءه ويتهمهم وانت جرحت نفسك لاجل ان تغش اهل بلدك فاجتمع الناس وطلب بيزستراتث خمسين حارسا فسولون اظهر على رؤوس الاشهاد وابدى ما يترتب على ذلك من الامور الخطرة ولم يفد كلامه شيئا مع هؤلاء السفلة القائمين الذين اذنوا لبيزستراتث ان يأخذ منهم اربعمائة ويجمع له عساكر لاجل ان يأخذ بهم القلعة فتعجب من ذلك اصحاب المدينة الاصلية وعزم كل واحد منهم على الهروب الى اى جهة كانت ولكن لم تفتر همة سولون من ذلك فبعدما اظهر لاهل البلاد حماقتهم وجبنهم قال لهم قبل ذلك كان يسهل عليكم منع حدوث هذا الاستيلاء الظلمى والآن بعد الوقوع يعد من فخركم ابطاله وازالته بالكلية فلما رأى ان جميع ألفاظه لا تفيد فى رجوع أهل البلاد عما عزموا عليه رجع الى بيته واخذ سلاحه وألقاه امام باب مشورة الاهالى المسماة السنت وصاح

وقال

وقال يا وطني العزيز والله لقد ساعدتك على قدر ما يمكنني بالقول والفعل واشهد الله على اني ما ابقيت شيئا لحماية الشرائع وحماية حرية وطني الا فعلته فيا ايها الوطن العزيز اني ذاهب ومفارقك الى الابد لاني قد اظهرت وحدي العداوة للحاكم الظالم وجميع اهل البلد اتفقوا على انه يكون عليهم حاكما ولم يرض سولون ان يكون مطيعا لبيزستراتث ابدا ثم تخوف سولون من ان الاثينيين يجبرونه على ابطال شرائعه التي حلف ان يحفظها وتعاهدوا على اقامتها فاستحسن ان يطرد نفسه طائعا مختارا وان يسافر لاجل معرفته الدنيا اولى من ان يعيش معيشة رديئة بمدينة اثينا فتوجه حينئذ الى بر مصر ومكث فيها مدة من الزمن بديوان الملك امسيس ولما كان بيزستراتث يعتبر سولون اعتبارا كاملا ويعرف مقامه حصل له تأثر شديد بخروجه فكتب له هذا المكتوب المشتمل على التبجيل والتعظيم لقصد ارجاعه الى اثينا ﴿ وصورته ﴾ است اول انسان من اليونان استولى على بلاده ولم ارتكب شيئا يخالف الشرائع ولا الآلهة وذلك لاني من ذرية السلطان قدروس الذي تعاهد اليونانيون على انهم يبقون المملكة لذريته وانا لي اعتناء عظيم بحفظ اوامرك من حفظها حين كانت البلاد محكومة بالعامة ولقد اكتفيت بالخراج الذي رأيته مرتبا من غير زيادة ولم يكن لي شئ يميزني من الاهالي الا امور تشريفية يحتاج اليها منصبي وليس عندي لك شئ من الغيظ من حيث كونك اظهرت للناس حالي الذي كنت اضمرته ولا شك عندي ان اظهارك ذلك انما كان الحامل عليه حبك للوطن لا بغضك لي وانك لا تدري كيف كانت طريقتي التي انا عليها ولو رأيتها لربما كنت ترضى بها فارجع حينئذ مطمئنا وثق بكلامي واعلم انه لا ينبغي لحكيم يكون مثلك ان يخشى من انسان مثل بيزستراتث لاني ما رضيت ان اضر الذين كانوا اعدائي طول عمرهم فكيف اضر احبابي واني دائما اعتقد انك من اعز احبابي ويكون لك جميع ما يسرك من جهتي لاني اعلم انك لست مذنبا ولا خائنا ابدا فان كان لك اسباب تمنعك من

المجئ الى مدينة اثينا فانك تسكن حينئذ باى محل تريده ويحصل لى غاية السرور اذا كان سبب غربتك شئ غيرى ولا اكون سببا فيها ﴿ فاجابه سولون بهذا الجواب ﴾ انا اتيقن واجزم انك لا تصنع معى شرا لانى كنت لك صاحبا من قبل ان تتولى طاغية واعلم انى لست عندك ازيد من الناس الذين يكرهون الطاغية ولو خلينا كل انسان وعقله لما شك ان الاحسن ان تكون بلاد اثينا محكومة بعدة حكام ومشورات وهذا بالضرورة انفع لها من حاكم واحد فاعل مختار وانا اشهد انك احسن من جميع الطواغى ولكن لا اظن ان رجوعى الى مدينة اثينا لائق بعد ان رتبت سياسة مبنية على الحرية وامتنعت من الامارة التى اعطونى اياها فاذا رجعت يكون الحق لهم ان يلومونى ويظنوا انى رضيت بما تفعله من جورك حتى رجعت ثانيا ﴿ وكتب مكتوبا آخر لابيمينديس بهذه الكيفية وصورته ﴾ ولما كانت شرائعى لم يترتب على عملها فائدة عظيمة للمدينة وحصل بفتحها منفعة عظيمة وحينئذ فارباب الشرائع والاحكام لا يمكنهم ان يجلبوا نفعا للمدن ولكن الذى ينفع هم الذين يسوقون الرعايا كما يريدون اذا كان مقصدهم حسنا وشرائعى لم يكن لها نفع ولكن الذين خالفوها ابطلوا الجمهورية والحرية ولم يمنعوا بيزستراتث عن ان يتغلب على السلطنة وقد اخبرتهم عن الذى سيأتى قبل وقوعه فما صدقونى وبيزستراتث الذى كان اطمع اهل مدينة اثينا ظهر لهم انه احسن منى وانه يقول لهم الحق وقد عرضت عليهم ان اكون رئيس الاهالى لاجل تدارك ما يقع من المضار فظنوا انى مجنون ورخصوا لبيزستراتث ان يجعل له حراسا فتغلب بهم على المدينة واسترق اهلها وانا اخذت فى اسباب الخروج منها فخرجت انتهى واكرسيوس ملك مدينة لديانس طلب من جميع اليونان الذين ببلاد اسيا ان يدفعوا له الجزية فهرب كثير من عظماء الناس الماهرين الموجودين فى هذا المحل وتركوا ارض اليونان وسكنوا بمدينة ساردس كرسى سلطنة ذلك الملك وكانت هذه

المدينة

المدينة في هذا الوقت عامرة كثيرة العز والشرف والاموال وكان هؤلاء الغرباء الذين دخلوها يتكلمون كثيرا في حق سولون و يكثرون من مدحه والثناء عليه فكان ذلك باعثا للملك المذكور على ان ينظر سولون فارسل اليه يطلبه ويترجاه ان يحضر عنده فارسل له سولون هذا الجواب قد عرفت منك كثرة المحبة والعز لى وشاهدت منك التشريف لى والله شهيد على انى من حين فراقى لوطنى ما سكنت بمملكة حرة فاحب ان اعيش بمملكتك ولا اقيم بمدينة اثينا ما دام بيزستراتث متصرفا فى تلك الدولة ولكن حالتى التى انا عليها من المعيشة فى المحل الذى يستوى فيه جميع الناس اهنأ عندى من معيشتى فى مملكتك ومع ذلك لا بد انى انظرك وامكث معك مدة من الزمن ثم توجه سولون الى مدينة سارديس بتضرع اكرسيوس له فى ذلك حيث كان هذا الملك يرغب غاية الرغبة فى نظره لشدة الاشتياق اليه فلما اجتاز بلاد لديا رأى كثيرا من اعيان الناس العظام كل واحد فى موكب عظيم ومحفل جميل وكان سولون كلما رأى واحدا من هؤلاء الاعيان يظن انه الملك فلما تمثل بين يدى الملك اكرسيوس وتجمل الملك قصدا بافخر ما عنده من الثياب وانواع الزينة والحلل فلم يتعجب سولون فى شئ من ذلك ولم يحصل له ارتياب بسبب ما رأى من تلك الهيئة والابهة فقال له اكرسيوس ايها الضيف انا اعرف حكمتك المشهورة على قدر سماع الصيت واتيقن انك اكثرت السفر فى البلاد فهل رأيت احدا يلبس مثل ملابسى فقال له سولون نعم الديوك الاهلية والبرية والطاوس لها شئ اعظم من هذا لان جميع ما كان عليها من الزينة شئ خلقى لم تتكلف التزين به فتعجب الملك اكرسيوس من هذا الجواب الارتجالى وامر خدمته ان يفتحوا جميع خزائنه و ينشروا جميع ما فيها امام سولون وامر ايضا بانهم يحضرون نفيس امتعة السرايا فجهزوا جميع ذلك واحضروا سولون مرة ثانية بين يدى الملك فقال له هل رأيت احدا اسعد منى فقال له نعم رأيت طيلوس من اهل مدينة اثينا وهو

الذى عاش طول عمره على غاية من الصلاح فى الجمهورية المتأدبة وخلف ولدين معتبرين واموالا كافية فى معيشتهما ومات سعيدا سلاحه فى يده قرير العين بنصرة وطنه واهل مدينة اثينا عملوا له قبرا عظيما فى المحل الذى توفى به واحتفلوا بجنازته احتفالا كبيرا واظهروا له غاية الشرف فتعجب اكرسيوس من كلامه وظن ان سولون رجل مجنون وقال له من اسعد الناس بعد طيلوس فاجابه بقوله كان فى الزمن السابق اخوان احدهما يسمى اكليوبيس والآخر بيطون وكانا شجاعين جدا وكانا دائما ينتصران فى جميع الحروب وكانا محبين لبعضهما جدا وكانت امهما قسيسة هيكل يونون وكانا يحبانها غاية المحبة فقصدت امهما ان تقرب قربانا لهيكل يونون فركبت على عربة فتأخر الذى يجر بها العربة فجاء ولداها المذكوران وجرا بها العربة عوضا عن البقر واوصلاها للهيكل فاثنى عليهما جميع الناس ودعوا لهما بالبركة ففرحت امهما بذلك وطلبت من صنمة يونون ان تعطيهما كل ما ينفعهما فلما فرغوا من القربان واكلوا رجعوا الى منزلهم فرقد الاثنان واصبحا ميتين فى ليلة واحدة فلم يقدر اكرسيوس ان يمنع نفسه من الغضب وقال له كيف لا تعدنى من جملة السعداء فقال له سولون يا ملك الليديين انت من اسعد الناس ومن اكثر الملوك رعايا ولكن الدهر كثير التغير والزمن له حادثات لا يمكن الانسان ان يشك فيها والليل والنهار يتولد فيهما الحوادث وانه لا يمكن للانسان ان يعلم النصرة قبل انقضاء الحرب فاغتاظ الملك اكرسيوس من ذلك غيظا شديدا وطرد سولون ولم يشته ان ينظر اليه بعد ذلك ابدا وكان ايزوب الذى قيل انه لقمان الحكيم فى ذلك الوقت بمدينة سادريس وكان حضر اليها بقصد تسلية الملك اكرسيوس فلما بلغه ما حصل منه فى حق سولون صاحب الفضل والمعرفة تأثر من ذلك وقال يا سولون لا ينبغى القرب من الملوك فان كان ولا بد فانه لا ينبغى ان تخبرهم بما يستعظمونه فيغتاظون منه فقال له سولون ان الامر بخلاف ذلك وهو انه لا ينبغى القرب

من

من الملوك فاذا قرب الانسان منهم فانه ينبغي له دائما ان ينصحهم على قدر الطاقة ولا يقول لهم الا الحق ويحكى ان قيروس ملك العجم كان اسر الملك استياجس جد اكرسيوس ابا امه واخذ جميع ملكه وذلك اساءة ادب فى حق اكرسيوس فغضب اكرسيوس لذلك واخذته الحمية على جده وقصد حرب بلاد العجم لانه رأى نفسه ذا ثروة كثيرة لا نهاية لها ونظر ان اهل مملكته اشجع من جميع العالم فى الحرب فظن انه لا يبعد عليه شئ فمن سوء حظه انهزم ورجع بالهزيمة الى مدينة سارديس فحاصروه فيها مدة اربعة عشر يوما وبعد ذلك اخذوه اسيرا بالسلاسل والاغلال واحضروه الى قيروس فامر بان يوضع مربوطا فى مستوقد مملوء بالحطب ووضعوا حوله اربعة عشر غلاما من بلاد لديا وامر بان يحرقوه بالنار بمشاهدة قيروس وجميع العجم وهموا بوضع النار فى الحطب المذكور فبينما اكرسيوس فى هذه الحالة المحزنة واذا هو يتفكر فى الاقوال التى كان سمعها سابقا من سولون فصاح بتأسف وقال يا سولون ثلاث مرات فتعجب منه قيروس وارسل يسأله ما هذا الاسم الذى تذكره هل هو من اسماء الآلهة تدعوه لاجل ان يخلصك من هذا الامر فما اجابه اكرسيوس اصلا فشددوا عليه فى الجواب فاجابهم مع شدة حزنه وقال هذا الذى ذكرته رجل ينبغي ان الملوك يستصحبونه دائما ويقربونه منهم ويعتبرونه ويسمعون كلامه فانه انفع من خزائنهم وجميع ما عندهم من الاشياء النفيسة فقالوا حدثنا عنه واستعجلوه على ذلك فقال انه اعظم حكماء اليونان وانا قد كنت ارسلت له سابقا لاجل ان استشيره فى جميع اموري المهمة فقال لى من غير اعتناء ان هذه الحياة الدنيا ما هى الا باطل وزائل وانه ينبغي ان اتوقع آخر عمري وانه لا ينبغي للانسان ان لا يغتر بسعادته ولا يعتمد عليها لانها معرضة لكثير من المصائب التى لا نهاية لها فقد عرفت الآن حقيقة جميع ما قاله لى وفى اثناء تكلمه بهذا الكلام اشتعلت النار فى الحطب من تحت المستوقد وابتدئ بصعودها الى فوق فعند ذلك حصل

لقيروس شفقة على اكرسيوس لما سمع كلامه ولما رأى هذه الحالة المحزنة التى كان بها هذا الامير الذى كان صاحب شوكة فاتعظ فى نفسه وخاف ان تحصل له مصيبة بعد ذلك تشبه هذه الحالة فامر فى الحال باطفاء النار واطلاق اكرسيوس من السلاسل والاغلال التى كان بها واحسن له باحسن وجوه الاحسان مع غاية التشريف واعتمد على مشورته فى سائر الامور المهمة جدا ثم ان سولون بعد ما ترك اكرسيوس توجه الى مدينة تيليقيا وبنى مدينة عظيمة وسماها سولون باسمه وبلغه ان بيزستراتث الى الآن قائم بالسلطنة فى مدينة اثينا ومدمن على الظلم بها وان اهلها ندموا على رضاهم له بغضب الملكة فكتب لهم سولون كتابا صورته هكذا انكم لم تنصفوا فى نسبتكم سوء حظكم للآلهة وما تقولونه الآن انما هو ناشئ عن طيشكم فى عدم تصديقكم الناس الذين لهم خبرة ومعرفة بتدبير ما يلزم للوطن ومن كونكم ركنتم الى قول الذى اراد غشكم وامرتموه بان يتخذ لنفسه خفراء فتوصل بذلك الى ان استولى على وطنكم واستعبدكم طول العمر ثم ان برياندر ملك مدينة كورانت اظهر لسولون جميع اشغال دولته ورجاه فى كونه يكون مشيرا عليه فيها فرد عليه سولون بهذا الجواب انت ولو نجوت من اعدائك الذين تعصبوا عليك وقتلتهم جميعا فانه لا يفيدك حسن الحال فان من لا يخطر ببالك عداوته هو الذى ينصب لك الشرك وذلك لان الناس ثلاثة اقسام فنهم من يخاف على نفسه ومنهم من لا تسمح نفسه ان يرضى بافعالك التى تعود بالضرر ومنهم من يظن بعداوتك نفع وطنه نفعا عظيما فاعظم ما ينبغى لك سلوكه هو ان تترك المملكة بالكلية وان لم تصبر على ترك المملكة فاتخذ لنفسك جيوشا آخرين من بلاد الغرباء لاجل ان تمسك زمام ملكك وتستعين بها على امانك ولا يبقى عندك خوف من اى محل وبعد ذلك لا تطرد احدا من بلادك ثم بعد ذلك توجه سولون الى جزيرة قبرص واصطحب مع فيلو قبرص امير مدينة اوبيا وهذه المدينة كانت موضوعة فى محل عقيم جدا فاشار عليه

سولون

سولون ان يبنى له مدينة غيرها بمحل آخر يكون احسن من هذا فاختار له قطعة ارض سهلة كثيرة الخصب والثمار وصار سولون يباشر عمارتها بنفسه فنجحت فاراد فيلو قبرص ان يسمى هذه المدينة سولوس لاجل اظهار الاعتراف والشكر لسولون فى نظير معروفه وكان سولون دائما يحب الحظ فى مدة عمره الذى عاشه وكان يحب المطعومات اللذيذة ويحب الموسيقى يعنى علم الالحان وجميع ما يستعان به على لذة المعيشة وكان يكره الاشعار والتآليف المخترعة التى يخترع فيها الانسان كل ما يبدو ويخطر بباله وكان يرى ان هذا يعود بالضرر على الجمهورية وانه ربما يترتب عليه ما لا يحصى من الفتن وحين كان سولون له اعتبار عظيم بمدينة اثينا شرع تنبيس ان يتلاعب ايامه وينشد قصائده المحزنة التى نظمها بنفسه فحصل للرعية غاية الحظ فبعد ما فرغ من هذا كله قال سولون لتنبيس انت ما تستحيى من هذا الكذب الذى تقوله عند جميع الناس فاجاب تنبيس بقوله ان هذا لا ضرر فيه لانه لاجل الهزل والمباسطة فضرب سولون الارض بعصا كانت بيده وقال انا اذا اقررنا على هذا الكذب فى هزلنا فعن قريب يصير جدا ويكون فى الاشغال العامة والمصالح المهمة ولهذا صاح سولون بعد ذلك حتى حملوا بيزستراتث على العربة وهو مجروح ملوث بالدماء فى المجمع العام فلما رآه سولون على هذه الحالة قال هذا الاصل الخبيث يتولد منه الغش والخداع والتحيل يشير بهذا الى هذه الاشعار والقصائد والالعاب وزعم بعضهم ان الذى احدث الحكمة المسماة اريوباجه وهى مشورة مؤلفة من جميع الكبار الذى كانوا تقلدوا على التعاقب بجميع مناصب اثينا وسئل سولون ذات يوم فقيل له ما المملكة التى بلغت غاية التأديب عن غيرها من الممالك فقال هى التى لم يحصل لاهلها ذل ولا ظلم واذا حصل لغيرهم ظلم ينتصرون للمظلوم ويأخذون حقه مع غاية الشدة والقسوة كانهم هم المظلومون وفى اواخر عمره ابتدأ بنظم قصيدة فى شأن جزيرة

اطلنطيلة التى سمع ببر مصر انهم يجعلونها وراء البحر المحيط المعروف فادركه الموت بجزيرة قبرص ولم يكمل منظومته وكان ذلك فى الاولمبياد الخامس والخمسين وكان عمره قريبا من ثمانين سنة وامرهم قبل ان يموت بانهم ينقلون عظمه الى مملكة سلامينا ويحرقونه ويذرون رماده فى الفلاة واهل مدينة اثينا بعد وفاته رسموا صورته من نحاس اصفر وجعلوه ماسكا كتاب القانون الذى ألفه بيده وعليه ثياب مثل ثياب امير الرعية واهل مدينة سلامينا صوروه فى هيئة اخرى مثل خطيب يتكلم وينهى العالم ويداه موضوعتان فى طى ثيابه

﴿ تاريخ بيتاقوس الفيلسوف ﴾

ظهر بيتاقوس فى الاولمبياد الثانى والاربعين وتوفى فى السنة الثالثة من الاولمبياد الثانى والخمسين وعمره سبعون سنة وهو ابن هيراديوس اصله من مدينة نهراس وولد فى مدينة ميلطينا وهى مدينة صغيرة من جزيرة ليسبوس قريبا من الاولمبياد التاسع والعشرين واستمر مدة صباه يمارس الامور العظيمة وكان من رؤساء العساكر وشجعانهم وكان محبا لوطنه واهله ومن حكمه ينبغى للانسان ان يدور مع الزمن وان لا يضيع الفرصة وفى اول امره تحزب مع اخى السيا على ميلانحوس الملك الذى كان تغلب واستولى على مملكة جزيرة ليسبوس وهزمه فصار له صيت عظيم فى الشجاعة بسبب هذه الواقعة وقيل انها وقعت حروب شديدة مدة من الزمن بين الميطيلينيين والاثينيين بسبب قطعة ارض تسمى اخليطيدس فالميطيلينيون اختاروا ان يكون كبير جيوشهم بيتاقوس فلما تجهز الجيشان وارادوا القتال طلب بيتاقوس المبارزة مع افروتون قائد جيوش الاثينيين لاجل ان يتحاربا وكان افروتون مشهورا بالشجاعة والنصرة فى جميع الحروب ولبس الاكليل مرارا عديدة فى الالعاب الاولمبيقية اى ميدان الصنم فرضى بذلك

افروتون

افروتون وقال ان الذى يغلب صاحبه يصير له الفخر ويكون حاكما لتلك الارض التى هى سبب للقتال من غير شك فتقارب هذان الاميران من بعضهما بين الجيشين وكان بيتاقوس قد خبأ سهمه تحت الدرقة وقبل ان يتهيأ افروتون للقتال رماه بيتاقوس بالسهم مسرعا فقتله امام الجيشين وصاح باعلى صوته انا ما قتلت رجلا وانما هى سمكة وصار بيتاقوس من هذا الوقت حاكما فى تلك الارض ولما طال عمره لان جانبه وصار يذوق حلاوة الفلسفة شيئا فشيئا وكان الميطبلينيون يكرمونه اكراما زائدا حتى جعلوه اميرا على مدينتهم فرتب قوانين فى الجمهورية فى جميع ممالكه ثم لما طال عمره واكتسب التجاريب حصل له التعب والمشقة مدة نحو اثنتى عشرة سنة فاختار لنفسه المعيشة فى الغربة اولى من هذه المعيشة التى حصلت له فى هذه المدة ثم شرع فى امر سهل لاجل المعيشة فى الدنيا فلما تم له ما اراده شهد له الميطبلينيون بجميع المعروف الذى صنعه من اجلهم وصنعوا له محلا عظيما جدا محتفا بانواع من اشجار الورد واشجار العنب وصنعوا فيه الشبابيك المذهبة المزينة لاجل ان يعيش بينهم مسرورا وينسى جميع ما اصابه من الامور الصعبة فى نظير ما صنعه معهم من الجميل فعندها جرد سيفه بعزمه من غمده وجذبه جذبة عظيمة فحصل له سرور عظيم من جذبة ذلك السيف فتعجب من هذا حكام البلد وطلبوا منه ان يخبرهم عن سبب جذب السيف فقال لهم لا تطيلوا فى الكلام ان هذا السبب اعظم عندى من جميع الاشياء ثم ان اكرسيوس كتب له فى بعض الايام ان يحضر عنده ويرى ما هو عليه من الثروة والغنى فكتب له بيتاقوس هذا الجواب أتريد ان تحضرنى الى مدينة ليديا لاجل ان انظر خزائنك وانا سواء نظرت ذلك ام لم انظره لا اظن انك اغنى الملوك واذا كان عندى جميع ما تملكه لا اظن فى نفسى ذلك وايضا لا حاجة لى فى النظر الى شئ لا ينفعنى فى معيشتى ولا ينفع احدا من اصحابى ولكن يمكن ان احضر عندك لاجل السرور بالاجتماع ثم ان اكرسيوس بعد ان قهر جميع الروم الذين كانوا بمملكة اسيانوى على ان يحضر

له سفنا ويسير فيها ليستولى على جميع جزائر اليونان وكان بيتاقوس فى ذلك الوقت بمملكة سرديس فسأله اكرسيوس عن خبر بلاد اليونان فقال له ايها الملك ان اهل الجزائر اشتروا عشرة آلاف فرس لاجل الحرب معك ويأخذوا مدينة سادريس فحصل له من ذلك وجل وقال له أتظن ان اهل الجزائر يقدرون على اخذ ممالكنا بخيلهم هذه فقال له بيتاقوس الظاهر انهم نووا على ذلك فلو رأيتهم ايها الملك على ظهور خيولهم وعلى الارض لرأيت عجبا ولا اظن انك تقهرهم اذا ارسلت اليهم جيوشا فى البر والاحسن ان ترسل اليهم جيوشا فى البحر فيمكنك ان تقهرهم انت والليديانيون الذين انتقمتم من الاروام وصاروا فى غاية الذل والاسر فظن اكرسيوس ان بيتاقوس كان صادقا فى ذلك القول الذى قاله له فرجع عما كان نواه واصطلح مع اهل هذه الجزائر وكان بيتاقوس قبيح المنظر وصورته بشعة وكان كثيرا ما يشتكى وجع عينيه وكان غليظ الجثة قليل الانتباه جدا وكان ردئ المشية بسبب خلل كان فى رجليه وكان متزوجا بنت القاضى ادراكون وكانت امرأة متكبرة بذية اللسان سيئة الاخلاق جدا بحيث انها لا تطاق وكانت تحتقره احتقارا كليا لبشاعة منظره ولكونها من ابناء الناس العظام وفى بعض الايام دعا بيتاقوس جملة من اصحابه الفلاسفة فلما طلب احضار الطعام لهم فمن سوء اخلاق زوجته ألقت السفرة بما عليها من الاطعمة واللحم فلم يغتم بيتاقوس من ذلك ولم يحصل عنده غيظ وقال لاصحابه انها مجنونة فلا تلوموها فى ما صنعته وذلك بسبب ما وقع له من زوجته من الشقاق ومن هذه القبائح كانت له كراهة شديدة فى النساء المخالفات لازواجهن وجاءه فى بعض الايام رجل يسأله فقال انى اريد ان اتزوج باحدى اثنتين واحدة منهما تساوينى فى الحسب وغيره والثانية اغنى منى واعلى نسبا فاختر لى واحدة منهما فرفع عليه عصا كان يتوكأ عليها وقال له اذهب الى مجمع الصبيان الذين يلعبون فيه واسمع منهم الذى يقولونه واعمل به فتوجه الرجل الى ملعب الصبيان

فسمعهم

فسمعهم ينبهون بعضهم و يقولون كل واحد يأخذ نده فاعتبر بذلك هذا الرجل وانتهى عن اخذ التي هي فوقــه فى الغنى والنسب واخذ الاخرى التي تقاربه فى الصفات وكان بيتاقوس كثير القناعة وكان لا يتعاطى شيئا من انواع الشراب ولم يكن يشرب غير الماء مع ان جميـع الاشربة من خمر ونبيذ كانت مبـاحة لجميع الناس بمدينة ميطيلينا وكان دائما ينهى برياندرس سرا عن شرب النبيذ لينال غرضه من سلطنة كورينته و يتمكن من بقـائه سلطانا وامر بان الذى يحصل منه ذنب حال السكر يضاعف عقابه وكان يقول ان الشرائع هى اعظم من كل شيء لان الآلهة فى اغلب الاوقات يلتزمون ان يطيعوا امر الشرائع وكان من ذوى العقول العظام المقربين فى الجمهورية لان الرجل الحكيم يلزمه دائمـا الامتثال لجميع ما يطرأ عليه من الشـدائد حتى تزول وتنكشف باسهل حالة وكان يقول انه يصعب على الانسان جدا ان يسعد نفسه بنفسه وكان يقول انه ليس شيء احسن من صنع المعروف المعجل وكان يقول اذا اردت نجاح امر فتفكر فيه وحدك ويلزم الاهتمام والاسراع فى عمل الشيء الذى تريد فعله وكان يقول ان النصر المقبول هو الذى يحصل من غير سفك دماء وكـان يقول يلزم الملك اذا اراد ضبط مملكته ان يكون هو وخاصته وجنوده طـائعين للشرائع مثل اقل الرعايا وقال لتلاميذه اذا شرعتم فى اختراع شيء اوعمل امر فلا تفتخروا به قبل تمامه لانه ربما منع من اتمامه سـوء حظ صاحبه فتسخر بكم العامة ولا تلوموا احدا بسبب مكروه اصابة فيصيبكم مثل ما اصابه ولا تتكلموا بسوء فى حق احد ولو كـان عدوا لكم واحفظوا اصحـابكم وعيشوا معهم بالمعروف مع الاحتراس فلربما انقلب الصديق عدوا وعليكم بالعفة والزهد والصدق وعليكم بطاعة الله واحفظوا ما ائتمنتم عليه من الودائع والامانات حتى تؤدوهـا الى اهلها ولا تبوحوا بالسر ابدا وكان قد نظم جملة من الاشعار وقال فيها يلزم الانسان ان يأخذ قوسه ونشابه ويقصد قتل ارباب الشرور فى اى محل يراهم به لان صـاحب الشر صدره مملوء

بالحقد وهذه لا يبيح بما فى ضميره فينبغى ان يكون الانسان منه على حذر وكان اكرسيوس ارسل اليه جملة من الدراهم على جهة الهدية فامتنع بيتاقوس من قبولها مع غاية فقره وارسل يقول له انا عندى قدر ما انا طالبه مرتين لان اخى توفى وليس له ذرية فرجع ميراثه الىّ وحدى وكانت اجوبته سريعة دائما وسئل اىّ الاشياء اكثر تغيرا فقال مجارى المياه واعراض النساء وسئل اىّ شئ لا يفعله الانسان الا بغاية النظر والتأنى جدا فقال اقتراض الدراهم من الاحباب وسئل ما الشئ الذى يلزم فى كل محل فاجاب ان الانسان يغتنم الخير ويصبر على الشر حين يأتى وسئل ما اعظم الاشياء فاجاب بقوله هو الزمن وسئل ما اخفى الاشياء فاجاب بقوله هو المستقبل وسئل ما الاكثر امانة فاجاب بقوله هو الارض وسئل ما الاكثر خيانة فقال هو البحر وقال له فوقيوس انى اريد ان استشير رجلا صالحا فى شئ فى ضميرى فقال له بيتاقوس لا يمكن انك تجد امينا ولو بحثت مهما بحثت وقيل ان تيرى بن بيتاقوس كان ذات يوم فى قومس بحانوت رجل حجام مع جمع من الشبان الذين كانوا يجتمعون هناك على العادة للتحدث والاستخبار فبينما هو كذلك واذا برجل صناعى ألقى سكة من حديد من غير عمد فوقعت على رأس تيرى فقسمتها نصفين فهمّ اهل مدينة قومس بقتل ذلك الرجل وامسكوه واحضروه عند بيتاقوس والد هذا الميت المقتول فبحث عما حصل لولده وعن ذلك الفعل فرأى ان الرجل الذى ألقى قطعة الحديد على رأس ولده غير متعمد بل هو معذور فعفا عنه وامر باطلاقه وقال ان الذنب الذى لم يكن مقصودا يستحق العفو عنه واما المقصود فيستحق التشديد على فاعله ويقاص بما يليق وكان يتسلى فى بعض الاحيان بنظم الاشعار وألف جميع قوانينه وبعضا من كتبه منظومة على طريقة الاشعار واشتغاله فى العادة كان يتسلى بدوران البغل فى الرحى لاجل طحن الحنطة والحب وهو كان استاذ افريقيدس وهو ممن جعله بعضهم من حكماء اليونان والذى كان موته من

العجائب

العجائب قيل انه لما كانت الحروب منتصبة بين الافسوسيين والمغنيسيين وكان افريقيدس له ميل عظيم لاهالى افسوس وهى مدينة اهل الكهف فتلاقى مع رجل فى طريقه فسأله من اى بلد هو فقال له من افسوس فقال له امسكنى من رجلى واسحبنى الى مدينة مغنيسيا ثم اذهب مسرعا الى الافسوسيين واخبرهم بالكيفية التى امرتك بها واوصهم ان يدفنونى بجانب المنصورين فجر ذلك الرجل افريقيدس كما امره وذهب للافسوسيين واخبرهم بجميع ما قاله افريقيدس فقاموا حالا الى الحرب وحصلت مقتلة عظيمة وانتصروا على اعدائهم وقصدوا الجهة التى كان اخبرهم بها فوجدوه فيها ميتا فحملوه حتى اتوا به مدينتهم وعملوا له جنازة عظيمة وتوفى بيتاقوس بجزيرة لسبوس وعاش سبعين سنة وكانت وفاته فى الاولمبياد الثانى والخمسين

﴿ تاريخ بياس الفيلسوف ﴾

كان هذا الفيلسوف فى عصر بيتاقوس وظهر فى زمن حكم هلياطس وزمن اكرسيوس اللذين هما من ملوك لوديا واصله من مدينة ابريت وهى مدينة صغيرة من ممالك كاريا وكانت له شهرة عظيمة فى سائر بلاد اليونان فى مدة حكم هلياطس واكرسيوس واستمرت شهرته من مبدأ الاولمبياد الاربعين الى وقت وفاته وكان من اعيان اهل المدينة المتعلقين باوطانهم وله معرفة جيدة بسائر الامور وصاحب تدبير وادب وعاش مقترا على نفسه مع انه كان اغنى اهل زمانه وكان يصرف جميع امواله لمساعدة المحتاجين وكان من اعظم خطباء اهل زمانه وكان كثيرا ما يحامى عن الفقراء والمساكين ولا يقصد بذلك الا تحصيل الشرف لوطنه ولم يكن له مدخلية الا فى الامور التى يجزم بانها حق وقد صار هذا مثلا فى جميع البلاد فكانوا اذا جزموا بصدق شئ يقولون هو مثل ما قال بياس واذا مدحوا خطيبا

قالوا انه مثل بياس وتعدى جماعة من قطاع الطريق قريبا من مدينة مسينه في موره على بعض السفن واخذوا منها بعضا من البنات وارادوا ان يبيعوهن فاشتراهن بياس منهم باغلى ثمن وارسلهن الى محله وبالغ فى اكرامهن حتى كأنهن من اولاده وبعد ذلك اعطى لكل واحدة منهن هدية عظيمة وارسلها الى اهلها فصار له بسبب ذلك شهرة وصيت عظيم بسائر بلاد الروم واغلب الناس انما كان يسميه امير الحكماء ثم بعد مدة من الزمن اتفق ان جماعة من الصيادين الذين بمدينة مسينه اخرجوا سمكة كبيرة فرأوا فى بطنها اناء من الذهب مكتوبا عليه يعطى لاعظم الحكماء فاجتمع قضاة اهل هذه المدينة وتشاوروا فى من يعطى له هذا الاناء فاجتمع البنات اللاتى صنع معهن بياس المعروف المتقدم ذكره وقلن لاهاليهن وآبائهن ان هـذا الاناء لا يعطى الا لبياس لانه اعظم الحكماء فاتفق رأى القضاة على ذلك فارسلوه الى بياس فلما وصل اليه ونظره وقرأ ما هو مكتوب عليه امتنع من قبوله وقال لست له اهلا وانما الذى يستحقه اوبولون يعنى صنم الشمس لانه اعظم الحكماء وزعم بعض الناس ان هـذا الاناء هـو الكرسى ذو الثلاث قوائم الذى تقدم فى ترجمة طاليس الفيلسوف وهذه الحكاية مخترعة على منوال الحكاية المتقدمة وقال آخرون ان الكرسى ارسل الى بياس اولا وكان الملك هلياطس سلطان مدينة لوديا خرب جملة من مدائن اليونان التى فى بلاد اسيا وبعدها حاصر مدينة بريانة وكان بياس فى ذلك الوقت رئيس قضاة المدينة فقاوم مدة طويلة ولكن لما كان هلياطس مصمما على بلوغ مقصوده حتى يبذل غاية جهده وحصل للمدينة كثرة التعب بسبب ما فيها من القحط الناشئ عن الحصار فعلف بغلتين له حتى سمنتا وطردهما على الجهة التى فيها عساكر الاعداء ليريه انهما هاربتان منه فلما رأى هاتين البغلتين مع غاية السمن حصل له غاية العجب وتخوف انه لا يمكنه اخذ هذه المدينة لكثرة خصبها وعدم قحط اهلها فدبر حيلة وارسل رجلا يتأمل له سرا فى احوال اهلها وينظر كيفية

معيشتهم

معيشتهم ولكن بياس فهم الذى يقع من هلياطس فصنع حفرا عظيمة وملأها رملا ووضع فى فم كل حفرة شيئا من انواع الحنطة والمطعومات بحيث ان الجواسيس اذا حضروا لا يرون الا كثرة الخصب فلما حضروا ورأوا ذلك اخبروا هلياطس بذلك ودخلت عليهم هذه الحيلة فرفع عنهم المحاصرة وقال اهل هذه المدينة يكونون فى الصلح وتحالف معهم واشتاق ان يرى بياس وارسل اليه ان يحضر عنده لينظر الى عسكره فقال بياس للرسول قل للملك انى ساكن فى هذه المدينة واوصيك ان تأكل البصل وتعيش فقيرا وتحزن فيما بقى من ايام عمرك وكان دائما يحب نظم الاشعار فنظم الفى بيت من الشعر وجعلها حكما تفيد جميع العالم ان كل انسان يمكنه ان يحسن معيشته ويحسن تدبير الجمهورية فى وقت الحرب والصلح وطالما كان يقول اجتهد فى كونك تحب جميع الناس لانك اذا بلغت ذلك ترى لذات كثيرة لا منفعة لها مدة حياتك وكان يقول ان اظهار التفاخر والازدراء بغيرك لا يفيد خيرا ابدا وقال عليك بحب اصحابك مع الاقتصاد وكن منهم على حذر فربما صاروا لك اعداء واقتصد فى بغض اعدائك ايضا لانه ربما صاروا فى العواقب لك احبابا وقال اختر لنفسك من تصاحبه وميز كل شخص على قدر درجته واقتد بمن يشرفك الاقتداء به واعلم ان صلاح الاصحاب يكون معينا على حسن شهرتك ولا تستعجل فى الكلام فان هذا علامة الطيش والجنون واجتهد فى اكتساب المعارف فى زمن صباك لان هذا يكون عونا لك فى زمن عجزك ولا يمكنك ان تصنع شيئا احسن من الذى يكون لك به الفخر فى الاواخر والغضب والاستعجال شيئان يضادان الحزم وكان يقول اهل الصلاح قليلون جدا واشرار العالم ومجانينهم كثيرون وقال لا تقصر ابدا فى وفاء ما وعدت به كما وعدت واشكر مولاك على ما اولاك واحمده فالحمد واجب على كل انسان وقال لا تثقل على اصحابك والاحسن لك ان تجبر على ان تأخذ وذلك خير لك من ان تجبرهم على ان يعطوك ولا تتصدى لما لا تستطيعه واذا عزمت على شىء فجبره بغاية

الهمة ولا تشكر انسانا لاجل غناه بل لصفاته الحميدة وقال ينبغي لك ان تتيقن كل وقت انه لا بد لك من الموت ولا سبيل للبقاء على وجه الارض والعافية هدية من الخالق والغنى امر اتفاقي والحكمة هي التي تجعل الانسان قادرا على اصلاح نفسه واهل وطنه وقال طلب المستحيل مرض من امراض العقل وسئل يوما عما يتسلى به الانسان فقال الاماني وسئل ما يسر الانسان فقال الاكتساب وسئل اي شئ يعسر على النفس حمله فقال هو الفقر بعد الغنى وكان يقول انه لا افقر ممن يصاب بمصيبة لا يصبر عليها وكان ذات يوم في سفينة مع جماعة من اهل الاشراك فهبت عليهم ريح عاصفة حتى اشرفت السفينة على الغرق فحصل للمشركين غاية الخوف من الموت وابتهلوا لآلهتهم بالدعاء بالنجاة فقال لهم بياس عليكم بالصمت لان آلهتكم اذا عرفوا انكم في السفينة اغرقوها وهلكنا جميعا وسأله رجل من اهل الشرك فقال ما يجب على كل انسان من العبادة للاله فلم يجبه بياس بشئ اصلا فاستعجل المشرك بالكلام وقال له ما سبب سكوتك فقال له بياس انت تسألني عن شئ لا يعنيك فلا جواب لك عندي وكان يقول انا احب ان افصل الخصومة بين اعدائي ولا افصل خصومة بين اصدقائي لاني اذا فصلت خصومة الاعداء وقضيت على واحد من الخصمين فقد ارضيت الآخر فاكتسب محبة من قضيت له واذا قضيت على واحد من اصدقائي للآخر فلربما صار المقضي عليه عدوا بعد ان كان صديقا وكان ذات يوم مضطرا لان يحكم بالقتل على صديق من اعز اصدقائه لاقتضاء الشرع ذلك فقبل ان ينطق بصيغة الحكم شرع في البكاء في وسط المحكمة فقيل له ما يبكيك مع انه لا يمكن ان يحكم احد بالقتل او البراءة غيرك فقال انما بكيت لان الجبلة اوجبت في الشفقة على من اصيب بنكبات الدهر وان الشريعة فرضت على اني لا اعتبر هذه الطبيعة وكان لا ينظم الاشياء التي تتعلق بالغنى في سلك الخير وان المال حظ للنفس يمكن ان يستغنى عنه الانسان وهو

زائل

زائل لا محالة وكان دائما يهدي الناس الى ما ينفعهم من غير فرق بين العظيم والوضيع ولما اخذت مدينة بريانة كان هو فيها فكان كل واحد من اهلها وقت السلب والهجوم يأخذ ما يمكنه ان ينجو به ويهرب الى المحل الذى يأمن فيه على نفسه فلم يبق فى المدينة الا بياس وحده مطمئنا لم يتحرك من محله وكأنه لم يشعر بشئ مع شدة الفتنة واختلال الامر ومع وقع هذه النكبة فسأله بعضهم لاى شئ لم تخرج متاعك كغيرك فقال انه لا يمكننى اخذ شئ عند وفاتى فلا يكون لى بذلك حاجة وما وقع له فى آخر عمره اشهر مما وقع له قبل ذلك فى اول حياته واتفق انه فى بعض الايام امرهم ان يحملوه الى المحكمة لاجل قضاء حاجة لبعض اصحابه مع غاية الاجتهاد وكان فى ذلك الوقت هرما فحصل له غاية المشقة حتى اسند رأسه على احد اسباطه الذى كان معه فى ذلك الوقت فلما فرغ الخطيب المحامى عن خصم صاحبه من محاماته حكم القضاة لصاحب بياس بالبراءة فقضى على بياس حالا ومات مستندا على ذراع سبطه فاجتمع اهل المدينة وعملوا له جنازة عظيمة وعزاء عظيما وحصل لهم الغم الكلى على موته وبنوا له قبرا عظيما مكتوبا عليه هذه الكلمات ﴿ كانت بريانة وطن بياس الحكيم الذى كان سابقا زينة جميع بلاد اليونان وكان اعظم الحكماء الفلاسفة رأيا ﴾ انتهت وكان عند اهل مدينة ابريانة معظما جدا حتى انهم شيدوا له هيكلا وصاروا يزورونه ويعظمونه

﴿ تاريخ برياندرس الفيلسوف ﴾

كان هذا الفيلسوف ملك مدينة كورينته وهو من الفلاسفة المتقدمين فى الاعصر الاول ولم تعرف السنة التى ولد فيها على وجه التحقيق ولا السنة التى توفى فيها ايضا وكان فيه نوع من الجنون ومن العجائب كون اليونان جعلوه حكيما مع ذلك وسبب ذلك انه كانت له حكم ظريفة ساطعة وله افعال قبيحة رديئة جدا

فاغتروا بسواطع حكمه ولم يتأملوا فى افعاله القبيحة مدة عمره وكان تارة يتكلم
كلام الحكماء واخرى بكلام الحمقى ولا يستحيى ولا يخشى من فضيحة حتى انه
اتى امه مع ان الطبع السليم يأبى ذلك واتفق انه نذر على نفسه انه اذا كان
ينتصر فى الملاعب الاولومبيقية يعمل صورة انسان من الذهب و يهديها لهيكل
جوبتير يعنى الشمس فانتصر فى اول الملاعب ولم يجد عنده من المال ما يوفى به
هذا النذر لكونه كان فقيرا فقطع ما كان على النساء المجتمعات للتفرج فى ذلك
الوقت من جميع الحلى فبهذه الطريقة وفى بنذره وهو كان ابن سبسيلس
من بدنة فيرقليدس وتولى سلطنة مدينة كورينته التى كان بها ميلاده فى مدة حكم
هلياطس ملك مملكة لوديا وكان تزوج لوسيس بنت امير ابيدور وكان يحبها
محبة زائدة فغير اسمها وسماها ميليس وله منها ولدان اولهما سبسيلاس وكان
بليدا سخيف العقل والثانى أليكفرءون كان عاقلا ذكيا يصلح ان يكون رئيس
مملكة وكانت زوجته ميليس ضخمة غليظة الجثة فاتفق ان بعض نساء زمانه
اظهروا له صورتها مع ما هى عليه من الغلظ على جهة الهزء فحصل له غيظ
عظيم من ذلك واخذته الحمية فقابل زوجته فى ساعته وهى صاعدة على سلم المنزل
فضربها برجله فى بطنها فسقطت من فوق الى اسفل فماتت هى وجنينها الذى
فى بطنها ثم بعد موتها ندم على ما فعله بها وحمله غمه على ان احضر النساء
المذكورات وامر باحراقهن فلما وصل خبر موت زوجته الى ابيها ابريقلى وما جرى
عليها من الامور الشنيعة ارسل فاحضر ولديها الاثنين ليسليهما على فقد امهما
وكان يحبهما حبا شديدا فلما حضرا عنده امهلهما لحظة لطيفة وقال لهما أما
تعرفان الذى قتل امكما فاما الاكبر فلم يفهم ما قيل له لسخافة عقله واما الاصغر
فحصل له تأسف شديد وتغير من ذلك واضمر فى نفسه انه بعد رجوعه الى مدينة
كورينته لا يخاطب والده ابدا ولا يمتثل له امرا فلما رجعا تحيل برياندر على
ولده الاكبر بجملة من الاسئلة كى يستفيد منه ما قاله لهما جدهما ابريقلى فلم يفده

ولده

ولده شيئا من ذلك لعدم فهمه ما قاله له جده الا انه اخبره ان موت امهما بلغ والدها فلم يقنع منه برياندر بذلك وطلب منه زيادة الاخبار بسرعة فتذكر كل ما كان قاله لهما جدهما عند خروجهما من عنده للسفر واخبر به اباه ففهم ابوهما الكلام الذى قاله لهما جدهما فاراد برياندر ان يجعل ولده الاصغر واسطة بينه و بين جده فى تلك الواقعة وامر اهل البلد انه اذا دخل ولده المذكور فى بيت واحد منهم لا يبقيه فيه زمانا ففهم ان اباه طرده او يريد نفيه فاراد الدخول فى بعض بيوت اهل البلد فلم يمكنه احد من ذلك خوفا من مغاضبة والده ثم بعد ذلك اجتمع على بعض اصحابه الذين يحبونه فادخلوه منازلهم وعزموا على مخالفة امر والده والخروج عن طاعته وبعد ذلك جمع برياندر اهل المدينة وقال كل من يدخل هذا الولد عنده يكون عقابه الموت فمن خوف اهل المدينة من هذا العقاب الشديد لم يتجاسر احد منهم على مصاحبته ولا الجلوس معه ولا على ادخاله منزله فمكث اليكفرعون مدة من الايام والليالى وهو فى ازقة المدينة لا يأويه احد ولا يدخله منزله كأنه من الحيوانات الوحشية فمر عليه والده برياندر بعد اربعة ايام فرآه فى حالة الاموات من شدة الجوع والمشقة التى حصلت له فرقّ عليه لما رآه فى هذه الحالة قال له يا اليكفرعون ما ألجأك الى هذه الحالة التى انت عليها والمعيشة الضيقة أتريد ان تتصرف فى جميع ممالكى كيف تشاء وفى جميع خزائنى التى املكها فانت ولدى وانت امير مدينة كورينته العامرة وان كان قد حصل لك غيظ على موت والدتك فعندى من الغيظ عليها ما هو اشد مما عندك خصوصا وانا الذى باشرت ذلك واما حالك هذا فانت الذى جلبته لنفسك بمخالفة والدك الذى يجب عليك بره ولكن حيثما عرفت ان من عاند اباه حصل له مثل ذلك واكثر فانا آذن لك فى الدخول الى بيتى فلما سمع كلام والده اجابه من غير اكتراث به وكان قلبه اقسى من الحجر وقال له انت الذى تستحق العقاب الذى تتوعد به الناس فلما رأى برياندر من ولده الجفاء وعدم اللين اخذ

فى اسباب بعده عن عينه ونفاه فى مملكة فورقيره التى كانت تحت حكمه ثم ان برياندر ازداد غيظا على ابريقلى بسبب الشقاق الذى حصل بينه وبين ابنه فعزم على قتاله وجهز له جيشا عظيما وسار اليه بنفسه وكان هو رئيس ذلك الجيش فتيسرت له جميع الاسباب فى تلك الواقعة بسهولة فاخذ مدينة اپيدور وقبض على ابريقلى ولم يقتله ولكنه خلده فى السجن ثم بعد مدة من الزمن صار برياندر هرما فارسل الى مدينة فورقيره وطلب أليكفرعون لاجل ان يوليه السلطنة ويجعل ذلك جبرا لما صنعه معه من المضرة فلم يرض أليكفرعون بذلك ولم يجب الرسول وكان برياندر يحب ابنه محبة زائدة فامر بنته ان تذهب الى مدينة فورقيره لظنه ان اخاها يقبل كلامها وانها تحضره بحيلتها ومكرها فلما وصلت هذه الاميرة الى تلك المدينة اقسمت على اخيها باعز ما عنده لتستعطفه وقالت له أتحب ان تصير تلك المملكة لغيرك فان الشوكة كالمرأة الجميلة الغير العفيفة التى لا تمكث مع عاشق واحد أما تعلم ايها الاخ العزيز ان ابانا صار الآن هرما وقد قربت وفاته فان لم تحضر سريعا يضمحل ملكنا وعزنا فينبغى لك ان تصمم على الحضور ولا تضيع ذلك العز والجاه الذى يكون لك فحلف لها أليكفرعون انه لا يعود ابدا الى مدينة كورينته ما دام والده مقيما بها فلما رجعت هذه الاميرة الى المدينة اخبرت اباها بما صمم عليه اخوها فارسل برياندر مرة ثالثة الى مدينة فورقيره الى ابنه يعلمه بانه متى اراد ان يستولى على مدينة كورينته فليحضر بها وانه يريد ان يقضى باقى ايامه بمدينة فورقيره فلما سمع اليكفرعون بذلك رضى به وكل واحد منهما تهيأ للانتقال من المدينة التى هو فيها فلما علم اهل مدينة فورقيره بذلك قتلوا أليكفرعون خوفا من ان برياندر يقيم عندهم فحصل له اليأس من ولده فامسك برياندر ثلاثمائة غلام من اولاد عظماء اهل المدينة وارسلهم الى هلياطس لاجل ان يجبهم ليصيروا خصيانا فلزم الامر ان السفينة التى كانوا فيها رست بهم على جزيرة شامس فلما

عرف اهل هذه الجزيرة السبب فى مجئ هؤلاء الفقراء حصل لهم شفقة عليهم واشاروا عليهم سرا بانهم يدخلون فى هيكل ديانه وهى صنمة فاذا دخلوا امتنع اهل مدينة كورينته من الدخول اليهم ولا يقدرون على اخراجهم من الهيكل لكونهم فى حماية الصنمة فاستدلوا بهذه الحيلة على طريق نجاتهم ولم يظهر من اهل المدينة عداوة لبرياندر وفى كل ليلة صار اولاد اهل تلك المدينة ذكورا واناثا يجتمعون ويرقصون حول الهيكل ويلعبون معهم وفى وقت رقصهم يرمونهم بالفطير المصنوع بالعسل من داخل الهيكل فتمنى هؤلاء الجماعة ان يدوم هذا الرقص فطال الامر على اهل مدينة كورينته ولم يتمكنوا من الاولاد فرجعوا الى مدينتهم ثانيا فلما رجعوا حصل لبرياندر غيظ شديد لما لم يتمكن من اخذ ثار ولده على الوجه الذى اراد وفى هذا الوقت كان رأى نفسه قد اشرف على الهلاك ودنا اجله وكان مراده ان لا يطلع احد على محل جسمه بعد وفاته فصنع هذه الحيلة يقصد بها اخفاء جسمه واحضر له شابين ودلهما على طريق منقطعة وامرهما بان يدورا الليلة الآتية فى تلك الطريق ويقتلا اول من يلاقيهما ويدفنا جسمه حالا فى ذلك المحل فتوجه هذان الشابان واحضر اربعة آخرين وامرهم بان يدوروا فى هذا المحل ويقتلوا الاثنين اللذين يقابلونهما ويدفنونهما وبعد ان ارسلهم احضر جملة من الناس وامرهم بان يقتلوا هؤلاء الاربعة الذين يقابلونهم ويدفنونهم فى المحل الذى يجدونهم فيه فامتثلوا امره وبادر هو الى الحضور فى تلك الطريق المنقطعة فقتله الشابان اللذان قابلاه كما امرهما وتم جميع ما امر به فلما علم به اهل مدينة كورينته عملوا له قبرا عظيما منقوشا وهو اول من غير اسم الحاكم بالظالم او الطاغية وكان يصاحب الفقراء وكان لا يأذن لجميع الناس فى ان يقيموا بالمدن على السواء وكان يتبع آراء ثرازيبولس وكان سرازيبول قد كتب له هذا الجواب انا ما اخفيت شيئا للانسان الذى ارسلته الىّ ولكن احضرته فى غيط قمح ودققت بحضرته جميع السنابل

الزائدة على غيرها فاتبع مثلى ان كان قصدك حفظ ملكك واهلاك كبار المدينة سواء كانوا اعداءك ام احبابك لان الغاصب لا ينبغى ان يأمن احدا ولو كان اعز اصحابه وكان يقول متى كان الانسان متعلقا بشئ وصرف اليه جهده وصل اليه كيف لا مع ان الانسان اذا احتال على برزخ بين بحرين هدمه وقال لا ينبغى للانسان ابدا ان يأخذ فى نظير عمله ذهبا ولا فضة فان ذلك قليل عليه وقال ان الملوك لا يمكن ان يوجد عندهم فخر اعظم من محبة الرعايا لهم وقال لا يوجد شئ احسن من الراحة وقال لا ينبغى ان يقتصر على معاقبة فاعل الشر بل يعاقب مثله من اضمر على فعله وقال الحظوظ تمر مر السحاب والفخار لا يعتريه ذهاب وقال ينبغى للانسان ان يكون لين الجانب عند الشدة حازم الرأى عند المصيبة وقال لا تبح بالسر الذى تؤتمن عليه وقال ينبغى للانسان ان يكون مع اصحابه على حالة واحدة سواء كانوا فى سعة ام ضيق ام شدة ام رخاء وكان يحب الحكماء فلذلك كتب لحكماء اليونان ان يحضروا بمدينة كورينته ويقيموا مدة من الزمن كما كانوا بمدينة ساردس فلما حضروا قابلهم بالبشاشة وبذل غاية جهده فى اكرامهم وكانت مدة حكمه اربعين سنة وتوفى قرب الاولمبياد الثانى والاربعين وزعم بعض الناس انه وجد اثنان مسميان بهذا الاسم وان حكم الاثنين وجميع ما قالاه وما فعلاه منسوب الى واحد

﴿ تاريخ شيلون الفيلسوف ﴾

كان هذا الفيلسوف موجودا فى الاولمبياد الثانى والخمسين وكان حينئذ هرما جدا وكانت مدة حياته قدر مدة بيتاقوس تقريبا وكان ظهوره بمدينة لقدمونا نحو الاولمبياد الثانى والخمسين وكان ثابتا جيد العقل جدا وكان دائما على حالة واحدة فى الشدة والرخاء واذا جلس كانت عليه السكينة والوقار ومكث مدة عمره

معتكفا

معتكفا فى محله من غير طمع فى شئ وكان يقول اصعب الاوقات ما قطعه الانسان فى الاسفار وعاش ملازما للصدق وكان يتعجب جميع الناس من حسن تدبيره وكثرة صمته وقلة كلامه حتى يتميز جميع ما يقوله ورتب امور معيشته على التأنى على طبق الحكمة التى قالها وهى قوله يلزم التأنى فى جميع الاشياء وفى نحو الاولمبياد الخامس والخمسين تولى فى المحكمة العالية بمدينة لقدمونا وهذه المحكمة تمنع الملك من التعدى على الرعايا وحصلت لاخيه منه غيرة بسبب ذلك وغيظ شديد فاجابه شيلون بجواب حسن فقال له هم اختارونى لكونهم رأونى أليق منك فى الصبر على الامور الصعبة التى تمر بى وعلى ترك الراحة التى كنت بها واقتحامى للاخطار التى تصيرنى اسيرا وقال لا ينبغى للانسان ان يرفض الكهانة بالكلية فان الانسان بقوة عقله يمكنه ادراك جملة من الاشياء المستقبلة واتفق فى بعض الايام ان بقراط قرب قربانا فى الملاعب الاولمبيقية فلما وضع لحم القربان فى قدر ممتلئ بماء بارد صار الماء حارا فى الحال وغلا وفار من غير نار توقد تحته وانتشرت الحرارة وفار الماء على فم القدر وكاد اللحم ان ينضج من غير نار كما تقدم وكان هناك شيلون فى ذلك الوقت فتأمل غاية التأمل فى هذا الامر العجيب وتعجب منه واشار على بقراط بعدم التزوج ابدا وقال له لو ساء حظك وتزوجت فلا بد لك من احد شيئين اما ان تطلق او تقتل جميع الاولاد الذين يحصلون لك من زوجتك فاخذ بقراط فى الضحك من قوله ولم يمنعه ذلك من الزواج فتزوج امرأة فولدت له بيزستراتث الملك الذى غصب سلطنة مدينة اثينا التى كانت وطنا له وظلم اهلها ولما نظر شيلون ارض جزيرة قيثير وتأمل احوالها صاح بحضرة عموم الناس وقال ياليت هذه الجزيرة لم توجد ولم ينكشف عنها البحر ابدا لانى ارى ان هذه الجزيرة تكون سببا فى هلاك اهل لقدمونا وكان الامر كما قال فقد اخذ الاثينيون هذه الجزيرة بعد مدة من الزمن وكانت سببا لتدمير الممالك وكان يقول اصعب الاشياء ثلاثة كتم السر وتحمل المسبة

وحسن صرف الزمن وكان قصير القامة وجيز الكلام اعيّ كان به وكان كلامه من جوامع الكلم وكان يقول لا ينبغي للانسان ان يهدد احدا لان هذا جبن من ذميم خصال النساء وقال اكثر الحكمة صون اللسان لا سيما في الولائم وقال ينبغي ان لا يغتاب الانسان احدا لان ذلك يورث العداوة وربما اسمعك ما تكره وقال ينبغي ان يزور الانسان احبابه في وقت الشدة اكثر من زيارتهم في الرخاء وقال الخسارة خير للانسان من كسب الحرام والظلم وقال لا تمدح انسانا متصفا بسوء الحال والاخلاق وقال ينبغي للرجل الشجاع ان يكون لين الجانب وان يعمل ما يصيره محترما عند الناس لا ما يجعله مخوفا وقال اعظم السياسة في دولة الحاكم هو تعليم السياسة المنزلية وقال ينبغي ان لا يتزوج الانسان المرأة الحمقاء وقال ينبغي ان لا يسرف في عمل الافراح وقال ان الذهب والفضة يمتحنان بالحك على الحجر وامتحان قلب الانسان بالذهب والفضة وقال ينبغي للانسان الاقتصاد في سائر الامور لان التبذير ربما جر الى الضياع وقال ان الحب والبغض لا يدومان فاذا احببت صديقا فأبق للعداوة موضعا واذا ابغضت انسانا فأبق للمحبة موضعا وكان قد كتب بالذهب في هيكل صنم الشمس لا ينبغي لك ان تتمنى ما هو اعلى من مقامك وقال الذي يضمن لا بد له من الخسارة ثم ان برياندر اراد ان يجلبه الى مدينة كورينته وبذل غاية جهده في ذلك لاجل ان يستشيره على حفظ السلطنة التي كان اخذها هذا الملك بالتغلب فاجابه شيلون بهذا الجواب انت مرادك ان تدخلني في مكاره الحرب وتبعدني عن وطني لاعتقادك ان ذلك يصيرك تعيش في امان مع انه لا شئ اقل ثباتا من ابهة الملوك فاسعد الملوك هو الذى يموت منهم على فراشه ولما احس ان اجله قد دنا وقرب موته جمع جميع اصحابه وقال لهم يا اصحابي أتعلمون انى عملت شيئا ندمت عليه وما ندمت على مشاورتى لكم فى الامور الا فى واقعة واحدة واريد ان اخبركم بها لاجل ان اعلم هل اصبت فيها اولا وهو انى كنت فى بعض الايام وانا ثالث

بجماعة

جماعة فى حكومة واحد من احبابى كان محكوما عليه بالموت عملا بالقوانين فتحيرت جدا ودار الامر بين مخالفة الشرائع والحكم على الحبيب بالقتل فمن بعد ما تفكرت فى ذلك عملت طريقة وهى انى اظهرت جميع ما يؤيد المدعى عليه المصود قتله مع اجتماع جملة من الناس ولم يمكن لاحد من ارباب القضاء ان يناقضنى حتى ظهرت لهم براءته ثم حكمت عليه بالقتل من غير ان اخبرهم بشئ فبهذا وفيت بحق كونى قاضيا وبحق كونى حبيبا ومع ذلك ارى نفسى غير مطمئنة وذمتى غير خالصة من الخطأ وطال عمره حتى اتعبته الشيخوخة والهرم وتوفى بمملكة بيزه وسبب موته ان ابنه غالب فى السباق فى الملاعب الاولمبيقية فتوجوه فلما عاينه فرح بذلك غاية الفرح وعانقه وطفح عليه السرور فقتله واهل المدينة عملوا له صورة من الذهب بعد وفاته

﴿ تاريخ اكليوبول الفيلسوف ﴾

كان هذا الفيلسوف فى العصر والعمر قريبا من سولون يعنى انه ظهر بين الاولمبياد الخامس والثلاثين والخامس والخمسين وكان اول الحكماء اعتبارا ولكنه كان غنيا وهو ابن اوجراس وينسب لهرقول بانه من ذريته وولد بمدينة لندة وهى مدينة بحرية من جزيرة رودس وظهر فى مدة حكم اكرسيوس ملك مدينة لديا وكان يعد من اعظم العقلاء من مدة صغره وكان له صورة عظيمة وقامة معتدلة ذا قوة شديدة وسافر الى بر مصر فى زمن صباه لاجل ان يتعلم الفلسفة على حسب عوائد ذلك الوقت ولما رجع تزوج بامرأة عظيمة جدا نشأت بين اهلها فى غاية العز فولد لهما بنت تسمى اقلوبيين صارت حكيمة جدا مما اكتسبته من ابيها حتى افحمت عظماء الفلاسفة فى ذلك الوقت خصوصا فى الالغاز وكانت اديبة محسنة جدا ومن حسن اخلاقها كان كل من حضر عند والدها فى الدعاوى تغسل رجليه قريبا كان ام بعيدا على حسب عوائدهم وكان قد اختير حاكما فى مملكة

صغيرة من ممالك اللنديين فوفق بأداء الحكومة حتى كأن المملكة من اجله انما هى عيلة واحدة وكان يتباعد جدا عن الامور التى تجلب الحرب وكان يحب الاتفاق مع اهل البلاد ومع الغرباء واعظم معرفته فى المكاتيب التى كان يكتبها ويلقيها على الناس لانه كان اما ان يفسر فيها مسائل معضلة بغاية الدقة واما ان يكتب فيها ألغازا و يلقيها على الناس فهذا هو الذى صير له صيتا وشهرة عظيمة وهو الذى اظهر فى بلاد اليونان الالغاز التى تعلمها من المصريين وهو صاحب هذا اللغز الآتى انا اب لى اثنا عشر ولدا كل ولد له ثلاثون بنتا مختلفات الجمال منهن من وجهها كامل فى البياض ومنهن من وجهها كامل فى السواد وكلهن غير فانيات ويمتن كل يوم وجواب هذا اللغز السنة وهو الذى عمل الرسوم المكتوبة على قبر ميداس ومدح هذا الملك بالمدح الكلى وزعم بعض الناس ان هذه الكتابة هى من عمل اوميروس مع ان اوميروس كان قبل ميداس بزمن طويل وكان هذا الحكيم يقول ان اصل الفضائل الفرار من الظلم والامور الذميمة وقال ينبغى مراعاة الترتيب والزمن والمقايسة والتأمل فى جميع الاشياء ولاجل ابعاد الحمق العظيم من جميع الممالك يلزم كل واحد من اهالى البلد ان يعيش على قدر مرتبته وانه لم يوجد شئ فى الدنيا اكثر من الجهال والمتشدقين وكان يقول اجتهد دائما فى ان تكون عظيم الرأى لا جاهلا ولا خائنا واصنع الجميل مع اصحابك واعدائك فبهذا تبقى مع احبابك على المحبة ويمكن ان تكتسب محبة اعدائك وقبل خروجك من منزلك تفكر فى الذى تريد ان تعمله وبعد دخولك فى منزلك أعد فكرك فى الذى تقدم وكان يقول تكلم قليلا وتفكر كثيرا ولا تتكلم فى احد بسوء ابدا واستشر دائما الذى تظنه اعقل منك ولا تتهمك على الحظ واصطلح مع اعدائك ان كان لك اعداء ولا تأخذ شيئا بطريق القهر والغلبة واجتهد فى تربية ذريتك وفى تعليمهم ولا تسخر من الفقراء واذا تبسم لك الوقت فلا تكن متكبرا واذا جار عليك الوقت

فلا

فلا تضجر ابدا ولا تتزوج دائمـا الا بالكفؤ لانك اذا تزوجت بامرأة تكون اعلى منك حسبا كان جميع اقاربهـا كأنهم ساداتك ولهم عليك الكلمة وكان يقول ان الاب يلزم ان يكون عنـده تمييز خصوصى لذرية البنـات ولم يلتزم ابدا ان يزوجهن بمجرد بلوغ السـن بل بعد كمال عقل النسـاء وحسـن الرشـد وان الرجل لا ينبغى له مدح زوجته عنـد الاجانب ولا يليق به ذلك ولا تنبغى المشـاجرة معها عنـد الاجانب ايضا فان مدحهـا عد ذلك ضعفا وان نازعها بحضرة الناس كان ذلك من الجنون ولما علم اكليوبول ان سولون ترك بلده بالكلية عمل غاية جهـده لاجل ان يجذبه ويجلبه عنده وكتب له هذا الجواب ونصه ان لك كثيرا من الاصحـاب الذين جميـع بيوتهم كبيتك فاظن انك لم تكن تستريح فى ملكك احسن من مدينـة لندة فهذه المدينـة هى بحرية وحرة بالكلية ولا تخف ابدا من بيزستراتث وجميـع اصحابك يحضرون ينظرونك ولا يخشـون من شئ انتهى واكليوبول مضى ايام عمره متوسـط الحـال ومعيشـته سالمة خالية من هموم الدنيـا وكان حسن العشرة مع زوجته واولاده واهالى بلده وكان فلسفيا عظيما وتوفى بعد ان عاش سبعين سنة وكان طول عمره محترما مبجلا واهل مدينة لندة حزنوا عليه الحزن الشديد وعملوا له قبرا عظيما منقوشا لاجل تشريفه

﴿ تاريخ ابمينيدس الفيلسوف ﴾

جاء بمدينة اثينا فى الاولمبياد الخامس والاربعين ويقال انه نام سبعة وخمسـين سنة فى مغارة وقد عاش فى هذه المغارة مائة واربعة وخمسـين سنة وقيل مائة وسبعة وخمسين سنة وقيل مائتين وثمانية وتسعين سـنة وكان ابمينيدس من مدينة اغنوس واشتهر فى جزيرة كريد حين ان كان سـولون مشهورا شهرة عظيمة فى مدينة اثينا وكان ابمينيدس منهمكا فى العبادة وافنى عمره فى الزهد والديانة وكان اليونان

يزعمون انه ابن منف بلط وهو عندهم جنية او من الحور العين وكانوا يعتقدون انه يوحى اليه لانه كان دائما ذا كهانة واخبار بالمغيبات وكان لا يشتغل دائما الا بنظم الاشعار وبالاشياء المتعلقة بالديانة فكان اول من قرب القربان للهياكل وطهر الارض والمدائن والمنازل وكان لا يعتبر اهل بلده ولا يحترمهم فان مارى بولس ذكر بعضا من اشعاره التى قالها فى حق اهل جزيرة كريد ووصفهم فيها بكونهم ارباب كذب عظيم وارباب كسل وانهم من شر الحيوانات وكان ابيمنيدس ارسله ابوه ذات يوم فى الخلاء ليرعى نعجة له فى الكلا فعند رجوعه الى المنزل رجع من طريق طويلة وكان اذ ذاك وقت الظهيرة فاشتد به الحر فدخل فى مغارة لاجل الراحة الى ان تذهب شدة الحر فنام فيها سبعة وخمسين سنة فلما استيقظ من نومه ظن انه نام على العادة مدة قليلة فنظر الى النعجة فلم يجدها فخرج من المغارة فرأى سطح الارض قد تغير بالكلية فتعجب جدا من ذلك وذهب يعدو وهو متعجب الى المحل الذى بعثه ابوه منه بالنعجة فرأى المساكن قد تغير اهلها وصار يخاطبهم فلم يفهموا ما يقول فذهب فى مدينة اغنوس حائرا خائفا فصار يرى وجوها غير التى كان يعهدها فزاد تعجبه جدا من ذلك ودخل بيت ابيه فسأله اهل المنزل من اين انت وما تريد فصار يذكر لهم حال نفسه وصفتها وهم لا يفهمون ذلك ولم يعرفه احد منهم الا اخاه الصغير الذى كان ولد فى زمن خروجه بالنعجة وصار الآن شيخا هرما فعرفه بعد ان حصل له التعب الشديد فى افهامهم فصار له فى جميع البلاد صيت وشهرة بهذا الامر العجيب المستغرب وصاروا يرون ذلك من المعجزات الا جماعة لم يصدقوا انه مكث فى نومه تلك المدة بل اعتقدوا انه كان فى هذه المدة مسافرا فى بلاد غريبة غير معروفة ثم عند حضوره اخبر بذلك الامر او انه اراد بذلك خطاب الحمقى ولما فعل مغقليس امورا فظيعة فى فتنة قولون فقتل جميع من كان فى هذه الفتنة حتى انه لم يحترم من احتمى فى محاريب الاصنام بل قتله ايضا فحصل عند الاثينيين خوف من ذلك

ثم

ثم ازداد خوفهم من الطاعون الذى افناهم وخرب بلادهم وزعموا ان مدينتهم امتلأت من الجن فذهبوا الى معبودهم الذى يقربون له القربان واخبروه بما وقع فى المدينة من امتلائها بالجن وان ليس هذا الا سحرا فيها وكتابة ببغضها وكراهتها فلذلك وقع فيها هذه الامور الشنيعة وارسلوا حالا رجلا يسمى نقياس الى جزيرة كريد واعطوه سفينة لاحضار ابيمينيدس الذى اشتهر امره فى جميع بلاد اليونان فلما حضر فى مدينتهم اخذ جملة من الغنم البيض والسود وذهب بها الى محكمتهم المسماة اريوباج وتركها تمشى على حالها كما تريد وامر جماعة ان يتبعوها وامرهم ايضا بان يذبحوها وكلما ذبحوا واحدة يجعلونها قربانا لاله من الآلهة ويكون الذبح المذكور فى المكان الذى تقف فيه النعجة عن المشى لنحو الاستراحة فلذلك كان فى زمن لويرس يرى حول مدينة اثينا جملة من المحاريب والقربان مهداة لآلهة غير معينة وقد ترتب على هذا الفعل مقصودهم فذهب الطاعون من عندهم وعند حضور ابيمينيدس الى مدينتهم حصل بينه وبين سولون الصحبة وغاية المودة وحصل لابيمينيدس السرور من احكامه وصار ينهاهم عن الامور الغير اللائقة التى كانت تفعلها النساء على القبور وصار يعودهم شيئا فشيئا على ان يحضروا الصلاة فى وقتها وان يقربوا القربان لمعبوداتهم وقال لهم يلزم الانسان ان يجرى على هذا المنهج وان لا يرتكب الا ما يليق بحاله ولا يعصى الحكام والقضاة وذهب ذات يوم ليتفرج على مينا مدينتهم المسماة مونيخيا فلما رآها قال لمن حوله ان الناس فى غفلة عظيمة لانهم لم ينظروا فى العواقب ولو علم اهل مدينة اثينا ما ينشأ عن هذه المينا من المصائب الكثيرة لبادروا بسدها واهتموا بابطالها ثم انه بعد ان مكث مدة من الزمن فى مدينة اثينا اراد السفر من عندهم وعزم على عدم العود اليها ابدا فجهز له الاثينيون سفينة عظيمة وعرضوا عليه مقدارا من الدراهم فى نظير تعبه فامتنع من اخذها وقال يكفينى سرورا وفرحا محبتكم والذى ارجوه منكم ان تعقدوا المعاهدة بينكم

ويننـا وكان قبل خروجـه بنى فيها هيكلا عظيما وجعله منذورا على الفورية وهى من السفليات وامر ابيمينيدس الياقوسيين انهم يلاحظونه ويتذكرونه فى جميع امورهم وكان لا يراه احد يأكل ابدا فكانوا يزعمون ان الوحى هو الذى يطعمه وانه جاعل له ما يأكله فى ظلف بقرة وهو المنّ ولا يأكل سوى ذلك من غير ان تخرج منه فضلات اصلا وكان يخبر اهل مدينة لقدمونا بما سيحصل لهم من الارقاديين من الشدة والصعوبة والاسر وكان يبنى هيكلا وهبه للوحى او للجان فبينما هو يبنى اذ سمع صوتا من السماء يصيح به يا ابيمينيدس لا تقل ان هـذا الهيكل للوحى وانمـا هو للاله الاعـلى وبلغه ان سـولون خرج من مدينـة اثينا فكـتب له جوابا لتسليته وجبر خاطره وامره فيـه بانه يجتهد فى الذهـاب الى جزيرة كـريد وقال له يا صـاحبى عليـك بالصبر وليكـن عندك اهتمـام فى النظر فى حال بيزسـتراتث فان كان قد اعاد النـاس المعتـادين على عدم الحرية والاسـتقلال من حكمه او الذين لا يمكنهم الاستمرار تحت القوانين العظيمة لما كـانوا عليه من الذل و الاسترقاق فانه يمكن ان يدوم حكمه و يمكن زمنا طويلا ولكن حيث كان هؤلاء الناس اهلا للحرية ومستعدين للذب عن انفسهم فانك اذا طلبتهم لذلك وجدتهم معك وذلك لما هو حاصل لهم ممـا يوجب الفضيحة من وضع الاغلال فى اعنـاقهم المدة الطويلة فى حكم هذا الرجل ولو فرض ان بيزستراتث يبقى حاكما طول عمره بهذه المثـابة فانه لا يمكن لذريته التولية بعـده على المملكة وذلك لان النـاس الذين تعودوا على الحرية والاسـتقلال و القوانين الحسنة لا يمكنهم ان يمكثوا ويستمروا على هذه الحالة من الذل والاسر واخبرك بانك لا تسـكن ابدا بلاد الغير كأنك غريب تذهب من محل الى محل آخر بل بادر بالحضور عند بمدينة كريد التى ليس فيهـا ظلم ولا طغيـان اصلا فانى اخشى عليك ان يقابلك بعض اصحاب بيزسـتراتث فى الطريق كما هو الظـاهر فلا تضر الا بنفسـك وافنى ابيمينيدس عمره فى تعليم الاشياء المتعلقة

بالديانة

بالديانة وكان يحب نظم الاشعار فقد ألف جملة من الكتب مراعيا فيها قانون
علم الشعر ونظم كتبا ايضا وتكلم فيها على غزوات عدة امم وصنف مصنفات
اخرى فى تقديم القربان وفى جمهورية جزيرة كريد وألف ايضا تأليفات تتعلق
بما وقع بين مينوس ورادمنتى ومات ابمينيدس وسنه مائة وسبع وخمسون سنة
وقيل ان عمره مائتان وثمان وتسعون سنة وكانت مدة حياته محتوية على حكم
واسرار وقد تعجب بعض الناس غاية العجب فى المدة السابقة التى مكثها
فى المغارة وهو نائم ثم استيقظ بعدها وكان اهل جزيرة كريد يقربون له بعد موته
القربان كأنه اله وكان مسمى عندهم قوريت يعنى سيدا وقد اعتنى به اهل
مدينة لقدمونا وحفظوا جسمه عندهم غاية الحفظ بسبب اخبار بعض الكهنة
القدماء بذلك

﴿ تاريخ انخرسيس الفيلسوف ﴾

جاء هذا الفيلسوف فى مدينة اثينا فى الاولمبياد السابع والاربعين وقتل بعد ان رجع
لبلده بمدة قليلة من الزمن ويقال انه ظهر فى عصر جماعة كثيرين من اعظم
الفلاسفة المتقدمين وكان انخرسيس تتارى الاصل وكان محترما بين الحكماء
غاية الاحترام وكان اخوه يسمى قدويداس ملك بلاد التتار وكان ابوه يسمى
اغنوروس وكانت امه يونانية فلذلك كان جامعا بين اللغتين وكان فصيحا
ذا نشاط فى كل شئ يعانيه ويتعلق به وكان يلبس فى اغلب اوقاته ثيابا عريضة
طويلة مرتفعة الثمن جدا وكان غذاؤه خصوص اللبن والجبن فقط وكان سريعا
فى خطبه مع اختصار دقيقا فى ألفاظه وعباراته ولاجل كونه لا يسأم من مطلق
شئ يزاوله ويعانيه كان كلما تعلق بامر من الامور اتمه واكمله وكانت سليقته
البلاغة والسرعة فى الكلام وكانت عباراته تستعمل كالامثال فكان اذا سأله احد

فى النطق بمثلها يقال ان فلانا يتكلم بعبارة تتارية وقد رفض انخرسيس سكنى
بلاد التتار وعزم على السكنى بمدينة اثينا فحضر فى تلك المدينة وذهب الى بيت
سولون وقرع الباب فجاءه شخص يفتح له الباب فقال له اخبر سولون بان من
بالباب اتى بقصد زيارته والسكنى عنده مدة من الزمن فارسل سولون يقول له ان
الانسان لا يمكنه قبول الضيوف الا ببلده او بمحل يكون له فيه التصرف فلما سمع
انخرسيس ذلك دخل فى البيت وقال يا سولون انت فى بلدك وفى بيتك الخاص بك
فحينئذ عليك ان تقبل الضيوف فخذ فى اسباب الصحبة معى فتعجب من فصاحته
وحصل له غاية السرور من ضيافته وعقد معه الصحبة واستمرا على الصحبة
والمودة الى آخر عمرهما وكان انخرسيس يحب نظم الاشعار فلذلك نظم
جميع قوانين بلاد التتار وضم لذلك منظومة فى علم الحرب وكان كثيرا ما يقول
شجرة الكرم ينشأ عنها ثلاثة اشياء السكر والحظ والندم وكان يتعجب كثيرا
من مجالس اثينا العمومية وذلك ان الحكماء هم الذين يفيدون الاحكام ولا يجريها
الا الجهلى وكان يعجب ايضا من الحكم بالعقاب على من حصل منه سب لاحد ولو
اقل قليل ولا يلتفتون لمن يحصل منه اعظم من ذلك كاصحاب الالعاب من سبهم
الاعيان وغيرهم فى ألعابهم بل يحترمونهم ويكرمونهم وكان يتعجب ايضا من
اليونان فى موائدهم حيث يشربون فى ابتداء الاكل بالكاسات المتوسطة بين الصغر
والكبر وفى آخر الاكل يشربون فى الكاسات الكبيرة مع احساسهم بمبادئ السكر
وكان لا يمكنه ان يتحمل المزح ونحوه مما شأنه ان يكثر صدوره فى الولائم وسألوه
ذات يوم كيف العمل فى منع الانسان من شرب النبيذ فقال لهم لم يوجد فى ذلك
طريقة احسن من ان يجعل امام ذلك الانسان شخص سكران فيذهب عنده
ويختلى معه ويتأمل فى احواله وسألوه ايضا ذات يوم هل فى بلادك آلات
موسيقى فرد عليهم تبكيتا لهم وقال بل ولا العنب وكان يسمى تدليك المسارعين
بالزيت حين ارادتهم اللعب تجهيز الجنون العظيم وقد تأمل ذات يوم فى

نخن

تخن ألواح سفينة فتأوه باعلى صوته وقال ان المسافرين فى البحر ليسوا بعيدين
عن الموت الا بمقدار اربعة اصابع وسألوه ايضا عن آمن السفن فاجاب
بانها هى التى تأتى الى البر سالمة وكان دائما يكرر ويقول يجب على
كل انسان ان يمتلك لسانه وبطنه وكان عند نومه يضع يده اليمنى على فيه
وهذا منه اشارة عظيمة الى انه ينبغى للانسان ان يهتم الاهتمام الكلى ويحرص
على حفظ لسانه وصونه وجاء رجل من اثينا وعيره بكونه من التتار فقال له
ان بلدى قد فضحتنى وانت قد فضحت بلدك وسئل ذات يوم هل فى الرجال قبيح
وحسن فاجاب بان فيهم اللسان وكان يقول الصديق الواحد الموفى بحق
الصحبة والصداقة اولى واحسن من اصحاب متعددين لا يجتمعون على الانسان
الا فى حال الثروة والغنى وكان حين يسأل هل الاحياء اكثر ام الاموات
يقول فى الجواب من اى قبيل تعدون من فوق البحر وكان يقول اتخذ الناس
الاسواق لاجل غش بعضهم فيها وكان ذات يوم مارا من زقاق فسخر به
رجل بعقله تخدير فرمقه بطرفه وقال بهدويا هذا الشاب انك الآن وانت شاب
لم تتحمل النبيذ فسيير بك تحمل الماء وانت شيخ هرم وطالما شبه القوانين
بنسج العنكبوت وكان يلوم سولون على دعواه ان كتابة القوانين
تمنع شهوات الناس ومن مخترعاته طريقة عمل اوانى الفخار بالدولاب
وذهب انخرسيس ذات يوم الى كاهنة صنم هيكل الشمس ليستخبرها هل
يوجد حكيم اعظم منه فقالت له نعم وهو ميزون الشانيسى فتعجب
انخرسيس من كونه لم يكن سمع به قط وذهب يبحث عنه فى قرية كان هاجر اليها
فوجده يصلح محراثه فقال له يا ميزون لم يبق لحرث الارض وقت فقال ميزون قد
عكست بل وهناك وقت لاصلاح المحراث المكسور وميزون هذا قد عده
افلاطون من جملة الحكماء وكان منفردا دائما عن الناس ومضى عمره على ذلك
لا يجتمع مع احد لانه كان يكره الناس بالطبع ورؤى ذات يوم ابعد فى مكان العزلة

وهو يكثر فى الضحك جدا فقرب منه انسان وسأله ما سبب هذا الضحك الكثير مع عدم وجود احد عندك فقال له هذا هو سبب ضحكى وكان اكريسوس قد سمع بصيت انخرسيس كثيرا فارسل بعرض عليه هدية دراهم وترجاه ان يحضر اليه بساردیس فاجابه انخرسيس بقوله يا سلطان اللديين اتيت بلاد اليونان لا تعلم اللغة والاخلاق وعوائد البلاد ولست محتاجا لذهب ولا لفضة وسيدخل على سرور كبير حين ارجع الى بلاد التتار اهر مما كنت عليه وقت خروجى منها وساحضر عندك لاجل زيارتك لانى اتمنى ان اكون من اصحابك وبعد ان مكث مدة طويلة فى بلاد اليونان عزم على الرجوع الى بلاده فلما مر فى سيره بمدينة « قيريبيك » رأى اهلها فى اشهار العيد العظيم لام الآلهة فنذر انخرسيس لهذه الالهة على نفسه قربانا وعيدا مثل قربانهم وعيدهم وان يرتبهما لهما ببلده فى كل سنة ان وصل الى بلاده سالما فلما وصل الى بلده اراد ان يغير عوائدهم القديمة وان يجرى فيها قوانين اليونان فلم يعجبهم ذلك اصلا ودخل ذات يوم فى غابة سرا ببلدة « هوله » ليوفى ما عليه من النذر الذى التزمه خفية من غير ان يطلع عليه احد فاخذ يعمل المولد لها وهو ماسك بيديه طبلة قدام القربان الذى نذره لآلهة اليونان كما يعملون فاطلع عليه شخص من اهل بلاد التتار فذهب الى الملك واخبره بذلك فحضر الملك فى هذه الغابة ورأى اخاه انخرسيس على تلك الحالة فضربه بسهم فغاص فيه فلما قرب خروج روحه صرخ وقال باعلى صوته قد تركت فى الراحة ببلاد اليونان التى كنت ذهبت اليها لاتعلم اللغة والاخلاق وعوائد بلاد ميلادى ثم انهم جعلوا له جملة صور بعد وفاته لتبقى سيرته

تاريخ فيثاغورس الفيلسوف

ظهر فيثاغورس قريبا من الاولمبياد المتمم ستين وجاء الى ايطاليا فى الاولمبياد الثانى والستين وتوفى فى السنة الرابعة من الالومبياد المتمم سبعين وعمره ثمانون سنة

وقيل تسعون سنة وكان يوجد فرقة مشهورة بالفلسفة فى «يونيا» وايطاليا فطاليس من مدينة مليطا كان شيخ اليونانية وكان فيثاغورس شيخ الايطالية وقد روى ارستيب القرنيانى ان هذا الفيلسوف سمى فيثاغورس لانه كان من قوة كهانته يخبر بالاشياء فتقع كما اخبر مثل اخبار كهنة الشمس وهو اول من امتنع تواضعا منه ان يلقب حكيما ورضى بلقب الفلسفة والصحيح الذى اشتهر ان فيثاغورس من جزيرة ساموس وان اباه كان يسمى امنيزارك النقاش وان حقق بعضهم انه من طوسكانه وانه ولد بجزيرة صغيرة من جزائرها التى استولى عليها الاثينيون الممتدة على شاطئ البحر الترهينى وكان فيثاغورس يعرف صنعة ابيه وصنع بنفسه ثلاثة كؤوس من الفضة واهداها لثلاثة من القسيسين المصريين وكان اشد ميلا لاول معلميه الحكيم فيرسيد وكان هذا الحكيم يحبه جدا حتى انه ذات يوم كان على خطر الموت من المرض فاتاه تلميذه ليعوده وينظر حاله فمن خشية فيرسيد ان يكون مرضه معديا اسرع بغلق الباب دونه واخرج اصابعه من بين الواح الباب وقال له انظر وتأمل لاصابعى التى قد نحلت تعلم حالتى وبعد ان مات فيرسيد مكث فيثاغورس مدة من الزمن وهو يتلقى عن هرمودامنط بجزيرة ساموس ثم بعد ذلك لرغبته الكلية فى التعلم ومعرفة اخلاق الغرباء ترك وطنه وجميع املاكه للسفر فمكث بمصر مدة طويلة لمخالطة القسس وليتبحر فى الاشياء الدقيقة الخفية فى ديانتهم وكتب بوليقراط الى امزيس ملك مصر يوصيه على فيثاغورس باكرامه واحترامه ثم بعد ذلك توجه فيثاغورس الى بلاد الكلدانية ليتعلم علم المجوس وبعد ان سافر فى عدة مواضع من بلاد المشرق اتى الى مملكة كريطه واتحد مع الحكيم ابيمنيدس اتحادا كليا ثم خرج من هذه المملكة ذهب الى جزيرة ساموس فرأى اهل بلده قد حل بهم الظلم تحت حكم بوليقراط فحصل له غيظ شديد من ذلك وقدح فكرته فى هذا الشان فأدته الى انه ينفى نفسه بنفسه فذهب الى ايطاليا وسكن باقروطون فى بيت ميلون وعلم الناس الفلسفة

واشهرها فنشأ من ذلك ان المذهب الذى علمه سمى ايطاليا وقد انتشر صيت فيثاغورس وشاع فى سائر بلاد ايطاليا وكثرت تلامذته فكان الملازمون له اكثر من ثلاثمائة تلميذ فتألف منهم جمهورية صغيرة مرتبة ترتيبا حسنا وذكر جماعة فى كتبهم ان «نوما» كان من جملة هذه العدة وانه سكن بمدينة اوقرطون عند فيثاغورس حين اتته سلطنة مدينة رومية ولكن ادعى ثقاة النسابين انه لم يقل ما تقدم الا بسبب ان فيثاغورس وافقت آراؤه آراء «نوما» الذى كان يعيش قبل وجود هذا الفيلسوف زمنا طويلا وكان فيثاغورس يقول ان سائر اشياء المحبين شيوع بينهم وان المحبة تورث المساواة بين الاحباب فلذلك كان هؤلاء التلامذة متحدين ولم يتميز احد منهم بشئ يخصه بل كان كل ما يملكونه لجميعهم ولم يكن لهم الا كيس واحد وكان التلميذ يمكث خمس سنواته الاول فى استماع اصول معلمه من غير ان يتفوه فى تلك المدة بكلمة واحدة ثم بعد هذا الامتحان الطويل ومقاساة تلك الشدة يؤذن له فى الكلام وان يحضر عند فيثاغورس لزيارته والمحاورة معه وكان فيثاغورس مهابا محترما وكان معتدل القامة حسن الصورة وكان فى جميع اوقاته يلبس ثوبا لطيفا من الصوف الابيض مع غاية النظافة دائما وكان لا يميل لهوى نفسه وحظوظها وكان اذا اودع سرا لا يبوح به ويحافظ على كتمانه جدا ولم يره احد يضحك ولم يسمع منه مزاح ولا هزل وكان لا يقتص من احد فى حال غيظه بل كان لا يضرب عبيده بيده فلهذا كانت تلامذته يعتقدون الوهيته وكان جميع الناس يأتونه افواجا افواجا من سائر الجهات ليحظوا بسماعه ويتأملوا منه وهو بين تلامذته فكان يأتى فى مدينة اقرطون فى كل سنة اكثر من ستمائة من الناس من جميع البلاد فكان السعيد عندهم صاحب الشان العظيم هو الذى يدنو من فيثاغورس ويتداخل معه قليلا وكان فيثاغورس قد رتب لجملة من الامم قوانين لطلبهم ذلك منه وترجيهم له وقد كان من كثرة ما اعجب جميع الناس ما كانوا يفرقون بين اقواله

واقوال

واقوال كاهن دلفيس وكان يحرم الحلف بالآلهة والاستشهاد بهما في جميع الاشياء تحريما كبيرا وكان يقول يلزم لكل انسان ان يغلظ على نفسه حتى يصير متصفا بالكمال لاجل ان لا يعسر على احد تصديقه بمجرد الاخبار وكان يزعم ان العالم له روح وادراك وان روح هذا الدولاب العظيم هو الاثير فمنه جميع الارواح الجزئية للآدميين وسائر الحيوانات وكان يقول ان الارواح لا تفنى غير انها تسوح في الهوى من جهة الى اخرى الى ان تصادف جسما ايا كان فتدخل فيه مثلا اذا خرجت الروح من جسد الانسان فيتفق ان تدخل في جسم فرس او ذئب او حمار او فار او طائر اوسمكة او غير ذلك من باقي انواع الحيوانات كما يتفق انها تدخل في جسد الانسان ايضا من غير فرق كما انها اذا خرجت من جسم اي حيوان تدخل في جسم انسان او في جسم حيوان فلذلك كان فيثاغورس يشدد في منع اكل الحيوانات وكان يزعم ايضا ان ذنب من يقتل الذبابة او الزنبور اوغيرهما من الهوام مثل ذنب الذي يقتل انسانا حيث ان سائر الارواح واحدة متنقلة في جميع الحيوانات واراد فيثاغورس ان يثبت لجماعته مذهبه في تناسخ الارواح فاخبرهم انه كان سابقا في جسد اسمه ايثاليديس وادعى انه كان ابن عطارد من آلهة اليونان وكان عطارد يقول له اذ ذاك سل مني ما تحب تعطه ما عدا البقاء والدوام حتى يتم غرضك ومقصودك فطلب منه ان يعطيه قوة تذكر جميع الاشياء التي تحصل له في الدنيا في حياته وبعد مماته ومن ذلك الوقت صار عالما بجميع ما يقع في الدنيا واخبرهم ايضا بانه لما خرج من جسم ايثاليديس انتقل الى جسم اوفوربه وكان حاضرا في حصار مدينة تروادة وجرحه شخص يسمى مينيلاس جرحا شديدا وبعد ذلك خرج الى جسم هرموتيموس وفي هذا الزمن اراد ان يثبت للناس ما وهبه له عطارد فذهب الى بلد ابرانخيدس ودخل هيكل ابولون واراهم فيه درقته البالية التي كان سلبها مينيلاس حين جرحه ونذرها لذلك الهيكل دليلا على نصرته ثم انتقل الى جسم

صياد يسمى بوروس ثم الى ذلك الجسم الذى هو فيثاغورس وانه لم يعد انتقاله الى جسم ديك كذا او طاووس كذا او غير ذلك وقال انه حين سفره فى اودية جهنم رأى روح الشاعر هزيودس مسلسلة فى الاغلال ومصلوبة فى عمود وتقاسى الشدائد جدا ورأى ايضا روح هوميرس معلقة فى شجرة واحتاطت بها الافاعى من كل جانب وذلك عقاب له على اكاذيبه التى كان ينسبها للآلهة ورأى ارواح الرجال الذين كانوا لا يحسنون العشرة مع نسائهم ويسيئونهن فى غاية العقاب فى تلك الاودية واتفق ان فيثاغورس بنى له تحت الارض حجرة صغيرة وعندما اراد النزول فيها عاهد امه ان تكتب مع التحقيق سائر ما يحصل فى مدة غيبته وسجن نفسه فيها سنة كاملة ثم خرج منها نحيفا اشعث اغبر فى صورة مهولة وجمع الناس واخبرهم انه كان فى جهنم ولاجل ان يحملهم على تصديقه فى ذلك شرع يذكر لهم ما حصل فى مدة غيبته فظنوا انه فوق سائر البشر ورثوا لحاله وبكوا وتضرع الرجال اليه ان يعلم نساءهم فمن ذلك صارت نساء اوقروطون ينسبن اليه فيقال لهن الفيثاغوريسيات وكان فيثاغورس ذات يوم فى محفل لعب عمومى من الناس فصفر صفيرا مخصوصا واذا بنسر نزل له من الجو فتعجب منه الناس حين رأوه غاية العجب مع انه كان قد علم النسر على ذلك سابقا من غير شعور احد بذلك ولاجل ان يؤكد عندهم صحة التخيلات اراهم ايضا فوق ساقه فخذا من ذهب وما كانت قرباناته الا العيش والفطير وما اشبه ذلك لانه كان يقول ان الآلهة تكره القربان من ذوى الارواح وانها تغضب على من يزعم تشريفها بقربان مثل ذلك وقد يظهر من اصول هذا الفيلسوف انه اراد ان يحول الناس عن الامتلاء الى التقليل لانه الاولى لهم والاحسن لما يترتب عليه من الصحة وعدم شغل البال والفكر فيتفرغ العقل لوظائفه واحب ان يضرب المثل بنفسه فكان لا يكاد ان يشرب الا الماء القراح وكان لا يتجاوز فى غذائه العيش والعسل والفاكهة

والخضروات

والخضروات ما عدا الفول فانه كان يتباعد عنه ولا يعلم لذلك سبب وكان يقول انما الناس فى الحياة الدنيا كارباب الموسم الحفل بعض يأتيه للفرجة ومنهم من يذهب للتجارة ومنهم من يذهب للمسابقة ليمرن نفسه على القتال فكذلك حالهم فى الدنيا بعض خلق اسير الفخر وبعض للحرص وبعض لا يبحث الا عن مجرد الوقوف على الحقائق وكان يحب ان الانسان لا يطلب شيئا لنفسه لانه يجهل ما يصلح له وقسم عمر الانسان اربعة اقسام متساوية فقال هو من صغره الى عشرين سنة صبى ومنها الى الاربعين شاب ومنها الى الستين رجل ومنها الى الثمانين شيخ ومتى زاد على ذلك لا يعد من الاحياء وكان يحب علم الهندسة كثيرا وكذلك علم الهيئة وهو الذى نبه على ان النجمة التى تظهر احيانا وقت الصباح هى بعينها التى تبدو احيانا فى المساء وهو الذى برهن على ان مربع الوتر فى كل مثلث قائم الزاوية مساو لمجموع مربعى الضلعين الآخرين وقيل ان فيثاغورس حين اخترع هذه المسألة النظرية حصل له غاية السرور حتى ظن انها الهام الهى فاراد فى ذلك الوقت ان يهدى قربانا بمائة من البقر اظهارا لشكر الاله هكذا ذكر فى كثير من الكتب لكن هذا يخالف مذهبه من تحريم ذبح الحيوانات الا ان تكون تماثيل البقر اتخذت من الدقيق والعسل كما يصنع ذلك فى القربان كل من انتسب اليه وذكر بعضهم انه مات من شدة فرحه بتلك المسألة لكن نص الحكيم لويرقه على انه لا اصل لذلك وكان فيثاغورس يحب تأليف تلامذته بعضهم وكان ربما علمهم وكلمهم بالاشارة كقوله لهم لا ينبغى لكم ان لا تقسطوا فى الميزان يعنى بذلك لا تخرجوا عن حد القوانين ولا تحيدوا عنها ابدا وكان يقول لا تجعلوا الزاد الحاضر وطأكم يكنى عن عدم الاكتفاء براهن الحالات وانه ينبغى الاهتمام بالمستقبلات وكان دائما ينبههم على ان كلا منهم يختلى بنفسه برهة من الزمن آخر يومه ويخاطبها بهذه الكلمات لمحاسبتها يا نفسى كيف صرفت يومك هذا واين كنت فيه وماذا صنعت فيه من اللائق وغيره وكان يأمرهم

ايضا بالاقتصاد فى ظواهر احوالهم وجعلها موافقة لحال من هم بينهم وعدم اظهار آثار السرور او الحزن وببر الوالدين وان يتمرنوا على الرياضات حتى لا تغلظ اجسامهم واحترام شيوخهم وان لا يفنوا اعمارهم فى السفر وكان يحثهم على التمسك بطاعة الاله وعبادته كما ينبغى وكان لفيثاغورس عبد يقال له زامولكيز من التتار قد اكتسب العلوم من سيده وفهم قواعد معارفه ولما رجع لبلده قربوا له قربانا ونظموه فى سلك من يعبد عندهم وكان فيثاغورس يزعم ان الاصل الاول لجميع الاشياء هو الواحد ومنه تخرج الاعداد ومنها تخرج النقط ومن النقط تخرج الخطوط ومن الخطوط السطوح ومن السطوح الاجسام ومن الاجسام العناصر الاربعة وهى النار والهواء والماء والتراب التى تركب منها العالم وانها دائما تستحيل وتتغير ويرجع احدها للآخر ولا ينعدم من جواهر العالم شئ بل جميع ما يعتريه محض تغيير وكان يقول ان الارض مستديرة وانها موضوعة فى وسط الكون وانها معمورة من سائر جهاتها فبناء على ذلك يوجد اناس مقاطرون لنا بمعنى انه لو رسم خط من قدم اى انسان الى اسفل الكرة لوقع على قدم انسان يقابله ويكون ذلك الخط قطرا للكرة وان الهواء المحيط بالارض غير شديد الحركة بل يكاد ان يكون قارا وهذا هو علة قابلية حيوانات الارض للموت والفساد بخلاف الهواء الذى فى السماء فانه رقيق جدا شديد التحرك والاضطراب دائما فلذلك كان سائر ما فى السماء من ذوى الارواح لا يزول ولا يفنى بل هى آلهة ابدية باقية فاذن الشمس والقمر وسائر الكواكب آلهة لانها فى وسط هذا الهواء الرقيق والحرارة الفعالة التى كانت اصلا للحياة وقد اضطربت الاقوال فى موت هذا الفيلسوف وكثر فيه الخلاف فذهب بعض المؤرخين الى ان السبب فيه انه طرد بعضا من تلامذته من عنده ولم يقبله فحصل له غيظ شديد حمله على ان اوقد النار ببيت ميلون الذى كان فيثاغورس مقيما به وذهب آخرون الى ان فاعل ذلك انما هو الاقروطونياطه

خوفا

خوفا من ان يستولى على بلادهم وترجع مملكتهم اليه فلما رأى فيثاغورس اشتعال النار وتاججها فى سائر جهات هذا الموضع بادر بالهروب ومعه اربعون من تلامذته وقال بعضهم انه هرب باشجار موزيس بمدينة ميتاغنته ومات جوعا فى ذلك المحل وقال آخرون انه اضطر فى هروبه الى دخول زراعة فول فقال ان الاولى لى ان اموت هنا خارج الزرع المسكين ولا اتلفه بالمشى وانتظر مع السكون الاقروطينياطه حتى قتلوه هو واغلب تلامذته وآخر الاقوال ان الذى قتله انما هو جماعة من السيراقوسيين وذلك لانه وقعت بينهم وبين الاغريجنتيين محاربة فذهب فيثاغورس لمساعدة الاغريجنتيين لانتمائهم اليه وصحبتهم له فهزموا فوجد فيثاغورس نفسه عند غيط فول فما اراد المرور فيه واستحسن مد عنقه للذين نقبوا جسده بالضربات وقتلوا من معه من التلامذة ولم ينج منهم الا القليل منهم ارشيتاس الطرنطينى الذى كان اعظم المهندسين فى ذلك الوقت

﴿ تاريخ هيرقليس الفيلسوف ﴾

ظهر امره فى الاولمبياد التاسع والستين وهو من مدينة افسوس وكان ابوه يسمى ابلوزون وظهر قريبا من الاولمبياد التاسع والستين كما سبق قريبا وكان يسمى فى اصطلاحهم الفيلسوف المعمى لانه كان لا يتكلم الا بالالغاز ووصفه لويرقه بانه كان يحتقر الناس ولا يعتبر الا نفسه وكان يقول انه يلزم طرد كتب اوميروس وارخيلوقوس من سائر المواضع وكان له صاحب صديق يقال له هرمودروس نفاه اهل مدينة افسوس فمن ثم كان قلبه حزينا وكان ينادى باعلى صوته ويقول ان جميع رجال هذه المدينة يستحقون الموت واولادهم النفى لتمحى ذنوبهم التى فعلوها من نفيهم اعيان اهل بلادهم واعظم شجعانهم من اهل جمهوريتهم وكانت معارفه العظيمة وفصاحته وبراعته ناشئة من عقله وقوة

فطنته لا بالتلقى والحضور على معلم وكان يزدرى افعال الناس ويتأسف على عمى قلوبهم وغفلتهم فلذلك كان دائما يبكى من غيظه وقال المؤلف جوفنال ان هذا الفيلسوف فى دوام بكائه يباين دومقريطس فى استمرار ضحكه على الناس فى افعالهم وقال ايضا ان ادامة دومقريطس الضحك على الناس رثاء لحالهم فى قدرة كل انسان تدبر احوال اهل العصر تصوره وانما العجب كل العجب من تصور وجود عين ماء دائمة السيلان تمد دموع هيرقليطس الدائم البكاء ولم يكن هيرقليطس من المبدأ على منوال واحد لانه كان فى صغره يقول انى لا اعرف شيئا ثم لما طعن فى السن اظهر انه يعرف جميع الاشياء وانه لا يتعسر عليه شئ من المعارف وانه لا يعجبه احد من الناس ولا يحصل له حظ منهم وكان متباعدا عن صحبتهم وكان يذهب للعب فى الملاعب اللائقة عندهم قدام هيكل يسمى « ديانه » مع صغار تلك المدينة وكان اهل المدينة يجتمعون به ويتعجبون من لعبه مع صغارهم ويسألونه عن ذلك فيقول لهم يا هؤلاء المساكين لاى شئ تتعجبوا من لعبى معهم أليس هذا اولى واحسن من اجتماعى معكم واختلاطى بكم مع ما انتم عليه من قبيح الافعال بسبب عدم اصلاح تدبيرات الجمهورية وطلب منه اهل المدينة ذات يوم ان يرتب لهم قوانين فابى لما رأى من ان اخلاقهم وطباعهم فشا فسادها ولم يتيسر له كيفية تمنعهم عن ذميم الاخلاق وكان يقول انه يجب على الرعايا ان يجتهدوا الغاية ويبذلوا جهدهم فى العمل بالقوانين وفى حماية البلاد ويلزم ايضا انهم يبادرون بازالة الحقد والغل من بينهم اكثر من مبادرتهم باطفاء نار الحريقة لان ضرر الاول كثير عن الثانى جدا وذلك لان النار انما يتلف بسببها بعض البيوت واما الحقد والغل فانه ان لم يتدارك ويبادر بازالته قد ينشأ عنه الحرب الشديد وتخريب المواضع بل والتلف للرعايا ايضا واتفق انه حصلت فتنة عظيمة فى مدينة افسوس فجاء بعض الناس الى هيرقليطس وترجاه ان يعمل طريقة لاطفاء هذه الفتنة امام العالم وينهاهم عنها

فصعد

فصعد هيرقليطس على منبر عال وطلب كأسا وملأه ماء وجعل فيه بعضا من الحشائش البرية وشرب ذلك الماء بما مازجه من تلك الحشائش ثم نزل وذهب من غير ان يتكلم بشئ وذلك اشارة منه الى انه يلزم لتدارك الفتن اجتناب زخارف الدنيا وتبعيد اللذات عن الجمهورية وتعويد الاهالى على الاكتفاء باقل الاشياء وقد ألف هيرقليطس كتابا فى علم الطبيعة وجعله بهيكل «ديانه» وسلك فى كتابته طريقا صعبة بحيث لم يفهمه الا اكابر علمائهم خوفا من ان يطلع عليه عموم الناس فيرخص عندهم وتقل الرغبة فيه واشتهر شهرة عظيمة حيث لم يفهم مراد مؤلفه فى عباراته فلما سمع دريوس ملك العجم بهذا الكتاب بعث مكاتبة للمؤلف يترجاه فى ان يحضر عنده فى بلاد العجم ويتوطن بها وان يفهمه معنى هذا الكتاب وانه يكافئه على ذلك بهدية عظيمة ويجعل له مسكنا فى سرايته فلم يرض هيرقليطس بذلك وهذا الفيلسوف كان من دأبه الصمت فكان لا يتكلم ابدا فاذا سأله انسان عن سبب سكوته اجابه بغيظ ان سكوتى لاجل ان تتكلم وكان يحتقر الاثينيين لكونهم يحترمونه غاية الاحترام ولكونهم قد اعدوا له مسكنا عندهم بمدينة افسوس التى هى وسائر ما فيها احقر الاشياء عنده وكان دائما لا يرى احدا الا ويبكى على ضعف البشر وكون افعال الناس غير ملائمة واشتد به ذلك حتى اداه الى اعتزال الناس بالكلية واقام بجبال قفرة لا يرى بها احدا وافنى عمره فى البكاء والنوح وكان غذاؤه خصوص الحشائش والخضروات وكان هيرقليطس يزعم ان النار هى الاصل الاول لجميع الاشياء وكان يقول ان عنصر النار يتغير بالتكاثف حتى يصير هواء وهذا الهواء ايضا يتغير بالتكاثف ويصير ماء وكذلك عنصر الماء يصير بالتكاثف ترابا ثم ينعكس التغيير فاذا تفرق التراب تغير وصار ماء ثم الماء بالتفرق هواء والهواء نارا به فحينئذ الاصل الاول لجميع الاشياء هو النار وكان يقول انه لا يوجد فى الكون عالم غير هذا وقد تم الايجاد فلا ابدع منه وان هذا العالم قد نشأ وتركب من النار وانه سيذهب آخرا ويفنى بها وكان يزعم ان الكون

ممتلئ من الجن والعقول وان الاله لما قضى ازلا بوجود الاشياء تركها لتدبير خلقه وان جرم الشمس لا يزيد عن المشاهد لنا وانه يوجد فوق الهواء اشياء تشبه الزوارق ويقابلنا منهـا الجهة المقعرة واليهـا يصعد البخـار من الارض وان جميع ما يسمى انجمـا ليس الا زوارق مملوءة بخـار ملتهب وان ما نشـاهده من الضوء ناشئ من ذلك التلهب وان كسـوف الشمس والقمر ينشأ من دوران هذه الزوارق حين تدور بمقعرها الى القطعة المقابلة للارض منهما وقال ان سبب اختلاف منازل القمر هو ان زورقه ليس كثير الدوران بل يدور شـيئا فشيئا اما كلامه فى الروح فكان يقول انى افنيت عمرى فى البحث عنها بلا طائل حيث لم اظفر بحقيقتها لشدة خفائهـا ونشـأ له مما قاساه فى معيشته مرض عظيم وهو الاستسقاء فرجع الى مدينة افسوس ليعالج نفسه فذهب الى بعض الحكماء وكان لا يفصح فى كلامه عن مقصوده حيث كان لا يتكلم الا بالالغاز فقال للطبيب مشيرا الى مرضه هل لك فى آن واحد ان تجعل المطر فى الصحو واليبس فلم يفهم الحكيم مقصوده فتركه هيرقليطس وذهب الى مربض بقر ودخل فيه فوجد فيه الزبل والروث فاراد ان يصـنع كيفية لاجل اخراج الماء الذى كان سببا فى ورمه فادخل نفسه فى ذلك الروث وتوغل فيه ثم اراد الخروج منه فلم يمكنه واستمر حتى اكلته الكلاب وقال آخرون انه مات حيث لم يمكنه الطلوع من هذا الوحل وكان عمره اذ ذاك خمسا وستين سنة

﴿ تاريخ انكسغوراس الفيلسوف ﴾

ولد فى الاولمبياد السبعين وتوفى فى الاولمبياد الثامن والثمانين وعمره اثنان وسبعون سنة وانكسغوراس هذا ابن اجيزيبول قد تعـلم علم الطبيعة بطريق واضحة جدا وتلقاه عمن قبله من الفلاسفة وكان من مدينة اكلازومين احدى مدن يونيا

وكان

وكان من عشيرة مشهورة فى النسب والغنى اشتهر قريبا من الاولمبياد السادس والسبعين وكان تلميذا لاستاذ يسمى انكسيمينيس الذى كان تلميذ انكسمنيدر احد تلامذة طاليس الذى عده جميع اليونان فى اول عظماء حكمائهم وتولع انكسغوراس بالفلسفة وتعلق بها جدا فترك ما عداها من سائر الامانى وتفرغ لها بكليته وترك امواله والتكسب وكل شئ عمومى او خصوصى خوفا ان يشغله ذلك عن قراءتها فاخبره اهله بان ذلك ليس من الصواب لانه يترتب عليه ضياع الاموال وتلفها فلم يقبل ذلك منهم وخرج من بلده بالكلية قاصدا ما عزم عليه من امور الحقيقة والصدق واسباب الخير وحين خروجه قابله بعض الناس فتجارى عليه وقال له انت لا تحب وطنك فقال له انى على خلاف ما ذكرت وانى احب وطنى هذا حبا كثيرا واشار باصبعه الى السماء ثم ذهب الى مدينة اثينا واقام بها ونقل اليها مكتبه المسمى اليونيق بعد ان كان مؤسسا فى مدينة مليطه فى عهد طاليس مبتدع هذا المذهب واخذ فى تعليم الفلسفة من هذه المدرسة وعمره عشرون سنة مكث فى التعليم ثلاثين سنة واتفق فى بعض الايام انه جئ بشاة فى مكتب بيرقليس وكان لتلك الشاة قرن فى وسط جبهتها فقال المنجم لمبون ان هذا يدل على ان تفرق الاثينيين الى عصبتين متباينتين سينقضى وتلتئم الفرقتان حتى تصيرا فرقة واحدة فقال انكسغوراس ان هذا الذى بالشاة امر خلقى لا يدل على شئ وانما سببه ان المخ لم يملأ جمجمة الرأس التى على شكل بيضة تنتهى بطرف مسنن فى الموضع الذى ينبت منه القرن فى الرأس وشرح لهم رأس هذه الشاة على رؤوس الاشهاد فوجدوا الامر كما قال فعند ذلك حصلت له شهرة عظيمة وصار محترما عندهم ومع ذلك فلم يقدح كلام انكسغوراس فى الذى تغاله ذلك المنجم فانه بعد ذلك ببرهة انهزمت فئة توقوديدس ودخلت جميع مصالح المملكة تحت حكم بيرقليس ويقال ان انكسغوراس هو اول من اشهر علم الفلسفة بطريق جلية فى جميع اليونان دون

سائر المعلمين من الحكماء وكان يقول بعدم التناهى وانه هو الاصل الاول لكل موجود ويقول ايضا بالعقل الذى يفيض على كل مادة ما يليق بها من الصورة بان يركب موادها بالالتئام ويفيض عليها الشكل اللائق بها ولهذا سماه حكماء عصره بالعقل لقوله به فليس قصده ان العقل ابرز الموجودات من عدم انما كانت فى حيز الوجود مفرقة فرتبها ويدل لذلك قوله بان سائر الاشياء كانت جواهرها مختلطة ببعضها ومكثت بهذا الوصف حتى ميزها العقل عن بعضها اجناسا ورتب كل جنس فى مرتبته وقد بين الشاعر اوبديس هذا المذهب فى مبدأ قصائده المسماة قصائد التناسخ وبالجملة فانكسغوراس لا يقول بالوهية غير العقل المتقدم وشنع على جميع آلهة الجاهلية حتى قال بعضهم ان الله الصواعق انزل على هذا الفيلسوف صاعقة من السماء فاهلكته جزاء على انكاره له وكان يقول لا فراغ فى الجو بل سائره مملوء وان سائر الاجسام تقبل القسمة الى ما لا نهاية له ولو كان الجسم صغيرا جدا بحيث انه لو وجد قاسم ماهر وآلة تقسيم يمكن ان يستخرج من رجل البعوضة اجزاء لو وضعت على الف الف سماء لسترتها من غير تناهيها فى نفسها بل لا تزال قابلة للقسمة لان الفرض ان لا تناهى لشئ من الاشياء وكان يزعم ايضا ان كل جسم مركب من اجزاء صغيرة متجانسة فالدم مثلا مركب من اجزاء صغيرة من دم والماء من اجزاء صغيرة من الماء وهكذا سائر الاشياء ومن ثم سميت الاقسام جنسية وقد اسس لويرقه مذهبه على تلك القاعدة ومما اعترض به على هذا الفيلسوف فى هذا الزعم انه بالضرورة كان يلزم ان تكون الاجسام مركبة من اجزاء غير متجانسة لان عظم الحيوان يتزايد فى الجرم مع انه لا يتغذى بعظم وكذلك عروقه تطول وتغلظ من غير ان يتعاطى العروق فى غذائه ويزيد دمه ويكثر من غير ان يشرب دما فاجابه بانا نسلم انه عند التدقيق لا يوجد فى الحقيقة جسم تام التجانس فى الاجزاء بل لا بد وان يختلط به اجزاء من غير جنسه فالحشيش مثلا فيه

لحم

لحم ودم وعظم وعروق لانا نرى الحيوانات تغتذى به فكل جزء من جزاء الحيوان ان يجذب اليه ما فى الحشيش من جنسه وحينئذ فتسمية الجسم باسم حشيش اوخشب مثلا يكفى فى صحتها كون معظم اجزائه من نوع الحشيش او الخشب لا شئ آخر ويكون ذلك المعظم هو الساتر لسطح الجسم الاعلى المرئى وكان يزعم ان الشمس ليست الا قطعة من حديد حامية وان جرمها اكبر من جميع بلاد موره وان القمر ليست الا جسما مظلما فى نفسه ويمكن انه مسكون وبه جبال واودية كما فى الارض وكان يزعم ايضا ان النجوم ذوات الذنب هى عدة من النجوم السيارة المتحيرة تتلاقى ببعضها من غير تعيين زمن امد ذلك التلاقى ثم بعد مضى جملة من الزمن تتفرق تلك النجوم وان الارياح تتخلق وقت ان يجعل حر الشمس الهواء قليلا وان الرعد ينشأ من تلاطم السحاب وتصادم بعضه ببعض حين الملاقاة وان البرق ينشأ من مماسة السحاب بعضه لبعض فقط وان زلزلة الارض سببها تحرك الهواء المخزون بمغارات تحت الارض وان سبب زيادة النيل ثلج فى بعض بلاد الحبشة يسيح فى ازمنة معينة فيخرج منه ماء كثير كانهطال السيل ويجتمع فى منابع هذا النهر وكان انكسغوراس يزعم ان تحرك الكواكب ناشئ من الهواء فعارضوه بان الكواكب تتحرك وتدور بين مدارى الحمل والسرطان فدفع معارضتهم بان ذلك لا يحصل الا من مدافعة الهواء للكواكب بقوة كالدولاب الى ان تقف الى نقطة اياكانت وكان يقول ايضا ان الارض ممهدة مبسوطة وانها اثقل من جميع العناصر ومن ثم ملكت القسم الاسفل من جميع العالم وان المياه الجارية على سطحها قليلة بسبب ان حر الشمس يصيرها بخارا ثم يصعدها فى الجو الى طبقة الهواء المتوسطة ثم تعود مطرا ينزل بالارض وقال انه يرى فى الليل اذا كان صحوا ان فى السماء بياضات متعددة تشبه القسى وتسمى طريق التبانة وزعم بعض القدماء ان تلك الطريق جعلت لسلوك بعض الآلهة الصغار الى الاله الاكبر الذى هو المشترى للاستشارة وذهب آخرون الى انها

محل لارواح فحول الرجال حين تخرج من اجسامهم وتستمر طائرة فيها واتفق ان انكسغوراس غلط كغيره من سائر قدماء الفلاسفة فزعم ان تلك البياضات انما هى انعكاسات ضوء الشمس الظاهر لنا وعلل ذلك بانه لم يوجد بين هذه البياضات والارض كوكب يكسف هذا الضوء المنعكس وكان يزعم ان اول الحيوانات ناشئ من الحر والغمام ثم بعد ذلك تناسلت وتكاثرت وقد اتفق ذات يوم ان حجرا سقط من جهة السماء فظن انكسغوراس ان السماء مصنوعة من حجارة وان سرعة دوران قبة الفلك اوجبت بقاء تلك الصنعة بلا خلل بحيث لو اختل الدوران لحظة لفسد نظام السماء والارض واتفق انه انذرهم يوما بانه سيسقط حجر من الشمس فى يوما من الايام فكان الامر كما ذكر ووقع ذلك الحجر قريبا من نهر اوغوس وكان يقول ان ما كان من الارض قارا يصير بعد ذلك بحرا وما كان منها فى وقتنا هذا بحرا يعود فى زمن آخر قارا فتجاسر عليه بعض الناس وساله هل يصعد البحر على جبال « لمبساك » فقال نعم ما دامت الدنيا وكان يعظ الملك ويحمله على معاناة اسرار الطبيعة وما خفى منها حتى يصل الى معاينتها ومشاهدتها ولذلك كان حين يسأل لاى شئ خلقت فى الدنيا يقول لاجل مشاهدة السماء والشمس والقمر وغيرها من سائر الانواع الحادثة وسئل ذات يوم عن اسعد جميع الناس فقال هو لا يكون من الذين تظنونهم سعداء وانما يكون من الذين تظنونهم فقراء وسمع ذات يوم رجلا يشكو ان يموت غريبا فقال له انكسغوراس لا مكان فى الدنيا الا وبه طريق للنزول الى بطن الارض واخبروه ذات يوم بموت ابنه فلم يهتم لذلك وقال انى اعلم يقينا انه ما خرج من صلبى الا قابلا للفناء وذهب اليه فلحده بنفسه والاحترام والتوقير الذى كان لهذا الفيلسوف بمدينة اثينا لم يستمر الى موته بل حصلت له نكبة وذلك انه اتهم واشتهرت عليه دعوى على رؤوس الاشهاد بين يدى القضاة فثبت عليه انه مذنب واختلف فى ذنبه على قولين اشهرهما ان ذنبه الكفر بقوله ان الشمس

التى

التي كانوا يعبدونها ليست الا قطعة حديد حامية وقيل انه اذنب زيادة على ذلك بخيانة فلما بلغه ان الاثينيين حكموا عليه بالموت لم يكترث وقال انا اعلم ان الحكمة الالهية حكمت بذلك من زمن طويل وانتصر له بيرقليس احد تلامذته فخفف عقابه وآل الامر الى غرامة بعض الاموال ثم النفي فتجلد لذلك انكسغوراس واشتغل في مدة نفيه من بلاده بالسفر الى مصر وغيرها من الجهات بقصد مخالطة العلماء ولتعرف احوال البلاد ثم لما شق عليه من ذلك رجع الى مدينة كلازومينا التي ولد بها فرأى اراضيه غير مزروعة بل متروكة بالكلية فقال متسليا لو لم تتلف لتلفت وكان انكسغوراس مجتهدا في تعليم بيرقليس اجتهادا عظيما ونفعه نفعا كبيرا في تدبير مصالح المملكة ومع ذلك فلم يقم له بوفاء حقوق اجتهاده له حتى يقال انه فرط فيه في آخر عمره فلما كبر انكسغوراس سنا وافتقر وابتذل التف ببرنسه واراد ترك نفسه حتى يموت جوعا فبلغ ذلك بيرقليس فحزن لذلك حزنا شديدا وذهب ليراه مسرعا وترجاه ان يرجع عما عزم عليه من اتلاف نفسه لما رأى ان هلاكه خسارة كبيرة على المملكة وعلى نفس بيرقليس من كونه كان يستشيره عند المهمات لصداقته وحسن رأيه فكشف انكسغوراس وجهه فاذا هو يشبه صورة الموتى وقال يا بيرقليس من احتاج الى القنديل فليحافظ على مباشرته بالزيت وذكر لوبيرس ان انكسغوراس مات بمدينة لمبساك وقال انه حين قربت وفاته حضر عنده اكابر المدينة وسألوه هل لك في شئ تأمرنا به فاوصاهم انهم يجعلون للتلامذة في كل سنة مقدارا من الزمن يتفسحون فيه ويأذنون لهم باللعب كل عام في مثل اليوم الذي مات فيه فامتثلوا ما امرهم به واستمروا على ذلك مدة طويلة وكان عمره حين وفاته ينوف عن اثنين وسبعين سنة وكان ذلك في الاولمبياد الثامن والثمانين

﴿ تاريخ ديموقريطس الفيلسوف ﴾

ولد هذا الفيلسوف في الاولمبياد السابع والسبعين ومات في الاولمبياد المتمم مائة

وخمسة وعاش مائة وتسع سنوات وشاع على ألسنة العامة ان ديموقريطس الفيلسوف كان بمدينة « ابديرى » وحقق بعض الناس انه كان بمدينة ميليطه وانه انما سمى « ابديريتين » لكونه هاجر اليها وتلقى العلوم اولا على الماجية والكلدانية اللذين خلفهما الملك اجريكيس عند والد هذا الفيلسوف لما نزل عنده حين جاء هذا الملك لمحاربة اليونان فتعلم منهما ديموقريطس علم المنطق وعلم الهيئة ثم بعد ذلك تعلق بفيلسوف آخر يقال له لوسيب فتلقى عنه علم الطبيعة وكان مجتهدا غاية الاجتهاد فى التعلم وكان من شدة رغبته فى التعلم تمضى عليه ايام متكاملة وهو مختل فى حجرة صغيرة فى وسط بستان واتى اليه ابوه ذات يوم ببقرة ليذبحها فربطها له فى ركن من اركان حجرته فلم يسمع ديموقريطس كلام ابيه من شدة اجتهاده فى القراءة ولم يشعر بما فعله ابوه من ربط البقرة بجانبه حتى عاد له ابوه مرة ثانية واراد ان يخرجه من ذلك المحل واخبره ان بجانبه بقرة يلزم ان يجعلها قربانا ثم بعد ان مكث مدة طويلة وهو يتلقى عن « لوسيب » عزم على السياحة فى الدنيا لمخالطة العلماء ولاجل ان يملأ عقله بالمعارف الحسنة فقسم تركة ابيه بينه و بين اخوته فاخذ نصيبه منها ما كان نقدا وان كان اقل الانصباء وانما فعل ذلك لراحته فى مصروفه زمن تعلمه ومدة سفره ثم توجه الى مصر وتعلم فيها علم الهندسة وذهب بعد ذلك قاصدا بلاد الحبشة وبعدها الى بلاد العجم و بعدها سافر الى بلاد «كلديه» ثم اداه حبه للفرجة الى ان سافر بلاد الهند ليتعلم علم قدماء فلاسفتهم وكان يحب التعرف بمهرة العلماء من غير ان يتعرف اليهم و يقال انه سكن بمدينة أثينا مدة من الزمن ورأى سوقراط ولم يعرفه بنفسه فهكذا كان ميله ان يعيش مختفيا بل كان يذهب فى بعض الاحيان الى المغارات و القبور و يسكن بها لاجل ان لا يحفر احد المحل الذى هو به ومع ذلك كان يظهر نفسه لدولة « دارى » واتفق فى بعض الايام انه حصل لهذا الامير حزن شديد لموت امرأة كان يحبها

اكثر

اكثر من جميع نسائه فلاجل تسكين حزنه وعده هذا الفيلسوف ان يحييها له على شرط ان يأتيه بثلاثة اشخاص من ممالكه لم يصب احد منهم بنكبة لاجل ان تنقش اسماؤهم على قبر تلك الملكة المتوفاة فبعد البحث فى جميع اسيا لم يوجد شخص واحد بالصفة التى شرطها الفيلسوف ديموقريطس وكان مقصد هذا الفيلسوف ان يفهم الملك دارا بعظم خطائه من اهمال نفسه للحزن حيث انه لم يوجد فى الدنيا باسرها انسان خال من الغم وحين رجع ديموقريطس الى مدينة ابديرى مكث متباعدا عن الناس مختليا عنهم واعتراه الفقر لانه فقد جميع امواله فى تجاربه واسفاره فاضطر اخوه دمسكوس الى عطيته له بعضا من امواله لاجل تعيشه وكان عندهم فى ذلك الوقت قانون يحكم على من اسرف فى ماله بانه لا يدفن مع ابيه فى قبره فمن كون هذا الفيلسوف قد وقع منه ذلك الاسراف وخشى حكم اعدائه عليه بذلك تلا على الناس كتابا من تأليفاته يسمى « دياقوسم » فمن كثرة ما وجدوه من عظم هذا الكتاب سومح فى الحال من تشديد هذا القانون واهدوا له خمسمائة من النقود المسماة عندهم «طالان» واتحفوه بصور فى المحافل العمومية وكان ديموقريطس دائم الضحك ومنشأ كثرة ضحكه شدة تأمله فى ضعف الانسان وافتخاره الذى يخيل له فى الدنيا اشياء كثيرة هزئية ظنا منه انه يدركها بتدبيره مع ان كل شئ فى الدنيا حصوله اتفاقى ناشئ من تلاقى ذرات العالم ببعضها مصادفة كما هو مذهب هذا الفيلسوف وقال جوفنال الشاعر فى بعض كتبه مشيرا الى فساد هواء مدينة ابديره والى حمق وبلادة اهلها وحكمة وعقل هذا الفيلسوف تدلنا على انه قد تخرج كبار الحكماء من الاماكن التى اهلها ارباب خشونة وقال جوفنال ايضا ان ديموقريطس كما كان يضحك من الفرح يضحك من الترح وكان يصف هذا الفيلسوف بانه ثابت العقل لا يستميله عن الحق شئ تتم مراداته كأن العسد خادم له ولما رآه اهل مدينة ابديره مستمرا على الضحك زعموا ان به جنونا فارسلوا له

ابقراط لمعالجته فذهب اليه ابقراط فى مدينة ابديره ومعه الادوية وقدم اليه اولا اللبن فلما نظره ديموقريطس قال ان هذا اللبن من عنزة سوداء بكر وكان الامر كما قال فتعجب ابقراط جدا من كونه عرف ذلك وتفاوض معه فى الحديث مدة من الزمن فعجب من حكمته الخارقة للعادة وقال ان اهل مدينة ابديره هم المحتاجون للمعالجة والادوية لا هذا الفيلسوف كما زعموا ثم رجع ابقراط وهو فى غاية العجب وزعم ديموقريطس كعلمه «لوقسيس» ان اصول الاشياء الذرات والفراغ وانه لا يتكون شئ من العدم كما لا يؤول موجود الى العدم وان الذرات لا يعتريها فساد ولا تغيير لان صلابتها التى تقاوم كل شئ حفظتها من سائر التغيرات وكان يزعم ان تلك الذرات تكون منها ما لا يحصى من العوالم التى كل عالم منها يهلك فى زمن معلوم ويتكون من آثاره عالم آخر وهكذا وكان يقول ان روح الانسان التى هى نفس العقل على رأيه مركبة من اجتماع ذرات وكذلك الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب وان هذه الذرات لها حركة دوارة يتولد منها جميع الموجودات ومن حيث ان هذه الحركة الدوارة مستوية فى جميعها كان سببا لقوله بوجود القضاء وان سائر الاشياء تتكون قهرا وجبرا و« ابيسقورس » سلك فى مذهبه مذهب ديمقريطس لكن لما لم يقل بالقسر والجبر كما سيأتى توضيحه فى ترجمته لزمه ان يقول بالميل الاختيارى وديمقريطس كان يزعم ان الروح منتشرة فى اجزاء الجسم والسبب فى وجود الاحساس فى سائر اجزاء الجسم ان كل ذرة منه قائم بها جزء يشاكلها من ذرات الروح واما ما يتعلق بالنجوم فكان يزعم انها تتحرك فى الفراغ مطلقة العنان وانها ليست مثبتة فى اجرام كروية وانه ليس لها الا حركة واحدة جهة المغرب وان سيرها بسبب جذب كرة الهواء الذى هو اشبه بزوبعة مركبة من مادة سيالة والارض فى مركز تلك المادة والنجم يكون بطئ الحركة بقدر قربه من الارض فكلما زاد قربه منها زاد بطء حركته وذلك لان

عنفوان

عنفوان حركة المحيط تضعف كلما قربنا نحو المركز وان النجوم التي تظهر حركتها جهة المشرق يظهر بطء سيرها جهة المغرب وان النجوم الثوابت هي اسرع فى الحركة من غيرها فلهذا قطعت افلاكها فى اربع وعشرين ساعة واما الشمس فانها تتحرك بالبطء فلهذا لم تقطع فلكها الا فى اربع وعشرين ساعة وبعض دقائق واما القمر فان حركته ابطأ من جميع الكواكب فلا يقطع فلكه اليومى الا فى اكثر من خمس وعشرين ساعة فلا يتحرك بحركته الخاصة به حركة مستقلة جهة النجم الاقرب للشرق بل النجوم الاشد قربا الى الغرب تدعه فى سيرها ثم يجتمع به بعد ثلاثين يوما وقيل ان تولع ديمقريطس بالدارسة تسبب عنه عماه وانه صار لا يمكنه ان يشتغل بشئ آخر وسبب ذلك انه وضع لوحا من نحاس جهة الشمس فكان يعكس على بصره اشعة الشمس فحر الاشعة اذهب بصره ولما كبر سنه وصار هرما وقربت وفاته لمح ان اخته حصل لها غم لخوفها ان يكون موته قبل عيد السنبلة فلا تحضره بسبب الحزن فامر ديمقريطيس بان يحضر له خبز ساخن يستنشقه لاجل ان يمد بحرارة الخبز حرارة بدنه الطبيعية فبعد مضى ثلاثة ايام العيد امر بابعاد الخبز عنه فمات وكان عمره فى ذلك الوقت مائة سنة وتسعا

﴿ تاريخ امبيدوقليس الفيلسوف ﴾

ظهر قريبا من الاولمبياد الرابع والثمانين واشهر المنقول انه من تلامذة فيثاغورس وولد بمدينة اغريجانطه بجزيرة سيسيليا وهى صقليه وكان من عشيرة معتبرة جدا فى تلك النواحى وكان له معرفة كافية فى علم الطب وكان ايضا خطيبا عظيما وكان يعرف فى الاشعار والديانات وكان يحترم بمدينته غاية الاحترام حتى ظن انه فوق سائر الناس والمؤلف « لوقريقه » بعد ان حكى ما يشاهد فى العجائب بجزيرة سيسيليا قال ان اهل تلك البلاد ذكروا فى كتبهم انه لا شئ من الفخار

يوازن خروج هذا الرجل الحكيم منهم وان اشعاره عندهم كالوحى وهذا لا يخلو عن صحة وذلك انه وقع منه فى حياته وقائع تعجب منها جميع الناس حتى انه اتهم بفن السحر وقال ساتيروس ان «جورجياس لينطين» احد تلاميذ هذا الفيلسوف اعانه مرارا عديدة على عمليات هذا الفن والظاهر ان هذا الفيلسوف قصد التنبيه على هذا الفن وتعلمه بالاشعار حيث قال لتلميذه جورجياس انى اريد ان اخصك دون غيرك بمعارف عظيمة واسرار جسيمة عامة النفع لجميع انواع المرض وتعيد الشيخ شابا وتهب بها الرياح وتسكن بها الرياح العواصف وبها ينزل المطر ويأتى الحر وتحيي بها الموتى من قبورهم واتفق ذات يوم ان الرياح الصيفية اشتدت جدا حتى كادت فواكه الارض ان تفسد وتتلف بلا شك فجاء امبيدقليس وسلخ عدة من الحمير وجعل جلودها قربا ووضعها على اعالى رؤوس الجبال وفوق التلال فسكنت الرياح حالا كما قيل وعادت الاشياء كما كانت مع السهولة وكان امبيدقليس متعلقا بمذهب معلمه فيثاغورس مولعا به وسبق ان اصحاب فيثاغورس كانوا يكرهون القربان من ذوات الدم فلذلك حين اراد امبيدقليس ان يقرب قربانا للآلهة صنع بقرة من الدقيق والعسل وقربها لهم وكانت مدينة اغريجانطه فى زمنه مشهورة كبيرة جدا وكان عدد اهلها يبلغ ثمانمائة الف وكانوا يسمونها المدينة العظمى وكانت فى اعلى الدرجات فى الزخارف واللذات وكان امبيدقليس حين يصف اهل تلك المدينة يقول انهم يستوفون اللذات فلا يبقوا منها لغد كانهم تحققوا موتهم فى اليوم الآتى بعد ذلك وانهم يؤسسون قصورهم العظيمة ويبالغون فى اتقانها كانهم جزموا بالخلود وعدم الموت وكان يبعد نفسه عن التقلد بالمصالح العامة بل اتفق انهم طلبوه مرارا عديدة للسلطنة على مملكة اغريجانطه فابى ذلك وكان دائما يؤثر ان يعيش كآحاد الناس على فخار الدنيا وجبرة الحكومات انما كان شديد الرغبة فى الحرية وان تكون الاحكام برأى الجمهورية ودعاء بعض الناس الى وليمة فاجابه وذهب اليه فتأخروا باتيان المائدة

فى

فى وقتها ولم يطلب احد من الجالسين حضورها فحصل له غيظ شديد من ذلك واراد حضور الطعام حالا فقال له رب المنزل اصبر برهة من الزمن يسيرة فانى منتظر الوزير الاعظم رئيس المشورة فعند حضور هذا العظيم قام رب المنزل والجالسون تعظيما له واجلسوه فى ارفع المواضع العظيمة واختاره اهل ذلك المجلس ان يكون سلطان تلك الوليمة وكان لا يمكن هذا الوزير ان يمنع نفسه عن اموره الصعبة الشديدة فامر سائر من فى الوليمة بشرب النبيذ صرفا غير ممزوج بالماء وان من امتنع من الشرب يصب على انفه كاس من النبيذ والتزم امبيدقليس فى هذه الساعة الصمت والسكوت ثم فى الغد جمع جميع الناس وشكا من صاحب الوليمة ومن ذلك الوزير الذى كان تكبر فى الوليمة وعرفهم بان ما سلك فى تلك الوليمة مبدأ الظلم والجور وان مثل ذلك فيه مخالفة للقوانين ولحرية الجمهورية فبعد اقامة الدعوى حكم عليهما بالقتل فقتلا حالا وكان نافذ القول بحيث انه فسخ مشورة عندهم تسمى مشورة الالوف وامر ان القضاة يلزم تغييرهم فى كل ثلاث سنوات لاجل ان يدور دور الحكم على الاهالى ويتقلدوا مناصب الدولة وكان اذ ذاك حكيم يقال له اوقرون فطلب من اهل المشورة ان يعطوا له مكانا يشيد فيه مشهدا مزارا لابيه الذى كان فائقا عن غيره فى صنعته وكان اعظم اطباء اهل زمانه فقام امبيدقليس فى وسط المحفل العام ومنع الاهالى من ان يسلموا له فيما طلبه لان هذا كما زعم هو ضد العدل والمساواة التى اراد استعمالها فى جمهوريتهم حتى لا يتمكن احد من العلو والرفعة على الآخر وهذا هو على رأيه اساس الحرية الجمهورية ثم انه حصل طاعون عظيم مكث مدة من الزمن فى مدينة سيليونتى حتى خربها وحصل للناس انزعاج شديد حتى ان النساء كن يضعن حملهن قبل مضى مدة الحمل فعرف امبيدقليس سبب هذا المرض وهو انه ناشئ من عفونة مياه النهر الذى يروى تلك المدينة ويعمها فاجتهد وردّ مجارى ذلك النهر التى كانت تصب فى بحيرات تلك المدينة وصرف سائر ما احتيج له فى

ذلك من ماله واذا بالطاعون قد ذهب من عندهم فاخذ اهل تلك المدينة فى الالعاب والحظوظ وصنعوا له ولائم عظيمة واشتهر امر امبيدقليس فى تلك المدينة وشاع ذكره حتى ان جميع الناس اجتمعوا وقربوا له قربانا كالآلهة واثنوا عليه وبالغوا فى مدحه لرأفته بهم وشفقته عليهم ووقع ذلك من نفسه موقعا كبيرا وكان امبيدقليس يزعم ان الاصل الاول لجميع الاشياء هو العناصر الاربعة التى هى التراب والماء والهواء والنار وكان يقول ان بين تلك العناصر وبعضها علاقة التألف تارة والتنافر اخرى وانها دائما تتقلب وتتغير وانها لا تفنى ابدا وان ترتبها بتلك الحالة قديم باق وكان يزعم ان الشمس قطعة نار كبيرة وان القمر ممهد مبسوط وله جرم كبير بشكل دائر مسطوح وان السماء مصنوعة من مادة تشبه البلور وكان مذهبه تناسخ الارواح فكان يزعم انها تنتقل فى الاجسام وقال ان فى حفظى انى كنت بنتا صغيرة ثم سمكة ثم طائرا بل اتذكر انى كنت نباتا وقد اختلفوا فى موت هذا الفيلسوف والاشهر انه حيث كان متولعا ومتشوفا لكونهم يولهونه وان يرى كثيرا من الناس يعبدونه اراد ان يقوى تلك الحالة الى آخر عمره ولذلك حين احس بالكبر ورأى نفسه قد حصل له الهرم قصد ان يتمم عمره ببعض اشياء خارقة للعادة تلائم ما جنح اليه فكان بمدينته امرأة تسمى ايلانطه اعيت جميع الحكماء والاطباء فى مرضها حتى جزموا بموتها واشرفت على الموت فعالجها هذا الفيلسوف حتى شفيت فقربت له قربانا عظيما وصنع وليمة ودعا اليها من الناس ما يزيد على ثمانين لاجل ان يظهر لهم احتجابه عن الابصار وغيبته فلما فرغت الضيافة ذهب بعض الناس للاستراحة عند بعض الاشجار وغيرها فعند ذلك صعد امبيدقليس سرا على بركان جبل اتينا وألقى نفسه فى وسط النيران كما نقل ذلك « هوراس » الشاعر فى عاقبة هذا الفيلسوف وكان عنده غاية الجد فى كلامه وكان له ذؤابة طويلة وله تاج من شجر الغار على رأسه عظيم منقوش وما كان يمر فى طريق الا ومعه جملة من الرجال وكل

من

من رآه كان يحترمه احتراما كليا وكان كل منهم يسعى فى ان يسعد بمقابلته فى طريق من الطرق وكان يلبس فى رجليه نعال الحديد ولما ألقى نفسه فى النار فمن شدة حرها قذفت فردة من نعاله خارج النار فرآها الناس بعد مدة وظهر لهم ما كان دبره فى نفسه من الغش فحينئذ حيث لم يحزم رأيه اراد ان ينظم فى سلك الآلهة فانتظم فى سلك اهل البهتان ولكن مع ذلك كان له بعض خصال ممدوحة كمحبة وطنه وعدم طمعه ولما مات والده ميطون الذى كان ملكا بمدينة اغريجانطه اراد جماعة التغلب على تلك المملكة فشرع امبيدوقليس فى جمع الناس سريعا وسكن تلك الفتنة ولاجل ان يظهر حب التساوى قسم جميع ما كان يملكه بينه وبين من كان اقل منه مالا وظهر هذا الفيلسوف قريبا من الاولمبياد الرابع والثمانين ومات هرما جدا ولا يعرف مقدار عمره بالتحقيق ولما مات شيد الاغريجانطيون له تمثالا ليبقى دائم الذكر

تاريخ سوقراط الفيلسوف

ولد هذا الفيلسوف فى السنة الرابعة من الاولمبياد السابع والسبعين وتوفى فى السنة الاولى من الاولمبياد الخامس والتسعين وعاش سبعين سنة واتفق الاقدمون على عده من عظماء فلاسفة الجاهلية وانه ذو فضائل وخصال حميدة وكان من اهالى اثينا من قرية صغيرة تسمى « الوبيس » واسم ابيه سوفروزين كان نقاش احجار واسم امه فراميت وكانت قابلة تعالج النفساء تعلم اولا علم الفلسفة على انكسغوراس وبعده على ارخيلبوس الطبائعى ولكن لما رأى ان النظر فى تلك الاشياء الطبيعية لا يجدى نفعا ولا يجعل للفلسفى خصالا حميدة تعلق بقراءة علوم الآداب والاخلاق حتى قيل انه واضع الحكمة العملية الادبية عند جميع

اليونان كما نبه عليه «فيفرون» فى المقالة الثالثة من الاسئلة « الطوصقولانية » وقد تكلم عليه على وجه صريح مع غاية الاطناب فى المقالة الاولى ونص عبارته يظهر لى كما هو رأى جميع الناس ان سوقراط هو اول انسان استخرج الفلسفة من حيز الخفاء وان تشبث غيره بذلك لكن هذا الفيلسوف وصل المقصد واظهر منها ما ينبغى سلوكه للانسان بحيث انه اشتغل بالبحث عن الخصال الحميدة والذميمة وعن الخير والشر واعرض عما عدا ذلك قائلا ان جميع ما يتعلق بالنجوم والكواكب بعيد عن ادراكنا ومعرفتنا ولو فرض ان ادراكنا قوى وتوصلنا الى معرفة ذلك فلا جدوى لها فى تحسين الاخلاق فاقتصر من الفلسفة على البحث المتعلق بالآداب واللائق لاطوار الانسان وما يليق له مدة حياته فهذا التفلسف الجديد الذى اخترعه هذا الحكيم صار مقبولا جدا لما ان مخترعه عمل بما علم فاقتدى به واحسن سلوكه على قدر طاقته فأدى حقوق المعاملة البشرية من رعاية مصلحة الوطن صلحا وحربا وهو من بين الفلاسفة المشهورين الذى لم يذهب لقتال ولا حرب كما نبه على ذلك « لوقيانوس » فى كتابه المسمى مخاطبة المتطفلين الا مرتين خاب امل حزبه فيهما وخاطر هو فيهما بنفسه واظهر الشجاعة جدا حتى انه فى احداهما نجى من الهلاك «زنفون» حين سقط عن فرسه وهو مولى دبره فلولا ان سوقراط حمله على ظهره وأبعده عن المصادمة واتى له بحصانه الذى كان انفلت فركبه لهلك باخذ الاعداء له ذكر هذه الواقعة « استرابون » وحصل انه فى المرة الثانية حين انهزم الاثينيون وانزعجوا بالكلية وولوا الادبار كان هو آخر من ولى دبره واظهر الجلادة حتى ان الاعداء لما تبعوا المنهزمين من جماعته وجدوه متهيئا للاقدام عليهم فلم يتجاسروا على تبعية الاعداء ذكر هذه الواقعة المؤرخ «اثينه» وبعد هاتين الواقعتين لم يخرج سوقراط من مدينة اثينا اصلا وسلك طريقا مغايرا لما سلكه من مضى قبله من جميع الفلاسفة من اذهابهم اغلب اعمارهم فى السفر لاكتساب العلوم

والمعارف

والمعارف بمجاورتهم لعلماء البلدان ولكن المبحث الفلسفي الذى تمسك به سوقراط يرغب من اطلع عليه فى انه يشتغل بمعرفة احوال نفسه اولى من ان يتعب نفسه و عقله بمعرفة ما لا يعنى من اخلاق الغير وعوائده فاستصوب اجتناب مشقة الاسفار التى لا يمكنه ان يتعلم فيها ازيد مما يتعلمه فى اثينا مما يتعلق باصلاح بلاده وترتيبها الذى ينبغى تقديمه على النظر فى عوائد الغرباء ولما كانت الفلسفة الادبية علما اغلبه عمليات لا عبارات رتب قانونا كليا وهو انه ينبغى للعاقل ان يسلك ما يأذن به العقل السليم والطبع المستقيم ولذلك لما صار من ارباب مشورة المدينة وتعاهد مع الاهالى ان لا يبدى رأيه الا بما تقضيه القوانين امتنع امتناعا كليا عن ان يقر على الحكم المخالف للقوانين حتى انه بموجب القوانين حكم على تسعة من رؤساء العساكر بالموت فقتلوا جميعا ولم يمنعه من ذلك كونه شق على الاهالى ولا تهديد الاعيان له عليه لما انه لاحظ ان صاحب الفضائل والشرف لا يليق له ان ينقض عهده ليعجب الناس ولم يعهد له وظيفة الا هذه المرة غير انه ولو كان من الآحاد كان معتبرا فى اثينا بسبب حسن سلوكه وفضائله بحيث يزيد احترامه عن احترام ارباب المشورة واما احوال نفسه وبدنه فكان له بهما غاية الاعتناء ويذم من يهمل ذلك فكان نظيفا فى الملابس و البدن متهيئا بهيئة الحياء والاحتشام مع التوسط الذى لم يبلغ درجة المترفهين ولم ينزل الى مرتبة المتقشفين ومع كونه ليس من ارباب الثروة كان خليا من الطمع فكان لا يأخذ شيئا من تلامذته وكان يلوم غيره من الفلاسفة ممن يبيع التعليم بالدنيا ويسعر الدروس بالاثمان عظيمة او حقيرة على حسب شهرتهم وكان كثيرا ما يقول كما نقله « زنفون » عجبا لمن صناعته تعليم الاخلاق كيف يخطر له ان يتخذ ذلك مغنما أفلا يكفيه على اعتنائه ان ينسب اليه انه اصلح حال انسان وانه اغتنم من تلامذته محبا له أفلا يكون هذا من اعظم المنافع وادوم الفوائد وكان انتيفون السوفسطائى من كراهته لبعض اخلاق سوقراط اراد تجريحها فقال لسقراط ذات يوم فى شأن

عدم الحرص الحق معك فى عدم اخذك شيئا من تلامذتك وهذا دليل صحيح على انك من خيار الناس وذلك لانك لو اردت بيع بيتك او بعض ثيابك او متاعك فانك لا تبيعه الا بكمال قيمته فضلا عن كونك تعطيه مجانا بلا مقابل ولما علمت فى نفسك انك لا تعرف شيئا فلا يمكنك تعليم غيرك عرفت ان الاولى لك ان لا تأخذ الا على ما يمكنك تعليمه ويكون اخذك حينئذ اكثر دلالة على فضيلتك من عدم الاخذ رأسا ثم ان سقراط لم يعجز عن الخام هذا السوفسطائى حيث بين له ان هناك اشياء يمكن استعمالها على وجه لائق تارة وغير لائق اخرى وان هناك فرقا بين الانسان الذى يهدى من ثمر اشجاره لاحبائه وبين من يبيعه لهم وبالجملة فلا يتوهم ان سقراط كان له محل معين للتعليم كغيره من الفلاسفة الذين كانوا يعطون الدروس فى محالهم المعينة فى اوقاتها المعلومة عندهم وكان من دأبه فى التعليم ان يعلم بالمخاطبات والمحادثات فى اى زمن واى مكان واى انسان وكان رجل يقال له ماليطوس اتهم سقراط بعدة ذنوب كبائر منها انه لم يعتبر الآلهة المعبودة عند اهالى اثينا بل احدث له معبودا والواقع ان هذه التهمة اكذب التهم وذلك لان سقراط كان يأمر كل من يسأله فى شأن ذلك باتباع ما ينطق به كهانة هيكل الشمس ودلفيس اللذين هما معبودا الاثينيين وكان جواب الكهانة انه ينبغى لكل انسان ان يسلك فى عبادته مسالك اهل بلده ولذلك كانت طريقته فى القربان كطريقتهم حيث يقرب الاشياء اليسيرة من ملكه قدر وسعه ويزعم ان ذلك مقبول اكثر من القربانات الثمينة الجسيمة التى يقربها الاغنياء لان ذلك وسعة ولم يمكنه ان يعتقد ان عبادة الاغنياء مقبولة والفقراء منبوذة بل اعتقاده ان المرضى عند المعبود ما يصدر من اهل الصلاح وبالجملة فلا شئ اوفق للدين واسهل من الصلوات والادعية للمعبود ولكن ينبغى للداعى ان لا يسأل مولاه شيئا معينا بل يفوض له بان يطلب منه ما يكون صلاحا لنفسه وذلك لانه لو طلب منه مالا او جاها لكان كمن يطلب منه ان يقيمه فى حرابة او ميدان

لعب

اعب مع انه لا يدرى عاقبة ذلك وبدلا عن كونه يأمر المتدين بعبادة بتركها كان يأمر من لا دين له بالتدين فقد بين « زنفون » الطريقة التى سلكها سقراط مع ارستدوموس الذى كان لا ديانة له ويسخر بالعبادة فوصله سقراط الى محبته الديانة والعبادة فاذا قرأ القارئ فى كتاب زنفون ونظر ما قاله سقراط فى القضاء والقدر يتعجب من معرفة فيلسوف فى الجاهلية عقائد توحيدية مستقيمة وكان سقراط فقيرا ومع ذلك كان مسرورا من فاقته لزعمه ان فقره باختياره وانه لو اراد الغنى لقبل الهدايا التى كانت تأتيه من احبائه وتلامذته فانه كان لا يقبلها منهم ويردها رغما عن انف زوجته التى كانت لا تذوق لذة فلسفته وكان سالكا فى امر معيشته مسلك الضيق والصعوبة حتى اتفق ذات يوم ان السوفسطائى الذى تقدم ذكره تجارى على سقراط وغيره بانه فى غاية الفقر والذل والمسكنة وان حالتك هذه لا يقنع بها احد ولو رقيقا وقال له ايضا ان قوتك اخشن الاقوات وملبسك ملبس المساكين بحيث انه قيص واحد للشتاء والصيف وانك دائما حافى الرجلين لا نعل عندك فقال له سقراط انك قد غلطت فى هذا و اخطأت حيث ظننت ان السعادة انما هى بالغنى واللذات والواقع انى ولو ظهر لك فقرى فى هذه الحالة فانى اسعد منك لانى ارى الغنى المطلق خاصا بالمعبود وكلما اكتفى الانسان بما عنده ولم ينظر لما عند الناس قرب من اوصاف الالوهية ولم يتفق ان احدا كان اصفى باطنا من سقراط لان احواله كان لا ينشأ عنها الا التعجب لا سيما فى مثل مدينة اثينا التى كان مثل هذا السلوك فيها امرا عجيبا لان من لم يمكنه بهذه المدينة ان يتأسى به كان يعترف له بحسن السير وانه على حق فحسن سلوك سقراط اسرع اليه اعتبار الناس له وانجذبت اليه التلامذة حتى كان جميعهم يؤثر استماعه على الاشتغالات بالحظوظ والشهوات وقد عظم جذب قلوب الناس له حيث كان اكثر تشديداته على نفسه قام مقامها السهولة واللين مع التلامذة وكان اول ما يبدأ بتعليمه لهم الديانات وكان يحملهم

على العفة والتباعد عن الملاذ ويقول لهم ان الانهماك على اللذات يضيع على الانسان اشرف صفات نفسه وهو الحرية وكانت طريقته فى تعليمهم الآداب جاذبة لهم لانه كان لا يتحرى وقتا ولا استحضارا ولا مقاما مخصوصا بل بحسب ما يتجلى لقريحته ويخطر بباله من المصادفات وكان يفتتح التعليم بكيفية سائل فاذا اجيب تكلم وباحث وناقض وبرهن حتى يكشف لهم الحقيقة وكان يمضى من يومه جزء كبير فى تلك الادبيات ولذا لم يجتمع به احد الا واخذ فائدة جليلة هكذا ذكر زنفون ومع ان سقراط لم يعقب شيئا من التأليف ليشهر فضله فيكفيه شاهدا على الفضائل كتب افلاطون وزنفون التى نقلا فيها الآداب والمعارف فانهما توافقت نقولهما لاسيما فيما يتعلق بالمناظرات مما يدل على استيعابه مباحث المقامات بترتيب حسن والبرهنة على كل مقام بما يليق له وان لم تكن الفاظ تلك الكتب عين ألفاظ سقراط خصوصا ما ينقله افلاطون كما شهد به سقراط نفسه لما قرئت عليه مخاطباته التى جمعها افلاطون المسماة « لوسيس المحبة » اما زنفون فكان فى نقل العبارات اشد تحريا من افلاطون فكان ينقل الادبيات التى تقع بين سقراط وغيره كما يسمعها ومن العجائب ان سقراط الذى دائما يحث الناس على العبادة ويعظ الشبان ويأمرهم بالتباعد عن اللذات والشهوات يحكم عليه بالموت بدعوى انه كافر بآلهة اثينا مفسد لاهاليها لكن لا عجب حيث كان الوقت وقت اختلال فى الدولة وكثرة الظلمة الحاكمين بها فكانوا ثلاثين ظالما ولنذكر لك سبب ذلك فنقول كان اعظم هؤلاء الظلمة تلميذ سقراط المسمى « اقرسياس » كما كان « القبياده » من تلامذته فزهدا فى الفلسفة لما بها من المواعظ غير المناسبة لطمعهما وانهماكهما على اللذات فتركاه فاما اقرسياس فصار اكبر اعدائه بسبب تشديده عليه فى اللوم على سوء السير والظلم فلما صار من جملة الثلاثين لم يتمن الا اعدام سقراط خصوصا وسقراط كان اذا بلغه ظلمهم وعتوهم تكلم فيهم وشنع عليهم مع السب ولا يخاف سطوتهم ولما رآهم اكثروا القتل فى الاهالى والاعيان لم يمنع

نفسه من ان قال فى شأنهم فى محفل الناس اذا كان راعى البقر تنقص عدية بقره كل يوم ويغادرها نحيفة هزيلة فمن العجيب عدم اعترافه بانه لا يصلح لرعايتها ففهم اقرسياس وخارقليس اللذان كانا رئيسى ارباب الظلم ان سقراط يعنيهما بضرب هذا المثل فرتبوا قانونا ينهى عن تعلم المحاورات بمدينة اثينا ومع كون سقراط لم يتخذ التعليم حرفة فهم ان المنع من اجله وان غرضهم منعه ان يتكلم مع من عادته الاجتماع به بمثل هذه الامثال الادبية فذهب بنفسه لاثنين ممن رتبوا هذا القانون ليسألهما عن بيان ذلك لكنه حيرهم بدقة اسئلته فلما بهتا وضاقا منه قالا له صراحة انك منهى عن مخاطبة الشبان ابدا فقال لهما فالى اى زمن تمتد الشبوبية فقالا له الى ثلاثين سنة فقال لهما ان سألنى سائل عن مكانكما اجيبه او لا فقال خارقليس نعم اجبه وقال اقرسياس انما انت منهى عن لمات الناس الذين كلت مسامعهم من كلامك فقال سقراط ان سألنى من تبعنى ما هى الشفقة والانصاف فهل اجيبه فاجابه خارقليس بقوله نعم ورعى البقر ايضا معرضا له بالمثل السابق وقال احذر ان تكون سببا فى نقص البقر ففهم سقراط انه لا ينبغى الاتساع معهم فى الكلام بازيد من ذلك وان مثل البقر اغضبهم منه غاية الغضب ولما رأى هؤلاء الظلمة ما اشتهر به سقراط عند الناس من الفضائل احبوا ان يمهدوا للانتقام منه بتبغيض الاهالى فيه اولا فامروا رجلا يقال له « ارطوفان » بذلك فاخترع لهم حكاية طويلة سماها بالسحاب وهى كناية عن امثال فى تقبيح من يظهر خلاف باطنه فلما اجتمعت الاهالى فى لعب عمومى صار ينزل هذه الامثال القبيحة على سقراط بسماع الاهالى ومن يسمع يخل فانتدب عند ذلك ميليطوس وعرض نفسه وقال ان ذنب سقراط كبير محتو على ذنوب وذلك لانه لا يعتقد آلهة اثينا واخترع آلهة غرباء ولم يكفه ذلك بل صار يعلم الشبان على احتقار اهاليهم وحكامهم فيستحق القتل ومع تعصب هؤلاء الظلمة عليه خصوصا اقرسياس وخارقليس اللذين كانا من تلامذته لو انقاد سقراط واحتج عن نفسه

فى ما اتهموه فيه لعفوا عنه لكن منعه كبره ولم يرض بدفع الغرامة متعللا بان دفعها نوع اعتراف بالذنب ولما طلبه القضاة ليقضى على نفسه قال بهيئة الكبر ان حق ان يكون مصرفى مدة حياتى من خزينة المدينة فهذا كله اوجب الجميع ان يقضوا بموته كان فيلسوف يسمى لوسياس ألف امثالا ليستعملها فقرأها بين ايدى القضاة فلما قرأها سقراط قال انها عظيمة وردها لصاحبها قائلا انها لا تصلح لى فقال لوسياس كيف لا تصلح لك وقد اعجبتك فقال له يا صاحبى يوجد فى الثياب والنعال ما هو عظيم لكنه لا يصلح لكل احد ومدح سقراط تلك الامثال كان فى محله غير ان لوسياس لما كان سالكا فيها مسلكا لا يصلح لعدل وطهارة نفس سقراط قال ما تقدم ثم انه لما حكم عليه بالموت وضع فى السجن فبعد مدة ايام اعطوه نباتا سميا فابتلعه ومات منه وهذه كانت طريقتهم فى كل من حكموا بموته ذكر ديوجينس لايرقه ان سقراط تزوج فى عمره بامرأتين لم يعرف منهما الا حال « زنثيه » التى اعقب منها ولده « طنپورقليس » وكانت مشهورة بسوء الخلق وكان يتحملها كثيرا حتى انه لما سئل عن سبب تزوجها قال انى اردت ذلك لاجل ان اتحمل اخلاق الناس كلهم متى تجلدت لتحمل هذه المرأة وكان يدعى ان معه قرينا من الجن يهديه لبعض الامور حكى ذلك افلاطون وغيره من قدماء المؤلفين بل كثير منهم كتبا فى هذا الشان بخصوصه وتوفى فى السنة الاولى من الاولمپياد الخامس والتسعين وعمره ثمانية وستون سنة

﴿ تاريخ افلاطون الفيلسوف ﴾

ولد هذا الفيلسوف فى السنة الاولى من الاولمپياد الثامن والثمانين وتوفى فى اول الاولمپياد المتمم مائة وثمانية وعمره احدى وثمانون سنة كان لوفور علمه وشهرة مذهبه يلقب بالالهى وكان من اشهر عشيرة فى اثينا التى هى ميلاده وكان ينسب

من

من جهة ابيه المسمى اريسطون الى قدروس ومن جهة امه بيريقتيون الى سولون وكان يسمى اولا ارسطوقليس ولما كان ذا قامة طويلة ضخما عظيم الجبهة عريض الاكتاف سمى باسم افلاطون واشتهر به لا غير حكى انه فى صغره يقطر النحل العسل على شفتيه فتفوءل له من ذلك بالفصاحة العجيبة وكان كذلك حيث امتاز بها فى اليونان واجتهد فى الشعر من صباه وعمل ابياتا محزنة وقصيدتين فى التوجع من صروف الدهر ثم لما اخذ فى تعلم الفلسفة احرق ذلك بالنار وسلمة ابوه لسقراط ليعلمه وعمره اذ ذاك عشرون سنة وكان سقراط رأى فى الليلة التى حضر اليه صبيحتها كأنه امسك بطير صغير وضمه لصدره ثم ظهر ريشه نشر جناحيه بقوة وصعد الهواء بسرعة وغنى بصوت حسن واستمر على ذلك فلما اتاه صبيحتها افلاطون فسر تلك الرؤيا به وانه ستكون له شهرة عظيمة فاستمر افلاطون متعلقا بسقراط مع الصداقة فلما مات اجتمع برجل يسمى اقراطولس كان يتتبع طرق هيرقليطس واجتمع بحكيم آخر يسمى هرموجينيس كان يتبع برمنيدس فلما بلغ من العمر ثمانى وعشرين سنة ذهب الى مدينة ميغار للتلقى مع بقية تلامذة سقراط عن اقليدس ثم ذهب منها لمدينة القيروان فتعلم فيها العلوم الهندسية على ثيودورس ثم توجه الى مملكة ايطاليا لاجل ان يسمع الفيثاغورسيين المشهورين الذين هم فيلوليوس وارخيتاس الطارنتى واوريتوس فلم يقنع بما تعلمه من هؤلاء المعلمين العظام بل توجه لمصر للتلقى عن حكمائها وقسسها وكان عازما على السفر الى بلاد الهند للتعلم عن المجوس لولا المحاربة فى بلاد آسيا ثم لما تمم اسفاره رجع الى اثينا واستوطن بقرية تسمى اكدميه وكان هواؤها غير معتدل وانما اختار استيطانها لاجل هضم سمنه وصحة طبيعته فنفعه ذلك فرض اولا بحمى الربع التى مكثت معه سنة ونصفا ثم لما سلك الحمية والقناعة ذهبت عنه وعاد اكثر مما كان فى الصحة وحضر القتال ثلاث مرات الاولى بمملكة تناغرا والثانية بمدينة قورنثه والثالثة بجزيرة

ديلوس وانتصر الحزب الذين كان هو معهم فى المرة الاخيرة وسافر ايضا ثلاث مرات الى مملكة سيسيليا ﴿ المرة الاولى ﴾ كانت للفرجة ومشاهدة نيران جبال اتنا وكان سنه اذ ذاك اربعين سنة فذهب الى الملك دينيس الهرم الظالم الذى كان يتمنى كثيرا رؤية افلاطون فأدته جراءته الى التكلم مع هذا الظالم فى امور سلطنته وخاطر بنفسه ولولا شفاعة « ديون » «وارسطومين» عند الملك لقتله ولكنه اعطاه لبوليدس الذى كان بجانبه رسولا من ملك لقدمونيا وامره ان يتصرف فيه كالرقيق فذهب به الى مدينة « چينا » وباعه فيها وكان اهل تلك المدينة قد شددوا فى ان من مر من الاثينيين بجزيرتهم يقتلونه فاحب قرمندل اجراء هذا القانون عليه وقتله فاسعف هذا الحكيم بعض كبارهم وقال ان هذا لا يجرى على خاصة الفلاسفة فاكتفوا ببيعه فمن حسن حظه اشتراه انقرسيس القيروانى كان بتلك المدينه اذ ذاك فدفع فيه من المعاملة التى تسمى مينة عشرين وبعثه لاصحابه باثينا فاما بوليدس القدمونى فهزمه قبرياس ولم يرجع عنه حتى هلك غريقا وسبب ذلك بيعه لافلاطون الفيلسوف كما اخبر بذلك بعض الجان افلاطون وبلغ دينيس الظالم ان افلاطون رجع لاثينا فخاف ان ينتقم منه بحث الناس على مقاتلته فكاتبه بطلب الصفح والعفو عن زلاته فاجابه افلاطون بانه لا يكن عندك شاغل من ذلك لحصول الصفح وايضا فاشتغالى بعلم الفلسفة حفظ فكرتى عن تخيل مثل ذلك ثم ان بعض الاعداء عير افلاطون بان دينيس الملك اهمله وطرحه من فكره فقال افلاطون ان دينيس لم يترك افلاطون بل افلاطون هو الذى ترك الملك واهمله ﴿ المرة الثانية ﴾ ذهب الى سيسيليا فى مدة الملك دينيس الاصغر بقصد وعظه وامره باعطاء الحرية لاهل بلاده او ان يسير فيهم فى الحكم على منهج حسن فاقام بها اربعة اشهر فلما وجد ان الملك لم تنفعه الموعظة بل نفى من مملكته « ديون » واستمر فى سياسته على طريقة ابيه الظالمة رجع الى اثينا رغما عن هذا الملك مع احترامه له غاية الاحترام وبذله الجهد فى اقامته عنده ﴿ المرة الثالثة ﴾ ذهب لتلك المملكة

يترجى الملك فى اعادة «ديون» المنفى وان يتجرد عن ظلم السلطنة فوعده الوفاء بذلك ثم لم يوفه فلامه افلاطون بخلف الوعد واغاظه غيظا شديدا حتى انه خاطر بنفسه للهلاك فلولا ان ارخيتاس الطارنتى بعث رسوله للملك بسفينة يحضر فيها افلاطون وترجى الملك فى الصفح لاهلكه ولما حضر هذا الرسول فمن شدة الاعتناء بشفاعة ارخيتاس اطلق افلاطون وانزل له فى السفينة اهبة السفر ورجع افلاطون الى اثينا عازما على عدم الخروج منها فقابله اهلها بالاحترام الكلى وسألوه ان يكون من اهل حكومتهم فامتنع ورأى ان ذلك مع تغير اخلاقهم وعوائدهم لا ثمرة فيه ومع ذلك فكان مشهورا محبوبا فى سائر اليونان حتى فى المواسم الالمبيقية يرونه كانه اله نزل من السماء ومع ما كان لليونان على اختلاف اممهم من شدة الرغبة فى هذه المواسم حتى اشتهروا بها فى كل جهة كانوا متى حضر هذا الفيلسوف يتركون سائر ألعاب الموسم ويعمدون للتأنس بمخالطته ونظره وعاش اعزب مدة حياته ملازما للعفة والقناعة والتحفظ من الشهوات حتى من الصبى وكان نادر الضحك وكان اميرا على نفسه فى هواها وكان لا يغضب ابدا حتى ان شابا من ملازميه ذهب الى اهله ذات يوم فوجد اباه غضبا فتعجب غاية العجب ولم يستطع منع نفسه من الضحك لكونه لم ير ذلك مدة ملازمته لافلاطون ولم تشمئز نفس افلاطون الا مرة واحدة على عبده عند ما اذنب ذنبا جسيما ومع ذلك يعاقبه بنفسه قائلا لا يليق لى مع يسير من الغضب استيفاء العقوبة بل امر واحدا من عبيده فعاقبه وافلاطون كان سوداوى الطبع كثير الفكر والتأمل ومع ذلك كما ذكره ارسطو كان لينا رفيقا بشوشا بل بما مزج مزحا لطيفا وكان يشير احيانا على «ديون» و«زنقراطس» اللذين كانا فى اخلاقهما صعوبة بالتخلق بالبشاشة كى يقبلا عند الناس وتكون لهما اخلاق حميدة كانت تلامذته كثيرة من مشاهيرهم اسبوسيبس ابن اخته وبوتونه زوجة اوريعندون ومنهم ايضا زنقراطس القلسدونى وارسطو الشهير ويقال

ان منهم ايضا ثيوقراطس وكذلك ديموثينس كان ينتمي اليه ويدل على انه تلميذه انه ذهب الى محل يحتمي فيه من بطش « انطباطر » به فبعث له انطباطر رجلا اسمه ارخياس ليخرجه من ذلك المحل وامره ان لا يقتله فذهب ارخياس اليه وصار يتحيل عليه ويقول له اخرج من هذا المحل ولا ضرر عليك فلم يقبل منه وقال له معاذ الله بعد ما سمعت من زنقراطس وافلاطون ان الارواح باقية لا تفنى فهل مع ذلك يمكنني ان اوثر حياة الذل على موت العز وكان من جملة تلامذته «لاثينيا» و«اكسيوسه» اللتان كانتا تلبسان زى الرجال للياقته بالتعلم الذى شرعتا فيه وكان افلاطون يعتني علم الهندسة اعتناء تاما ويقول انه لازم لتعلم الفلسفة حتى كتب على باب المدرسة لا يدخلها الا الماهر فى علم الهندسة جميع كتب افلاطون ما عدا المراسلات تلاشت وذهبت بالكلية ولم يبق من المراسلات الا اثنا عشر كانت على منهج المخاطبات ولا مانع من قسمتها ثلاثة انواع الاول فى رد شبه السوفسطائية الثانى فى كيفية تعليم الشبان الثالث فيما يليق بمن بلغ سن الرجولية ويمكن ان تقسم بملحظ آخر الى اقسام اخر الاول المخاطبات التى حكاها عن نفسه كما فى مقالاته القانونية وغيرها مما دونه على انه مذهب له بما فيه من الاجتهادات القسم الثانى ما حكاه على لسان غيره من الفلاسفة مثل سقراط و« ثينا » و« بوميدينيس » و« زنون » فان حكايته له تشبه ترجيحه مع عدم الجزم به ومع كون ما قاله افلاطون فى مخاطباته عن لسان سقراط صحيحا جاريا على نسق سقراط فى تأليفاته وجدله فلا تظن انه عين مذهب سقراط حيث ان سقراط نفسه لما قرأ عليه مخاطبة افلاطون التى سماها «لوسيس المحبة» كذبها وقال لقد قولني هذا ما لم اقل كانت طريقته فى التأليف بليغة متوسطة لم تنحط الى رتبة النثر والحكايات ولم ترتق الى رتبة الاشعار فى البلاغات كما شهد له بذلك تلميذه ارسطو وقال« فيقرون» الاديب عبارة افلاطون شريفة منيفة بحيث لو نزل شئ من الوحي على لسان البشر لما تميز عن كلامه وكان بانسيوس يسمى افلاطون

اومسيروس

اومسيروس الفلاسفة اى بليغهم ولذا كان بعضهم اذا مدح حكمه يقول انها اوميروسية والهية قد دون مذهبه من ثلاثة من مذاهب الفلاسفة فتبع هيرقليطس فى الطبيعيات والمحسوسات وتبع فيثاغورس فيما وراء الطبيعيات وفى العقليات وتبع سقراط فى القوانين والآداب وفضله على الاثنين فاقتدى به وحده فى ذلك ذكر لوطرقس فى المقالة الاولى من كتابه المسمى آراء الفلاسفة فى الفصل الثالث ان افلاطون قال بثلاثة اصول الاله والمادة والادراك فالاله يشبه عقل العقول والمادة تشبه السبب الاول للتولد والفساد والادراك بجوهر روحانى قائم بذات الاله نعم عرف ان العالم خاقه اله ولكنه لم يعن انه مخلوق من عدم محض بل عنى ان الاله انما نظم من تلك المادة القديمة هذا العالم وشكله بالاشكال المتنوعة بمعنى ان الاله اخرج المادة من حيز العمى الى حيز الظهور وميزها عن بعضها حتى صارت هذا العالم الشبه بعمار يصور البيت بالآلات الحاضرة كالحجر وغيره كان الناس يقولون ان افلاطون يعرف الاله الحقيق معرفة جيدة وهذا اما من جودة ذهنه اومما اطلع عليه من كتب العبرانيين لكن ينبغى لنا ان نقول كما قال مارى بولس ان افلاطون كان من الجماعة الذين يعرفون الله حق المعرفة لكنهم تاهوا بسبب مذاهبهم ولم يعظموه كواجب الالوهية بل ضلوا فوقع من افلاطون فى كتابه المتعلق بالالهيات انه نوع الالهة مراتب ثلاثا علويين ومتوسطين وسفليين فالعلويون على زعمه هم سكان السماء المرتفعون على جميع العالم و بسبب علومسكنهم وطبيعتهم لا يتمكن الانسان من مخالطتهم الا بواسطة المتوسطين الساكنين فى الهواء و يسمون جنا وهؤلاء المتوسطون كوزراء العلويين بالنسبة للعالم لانهم يوصلون اليهم الاوامر و يقبلون القربان و النذور للعلويين وكل واحد منهم يحكم اقليما من العالم وهم الرؤساء فى الكهانة والاخبار بالمغيبات وهم المخترعون لخوارق العادات و الظاهر ان افلاطون نسج ذلك على منوال ما وجده فى الكتب السماوية من

وظائف الملائكة النوع الثالث السفليون جعل مسكنهم الانهار وسماهم انصاف آلهة وجعلهم رسل المنامات والعجائب كالآلهة المتوسطين وزعم ان جميع عناصر العالم وسائر اجزائه ممتلئة بهذا النوع الثالث وقال انهم قد يظهرون فى بعض الاحيان لابصارنا ويختفون احيانا والظاهر ان قدماء حكماء الامم غير المتمدنة اسسوا مذاهبهم وألفوا كتبهم فى الامور السفليات ونحوها من هذه الاصول كان افلاطون يعلم تناسخ الارواح بالطريقة التى تعلمها من فيثاغورس ثم اتخذ ذلك طريقة له وسلك فيها منوالا خاصا به غير منوال فيثاغورس كما يوجد فى مخاطباته ومع ظرافة مخاطبته المتعلقة ببقاء الروح وقع فيها فى غلط فاحش من جهة زعمه انها مركبة من جزئين جسمانى وروحانى ومن جهة قوله انها موجودة قبل الجسم وانها اتت من السماء لتدخل فى الاجسام المختلفة لتحيي بها وتعود الى السماء بعد ان تطهر من المحال التى كانت فيها ثم بعد مضى جملة سنين تروحن بالثانى عدة اجسام مختلفة فهى دائما متنقلة بين طهارتها من الاجسام تارة وتجسمها بها اخرى ومن السماء الى الارض ولما كانت عقيدته ان الارواح لا تخلو بالكلية عما ادركته سابقا فى تواردها على الاجسام المختلفة زعم ان المعارف ليست تجديدا بالكلية بل منها ما هو تذكار لما سبق لها ادراكه وكاد ينمحى منها و بنى على ذلك سبق الارواح فى الوجود على الاجسام ولا حاجة الى بسط آراء هذا الفيلسوف زيادة عن ذلك بل يكفينا ان نسلك مسلك الاختصار ونقول ان مذهبه فى محلات كثيرة مبتكر ذو شأن عال ينوه بكون صاحبه حريا بما لقب به من انه الهى وباعتباره فى اعلى رتب الفلاسفة توفى هذا الفيلسوف فى السنة الاولى من الاولمبياد المتمم مائة وثمانية وكان عمره احدى وثمانين سنة ووافق يوم وفاته يوم ولادته

***

﴿ تاريخ انتيثينوس الفيلسوف ﴾

كان تلميذا لسقراط وعصريا لافلاطون وغيره من بقية التلامذة انقسمت تلامذة سقراط بعد وفاته ثلاث فرق مختلفة فرقة تسمى الكلبية وفرقة تسمى الاشراقية و يقال لهم افلاطونية وفرقة تسمى القيروانية وكان انتيثينوس شيخ الاولى وسميت بذلك قيل لانهم كانوا فى معيشتهم مثل الكلاب وقيل لان محل تعلمهم كان بعيدا جدا عن باب من ابواب اثينا يسمى باسم يونانى قريب من معنى كلب كان والده من اثينا واسمه كاسمه وكانت امه رقيقة وحين كان يقال له ان امك من ارقاء افروجية يقول لا عيب فى ذلك لان التى تزعمها اليونان ام الآلهة المسماة قبلة كانت ايضا من تلك البلدة اول تلمذته كانت لمعلمه الخطيب جرجياس ثم اشتغل بتعليم طائفة مخصوصة وكان بليغا فصيحا عذب الالفاظ فلذا هرع الناس اليه من سائر المواضع ليسمعوه ثم بلغه صيت سقراط وشهرته فاشتاق اليه وذهب لسماعه ثم عاد مسرورا منه جدا حتى انه استصحب تلامذته وعاد بهم اليه وطلب منهم ان يكونوا اخوانا بمكتب سقراط وانه لا يأخذ لنفسه بعد ذلك تلامذة وكان مسكنه بمينا بوره فكان يسير كل يوم اربعين غلوة ليسر برؤية سقراط وسماعه ورواية العلوم الحكمية عنه كان استاذا لكن كان سالكا فى معيشته مسلك الضيق والصعوبة وكان دائما يدعو الاله ان قضى عليه بالانكباب على الشهوات ان يسلب عقله فكان يجنح للصعوبة جدا حتى فى حكمه على التلامذة وكان اذا سئل عن ذلك يقول أفليس الطبيب يسلك مثل هذه الطريقة مع المرضى وهو اول من لبس العباءة العريضة المبطنة واتخذ الخرج والعصا فلذا صارت هذه الثلاثة خاصة بالكلبية وبغيتهم التى يظنون انهم بسببها يتمتعون بسعادة ابدية كان لا يأخذ من لحيته شيئا بل كان لا يعتنى بشأن ملبسه كان لا يعلق آماله الا بالعلوم الادبية ويقول ان غيرها

من العلوم لا فائدة فيه بالكلية كان يعظ الملك ويحثه على اتباع المحامد وينهاه عن المفاخر كانت الكلبية تستعمل التشديد والصعوبة فى معائشهم وكانت اقواتهم خصوص الفواكه والبقول لا يشربون سوى الماء ولا يجدون مشقة فى النوم على الارض وكانوا يقولون ان خصوصية الاله عدم احتياجه لشئ اصلا فاشد الناس قربا للالوهية اقلهم احتياجا وكانوا جميعا يفتخرون باحتقار الاموال والحسب وجميع الصفات سواء كانت من الفضائل والفواضل وغاية الامر انهم كانوا لا يخجلون من شئ ابدا ولا يخشون المعرة حتى من الامور الفاضحة ولا يعرفون الحياء فلا يحترمون احدا كان هذا الفيلسوف فى غاية الفطنة وصفاء العقل وكان انيسا جدا يتكلم فى كل مجلس بما يحب اهله واشتهر بقوة العزم والشجاعة فى واقعة « تناغرا » وحصل له من يد الاعتبار والاحترام وسر من ذلك سقراط جدا ثم بعد مدة من الزمن قيل لسقراط ان امه افروجية فقال متعجبا أتظنون ان مثل الرجل العظيم ينشأ من رجل وامرأة اثينيين ثم ان سقراط لم يتمالك نفسه فيما بعد ان عيره بانه متكبر نظره سقراط ذات يوم وهو يوجه خروق عباءته لجهة الناس فصاح به سقراط وقال له قد ظهر كبرك من خلال هذا الخرق لما بلغ هذا الفيلسوف ان الاثينيين يفتخرون بانهم ولادة المدينة التى هى سكنهم فسخر منهم وقال مستهزئا بهم وكذلك الهوام تشارككم فى هذا الافتخار حيث تقيم دائما بمحل ولادتها كان دائما يقول نسيان الشر انفع علم للانسان جاءه رجل بابنه ليكون تلميذا له وسأله ما الذى يحتاجه ابنى حالا فاجابه يحتاج الى كتاب جديد وقلم ولوح جديدين قاصدا بذلك افهامه ان عقل ولده كشمعة لم ينتقش فيها شئ سئل مرة ما الذى ينبغى طلبه فى الدنيا فاجابه موت الانسان سعيدا حصل له غيظ شديد من حساده الذين كانوا يرعاهم حسدهم دائما كرعى الصدأ للحديد فكان يقول لو خيرت بين ان اكون غرابا او حاسدا لاخترت ان اكون غرابا لان الغربان لا تأكل الا الميتة واما

الحساد

الحساد فانهم يأكلون لحوم الاحياء اتفق ان شخصا قال له ان الحرب يأخذ اشقياء الناس فقال له يأتى باشقياء اكثر مما اخذ سألوه ذات يوم عن الالوهية فقال لا شئ يشبه الاله فمن الجنون تعرض الانسان لمعرفته بحاسة كان يقول يلزم اكرام الاعداء لانهم اول مبادر بكشف العيب وافشائه فبهذا هم انفع من الاحباب لحملهم لنا على الاستقامة والرجوع عن المعايب كان دائما يقول يلزم الانسان محبة الصديق الصالح اكثر من محبه القريب لان لحمة الفضيلة اقوى وآكد بكثير من لحمة القرابة وقال انتظام الانسان فى سلك قليل من الحكماء المتعصبين على الجم الغفير من الحمق اولى له من العكس سمع ذات يوم كثيرا من الاراذل يمدحه فقال ما الذى صنعته من سيئ الافعال حتى مدحنى هؤلاء الاراذل كان يزعم ان الحكيم لا يلزمه ان يجرى على نهج القوانين بل يجب عليه العمل بمقتضى حميد الخصال كان لا يستغرب شيئا ابدا ولا يحصل له غم من مصيبة لما انه متبصر فى الامر قبل وقوعه متهيئ لعاقبته مستعد لكل ما يحدث من النكبات كان يقول الحكمة والشرف شئ واحد والشرف انما هو الحكيم قال الاحتراس كالسور المحكم لا يمكن هدمه ولا اخذه بغتة وقال ايضا ان آمن الطرق لبقاء الذكر هو معيشة الانسان صالحا ولا يكمل حظ امرئ الا ان كان عنده عزم سقراط وقوته سأله رجل ذات يوم اىّ النساء احسن فى التزوج فقال له اذا تزوجت بقبيحة المنظر فان نفسك تنفر منها عاجلا واذا تزوجت بجميلة فربما زاحمك الرجال عليها رأى يوما رجلا زانيا بمتزوجة خاف زوجها فهرب فصاح به يا مسكين كان يمكنك اتقاء هذا الخطر بفاس للمعدة لذلك كان يحرض تلامذته على الاستكثار من الزاد الذى لا يعتريه ضياع كان يقول ينبغى للعاقل ان يتمنى لاعدائه كل شئ ما عدا الحكمة كان اذا ذكرت عنده التنعمات يقول يارب لا تجعلها الا لاولاد اعدائنا وكان اذا رأى امرأة ظاهرة فى الحلى والزينة يذهب حالا الى بيت زوجها ويطلب

منه ان يريه حصانه وسلاحه فاذا ظهر له حسنهما اذن لزوجته ان تفعل جميع ما تروم حيث ان زوجها يحميها ويدفع عنها الغير اما اذا لم يظهر له ذلك فانه يأمر المرأة بنزع سائر الحلى والزينة مخافة استيلاء جبار عنيد عليها فلا يمكن زوجها دفعه ورده عن هتك حرمتها اتفق انه امر الاثينيين ذات يوم ان يحرثوا الارض على الحمير والخيل على خلاف المعهود عندهم فقالوا له هذا غير مناسب والحمير لا يمكنها ذلك فقال لهم لا ضرر أو ليس انكم تختارون للحكومة قضاة لم تخبروهم هل يصلحون لذلك او لا بل تكتفون بمجرد اختياركم اياهم وقيل له ذات يوم ان افلاطون يذمك فقال قد شاركت الملوك فى ذلك والنفس الخبيثة هى التى تسئ من احسن اليها كان يقول من العجيب ان الناس يتعبون فى تنقية القمح من خليطه وفى نفى العساكر غير النافعة مع عدم تطهيرهم الجمهورية من الحساد لها كانوا يلومونه على معاشرة من قبحت سيرتهم فكان يقول ماذا يضرنى فى ذلك لان الاطباء يخالطون المرضى كل يوم من غير ان تمسهم حماهم كان جلدا صبورا وكان يعظ تلامذته ويحثهم على تحمل الشدائد وان لا يتأثروا من سب وذم يقال فيهم كان يلوم افلاطون على محبته التفاخر والتعاظم لانه كان دائما يسخر من هذا الامر كان اذا قيل له ما الذى اكتسبته من الفلسفة يقول اكتسبت انه يمكننى ان اتسامر مع نفسى وان افعل بالطوع والاختيار ما لا يفعله غيرى الا بالقهر والغلبة كان دائما يقر ويعترف لمعلمه سقراط بالمعارف والظاهر انه هو الذى اخذ ثار سقراط بعد موته وذلك ان جماعة اتوا من آخر بلاد البحر الاسود ليسمعوا سقراط فاخذهم انتيثينوس وذهب بهم الى انوطوس احد من حكم بقتل سقراط وقال لهم هذا الرجل احكم من سقراط وهو الذى تسبب فى موته بشكواه فهيج ذكر سقراط الحاضرين حتى طردوا انوطوس خارج المدينة حالا وقبضوا على ميليطوس المتهم الثانى لسقراط وقتلوه مرض انتيثينوس

بداء

بداء السل والظاهر انه كان يؤثر الحياة بهذا الداء على الموت السريع لان
تلميذه ديوجينس دخل عليه ذات يوم فى غرفته وتحت عباءته سكين فقال له هذا
الفيلسوف ما الذى يخلصنى مما اقاسيه فاخرج تلميذه السكين من تحت عباءته
وقال له هذه هى التى تخاصك فقال له انما اعنى الخلاص من الآلام لا الخلاص
من الحياة والظاهر ايضا ان هذا الفيلسوف كان يفتخر بان واضع مذهب
الكلبيين فى الاصل هو هرقول الذى يعتقدونه نصف اله كما يدل لذلك ما قيل
فى الشعر المنظوم عن لسان حال هذا الفيلسوف

﴿ تاريخ ارستيب الفيلسوف ﴾

كان هذا الفيلسوف فى عصر افلاطون مدة الالمبياد السادس والتسعين
وكان من مدينة القيروان التى هى من مدن «برقا» فحمله صيت سقراط وشهرته
على هجر وطنه والتوطن عند سقراط بمدينة اثينا ليتلقى عنه ويسر بسماعه
وملازمته فصار من اعيان تلامذته ولكن سلك مسلكا مخالفا للاصول المقررة
فى هذا المكتب العظيم فاخترع فى الفلسفة المذهب المسمى القيروانى بسبب
انه من تلك المدينة كان ذكى العقل جدا سريع الجواب بليغا فى كلامه
وكان دأبه التملق فى تعظيم الملوك والمتظاهرين وكان مستعدا لجميع ما يطلبونه
منه وكان يباسطهم ويضاحكهم فيسلب منهم جميع ما يريد وكانوا اذا نقصوه
بسب او غيره يتلقاه منهم بوجه الممازجة حتى لا تقع بينهم منافسة ولو ارادوا ذلك
وكان بالتحيل والتداخل يبلغ اغراضه مهما كانت لا يتكدر من شئ ابدا بل
كانت الاشياء كلها مستوية عنده وقال له افلاطون يا ارستيب من مثلك تستوى
عنده ثياب الصعاليك وخلع الملوك قال «هوراقس» فى شأنه انه ظهر بجميع
المظاهر واكتفى باليسير فى زمن تمكنه من حيازة الكثير هذه الاوصاف

صيرته عند الملك دينيس الظالم فى غاية القبول فكان عنده بمنزلة جلسائه جميعا وكان يذهب دائما الى سرياقوس مدينة هذا الملك لما عنده من المآكل اللذيذة واذا سئم منها تردد على امراء الدولة ومن حيث كونه افنى عمره فى دواوين الامراء سماه ديوجينس الكلبى الذى كان موجودا فى زمنه الكلب الملوكى اتفق ذات يوم ان دينيس الملك بصق فى وجهه فبعض من كان بالمجلس استصعب ذلك جدا واما ارستيب فلم يظهر سوى الضحك وضرب مثلا بان الصياد يتحمل مشقة الصيد حتى يبتل بالبحر لصيد سمكة صغيرة فكيف لا اتحمل ريق الملك لصيد الحوت الكبير اتفق ايضا ان دينيس المذكور كان فى نفسه منه شئ فلما وضع الطعام وتهيأوا للاكل امر الملك دينيس ان يجلس فى المحل الاخير فلم يتأثر من ذلك ولم يغضب وقال للملك عند ذلك الظاهر انك اردت ان تشرف بى هذا الموضع كان ارستيب من تلامذة سقراط وهو اولهم طلبا لاجرة التعليم ولاجل ان يصير ذلك مأذونا فيه من شيخه بعث له ذات يوم من نقود ذلك الوقت بعشرين قطعة فلم يقبلها سقراط وغضب مدة حياته من سلوك هذا التلميذ والظاهر ان ارستيب لم يبال بذلك ولم يتغير منه وكان اذا قيل له ان معلمك كان كريما شريف النفس لا يطلب من احد شيئا يقول شتان بين حالى وحاله حيث ان سائر امراء مدينة اثينا واعيانها كانوا يفتخرون بارسالهم لسقراط جميع ما يحتاج حتى انه كان كثيرا ما يرد اكثر ما يهدى اليه ويستغنى بالبعض اما انا فهيهات ان يأتينى مملوك دنئ يتذكرنى باعطاء ما اتقوت به ويطلب منى عليه ان اعلمه ارسل بعض الناس ولده اليه ليعلمه وطلب منه ان يعتنى بتعليمه فطلب منه ارستيب خمسين من دراهم ذلك الوقت فاستعظم ذلك ابو الغلام وقال كيف ادفع خمسين مع انى يمكن ان اشترى بها مملوكا فقال له ارستيب اذهب واشتر بها مملوكا ليكمل لك خادمان وليس هذا من حرصه فانه كان فيه كرم وانما قصد باخذ الاجرة ان ينفقها وليبين ان ذلك

ذلك مما ينبغي اتفق ذات يوم انه ركب البحر في سفينة فاخبره بعض الناس ان السفينة التي انت فيها سفينة لصوص السفن فعند ذلك اخرج جميع ما معه من الدراهم واظهر انه يعدها وتركها تتساقط في البحر ثم تنهد حتى كأنها سقطت منه بلا قصد وقال بصوت لا يسمعه الا من دنا منه كوني اخسر اموالى اولى لى من ان اخسر نفسي بسبب الاموال اتفق كان ماشيا وعبده خلفه فظهر له ان العبد لا يسرع مثله في المشي لثقل ما يحمله من الدراهم فقال له ألق منها ما لا تستطيع حمله ولا تحمل منها الا ما تطيق حمله لما تكلم « هوراقس » على الذين يصرفون سائر همتهم في جمع الدراهم ذكر ان ارستيب على عكسهم كان ارستيب يحب الاكل الطيب اللذيذ ومتى امكنته الفرصة في الاكل انتهزها واتفق ذات يوم انه اشترى حجلة بخمسين درهما فلامه على ذلك جماعة وقال بعضهم لبعض لو كان هذا الطير بفلس فهل تشتريه فقال له الآخر نعم اشتريه فقال ارستيب ان قيمة الخمسين عندى دون قيمة الفلس عندك اتفق ايضا انه اشترى بعض حلويات بثمن غال فلامه على ذلك بعض الحاضرين فقال ارستيب هلا تشترى ذلك من جنس الفلس بثلاث فقال نعم فاجابه ارستيب بقوله ما عندى من الاسراف لا يعدل ما عندك من البخل وكان حين يلام على تبذيره وسرفه في المأكولات الفاخرة يقول ان كانت المآكل اللذيذة مذمومة فلم كثرت الولائم في المواسم والاعياد الدينية مع ما كان عليه افلاطون من التجمل والتفاخر عيّر ارستيب بانه في ارغد عيش واطيب معيشة فاجابه ارستيب بقوله أترى الملك دينيس من خيار الناس ام لا فقال افلاطون هو من خيارهم فقال اذا كان كذلك أوليس هو اكثر مني تنعما وهل الترفه والتنعم يخرجان المرء عن حيز الصلاح اتفق ان ديوجينس كان ذات يوم يغسل بعض حشائش على عادته فبينما هو كذلك اذ مر به ارستيب فقال له ديوجينس لو امكنك ان تقنع بمثل تلك الحشائش لما اضطررت للذهاب للملوك وسمعت

منهم ما لا يلذك فقال ارستيب وانت لو عرفت صناعة مجالسة الملوك لبغضت هذه الحشائش واتفق ايضا ان الملك دينيس احضر امام ارستيب من النسوة المتبرجات ثلاثا وقال له اختر منهن من استحسنتها فاخذهن جميعا ثم قال للملك ان الانتخاب منهن لا تؤمن عاقبته أما تعلم ما حل بباريس ابن الملك من المصائب المتتابعة بسبب تفضيل بعض النساء على بعض فان انا اخترت منهن واحدة لنفع نفسي ضرني الثنتان بازيد مما انتفعت به ثم سار بهن الى مجاز داره وردهن حالا واتفق ايضا ان الملك المذكور سأله لاى شئ نرى الفلاسفة دائما يترددون عند الملوك ولا نجد احدا من الملوك يذهب الى الفلاسفة فقال له ارستيب وجه ذلك ان الفلاسفة يفهمون ما يحتاجون اليه بخلاف الملوك فانهم لا يعرفون ما تحتاج اليه انفسهم سأله بعض الناس بهذا السؤال بعينه فى وقت آخر فقال له ان من شأن الحكماء ان يذهبوا عند المرضى لمعالجتهم ولا احد الا ويؤثر كونه طبيبا على كونه مريضا كان يقول ان من اظرف الاشياء الاقتصاد فى متمنيات الانفس لا قطع عرق ذلك بالكلية فليس الذنب والخطأ فى حظوة الانسان بالملاذ وانما يلزم ان لا يكون عبدها ولذا كان اذا سخر بعض الناس مما وقع بينه وبين محبوبته التى هى من الفاجرات يقول انى انا المستولى عليها لا انها هى المستولية علىّ دخل ذات يوم عند معشوقته هذه ومعه احد تلامذته فخجل ذلك التلميذ واستحيى فلما احس ارستيب منه بذلك قال له يا صاحبى لا يسوغ الخجل عند دخول هذه المحلات انما يسوغ اذا لم يمكن الخروج منها واتفق ذات يوم ان بولكسينس الفيلسوف اتى لزيارة ارستيب فوجد عنده وليمة كبيرة فيها نساء عليهن زينة عظيمة فغضب من ذلك وانكر على ارستيب تلك الزينة فطلب منه ارستيب مع غاية اللطف ان يصاحبه على السفرة فلما جلس بولكسينس معه قال له ارستيب حيث جلست فلاىّ شئ جعلت تكثر الكلام وتنكر علىّ حين دخلت فالظاهر ان لومك ليس على اللذات والشهوات المذمومة بل

على

على خصوص الانفاق الواسع الممدوح اتفق انه وقع بينه وبين أثخنيس منازعة عظيمة ادت الى اعراض كل منهما عن صاحبه فذهب ارستيب الى أثخنيس وقال له هل لنا فى الصلح أتريد ان جميع الناس يسخرون منا حتى المتطفلين يضحكون علينا اصحاب الولائم فقال له أثخنيس الصلح بغيتى وعين مرامى فقال ارستيب لا تنس انى انا الذى بحثت عن الصلح وطلبته منك مع انى اكبر منك سنا اتفق ايضا ان دينيس الملك صنع وليمة عظيمة ثم فى آخرها امر ان كل انسان من حاضرى الوليمة يلبس ثيابا طويلة نظيفة ويرقص وسط الديوان فامتنع افلاطون من ذلك ولم يرض به وقال انى رجل ولا يليق بى ان ألبس ثياب النساء فاما ارستيب فتقدم ولم يتوقف واخذ يرقص بتلك الثياب وقال جهارا ان الناس يرقصون فى عيد «بقوس» صنم الشراب ولا يدنسهم ذلك الا اذا كانوا مدنسين بشئ آخر اتفق ايضا انه ترجى الملك دينيس لبعض اصدقائه فرده الملك ولم يقبله فخر ارستيب على قدمى الملك وقبلهما فاستصعب ذلك بعض من كان فى المجلس ونسبوه الى الرذالة فقال ارستيب لا لوم فى ذلك علىّ انما اللوم على الملك حيث وضع اذنيه فى قدميه يحكى ان ارستيب كان بمدينة سراقوسه اخذه سيموس الفروجينى خازن دار الملك دينيس ليريه قصره العظيم ويفرجه على حسن تبليطه وظرافة نقشه فاخذ ارستيب السعال حتى بصق فألقى بصاقه على وجه سيموس فامتزج سيموس غضبا فقال له ارستيب يا صاحبى انى لم ار هنا موضعا اقذر من صورتك وقد نسب بعض المؤرخين هذه الحكاية او نظيرتها الى ديوجينس وفى الواقع ان كلا منهما جدير بذلك اتفق ذات يوم ان بعض الناس اخذ يسبه ويذمه بحضرته فتركه ارستيب وذهب فذهب خلفه وقال له لم تذهب يا قبيح فقال له ارستيب انت رجل قادر على السب وانا لست مأذونا بسماعه اتفق ايضا انه سافر فى البحر الى مدينة قورنثه فخرجت ريح عاصفة فحصل له خوف شديد واشفق من الهلاك فسخر منه جميع من كان

بالسفينة ولاموه وقالوا له نحن مع جهلنا لم نتزعج اصلا وانت من عظماء الفلاسفة فما هذا الوجل والخوف فقال نفسي وانفسكم ليسوا على حد سواء بل شتان بين ما اخسره وبين ما تخسرونه   لما سئل عن الفرق بين العالم والجاهل قال جردوهما من الثياب وارسلوهما لمن لا يعرفهما فانه يميز كلا منهما بمجرد رؤيته   كان يقول اتصاف الانسان بشدة الفقر اولى واحسن من اتصافه بالجهل لان الفقير لم يفقد الا الدراهم بخلاف الجاهل فانه فقد الانسانية والفرق بين ذى المعارف وصاحب الجهل كما بين الفرس الجموح والمتريضة   كان اذا ليم عليه فى شأن ابنه من جهة اهماله له ونبذه من غير تعهد واعتناء حتى كانه اجنبى لم يخرج من صلبه يقول لا ضرر فى ذلك ألا ترون ان القمل والبلغم لا ينكر احد تولدهما من الانسان مع انه يبادر بطرحهما ويباعدهما عنه بالكلية ويقال ان دينيس الملك ذات يوم اعطى افلاطون كتابا واعطى ارستيب دراهم فذم جماعة ارستيب على عطيته ولاموه على كيفيته فقال انا محتاج للدراهم وافلاطون محتاج للكتب   يحكى ايضا انه طلب من الملك دينارا فقال له الملك سبق لك انك اخبرتنى ان الحكماء لا يحتاجون للدراهم فقال له ارستيب اعطنى اولا الدراهم وبعد ذلك نتكلم فى هذا الامر فاعطاه الملك اياها فقال له ارستيب أما ترى الآن انى غير محتاج للدارهم   لما اكثر الذهاب الى مدينة سراقوسه واعتاده اضمر دينيس الملك فى نفسه ان يسأله عن ذلك فسأله ماذا تصنع فى هذه المدينة فقال له ارستيب آتى لاعطيك ما عندى واستعوض عنه ما عندك   كان اذا قيل له لم تركت الذهاب الى سقراط بذهابك الى الملك يقول لما كنت محتاجا الى الحكمة كنت اذهب الى سقراط والآن حاجتى الى الدراهم فاذهب الى دينيس واتفق انه رأى ذات يوم شابا مسرورا معجبا بكونه عرف السباحة فى البحر فقال له ارستيب ألا تستحيي من الافتخار بشئ يسير فان الدلفين تفوقك فى هذا الامر وكان اذا سئل ماذا اكتسبت من الفلسفة يقول اكتسبت انى اتكلم مع جميع

العالم

العالم كما اريد يعنى لست اسيرا لاحد اخشى منه فى الكلام وقال له بعض الناس ما الذى تفوقون به ايها الفلاسفة غيركم فقال ارستيب هو انه لو ذهبت القوانين بالكلية لامكننا ان نستمر على مستقيمة وطريق واحدة كان اهل مدينة القيروان لا يعلقون آمالهم الا بالعلوم الادبية وشئ قليل من علم المنطق ولم يتعرضوا لعلم الطبيعة بل كانوا يرون ان معرفتها مستحيلة وكانوا يزعمون انه ينبغى ان يكون غرض الانسان من اعماله حصول اللذات لا مجرد طرد الآلام بل لا بد من لذة حقيقية تنتعش منها النفس وذلك انهم يقولون ان للروح حركتين احداهما لطيفة تلذ الانسان والاخرى عنيفة تؤلمه فحيث العالم جميعهم مجبولون على الرغبة فى الاولى والرهبة من الثانية فهذه حجة واضحة على ان غرض كل انسان انما هو اللذة واما الانسان الخلى من الحالتين معا فهو كالنائم لا يعد من ارباب التنعم والتلذذ ولا من ارباب التأسف والتألم ويقولون مزية الفضائل ليست الا توصيلها للذات كما انه لا مزية للحكيم الا حيث نفع الصحة ويزعمون ايضا ان الغرض من الفضائل خلاف السعادة الابدية لما ان الغرض من العمل انما هو نعيم مخصوص واما السعادة الابدية فهى عبارة عن اجتماع سائر انواع اللذات والشهوات وان لذات الجسم اقوى من لذات الروح ولهذا كان هؤلاء الحكماء القيروانيون يعتنون بتلذيذ اجسامهم اكثر من عقولهم ومن امثالهم لا تعتن باحبابك الا على حسب مراتب احتياجك اليهم كما تفاوتت اعضاؤك فى اعتنائك منها بالانفع فالانفع وكانوا يقولون ان الاشياء لذاتها لا توصف بحسن ولا قبح ولا صلاح ولا فساد وانما يأتيها الاتصاف بذلك من عوائد البلاد وقوانينها وان الحكيم لا ينبغى له ارتكاب ما لا يليق لعارض طرأ عليه وانه يلتزم قوانين البلاد التى هو فيها ويتحاشى ان يشتهر بشهرة قبيحة وكانوا يزعمون ان سائر الاشياء فى حد ذاتها لا توصف بكونها مألوفة او منفرة وانما تتصف بذلك بواسطة اعتيادها او هجرها

او بواسطة طروءما يطرى عليها او ينفر عنها وانه لا يمكن للانسان ادراك سائر انواع السعادة فى الدنيا لما انه عرضة للامراض الظاهرة والباطنة المانعة من التمتع بالمسرات او التى تكدره فى اثناء الشهوات ويقولون ان الحرية والاسترقاق والغنى والفقر والشرف والخسة كل هذه لا تمنع من الحظوظ والمبسطات وذلك لان السعد لا ينافيه وصف من هذه الصفات ويقولون انه لا ينبغى للحكيم ان يبغض احدا بل الاولى له تعليم عموم الناس ما ينتفعون به وان لا يفعل شيئا الا لمصلحة تعود عليه اصالة لانه اولى بحيازة جميع انواع المنافع من غيره من حيث حكمته لما انه افضل من سائر من عداه من ابناء الدنيا هكذا كانت طريقة ارستيب والقيروانيين وقواعدهم كان لارستيب بنت تسمى اريطه قد احسن تربيتها على قواعد مذهبه وبرعت فى ذلك المذهب وعلمت بنفسها ولدها المسمى باسم جده ارستيب وكان يلقب ميترودیدقتيس وهو الذى علم تيودورس المشرك فصار تيودورس يعلم الناس عموما اصول مذهب القيروانيين وزاد الاعلان بنفى الالوهية وكان يقول ان المحبة ليست الا خيالات باطلة لانها لا تنعقد بين الحمق والحكيم مكتف بنفسه غنى عن غيره ولا حاجة له الى صاحب وان الحكيم لا ينبغى له ان يلق بيده الى التهلكة لاجل حفظ وطنه فان الدنيا كلها وطنه فليس من الانصاف ان يخاطر بنفسه فى المهالك لاجل حماية المجانين وان الانسان يسوغ له الزناء والسرقة والشرك متى امن على نفسه ان هذه الاشياء ليست كبائر الا فى اذهان الجهلة والعامة واما فى الحقيقة فلا ضرر فيها وكان هذا المشرك يقول ايضا لا مانع للانسان من التجاهل فى المحافل بجميع القبائح الذى يستحيي منها وتعدها العامة عارا وفضيحة وعيبا ولما فهم هذا المشرك انه يراد جلبه الى محكمة المملكة ليجازى على قبائحه خلصه من ذلك ديمتريوس الذى هو من مدينة «قاليره» فمكث مدة من الزمن بمدينة القيروان

محترما

محترما فيها غاية الاحترام عند امير يقال له ماريوس ثم ان اهل تلك المدينة طردوه منهـا فقال لهم عنـد خروجه أما انكم لم تعرفوا مقدار طردكم لى من ممالككم وذهابى الى بلاد اليونان ثم ذهب عند شخص يقال له بطليموس لاچوس فارسله سفيرا الى الملك المسمى لوسياقوس فتكلم هذا السفير معه بغاية الوقاحة فقال له وكيل هذا الملك الذى كان حاضرا اذ ذاك اظنك يا تيودورس كما تزعم انه لا وجود للآلهة تزعم انه لا وجود للملوك ذكر بعضهم ان هذا الفيلسوف حكم عليه بالموت وانه قهر على شرب السمّ على عادتهم

﴿ تاريخ ارسطاطاليس المسمى ايضا ارسطو الفيلسوف ﴾

ولد هذا الفيلسوف فى السنة الاولى من الاولمبياد التاسع والتسعين وتوفى فى السنة الثالثة من الاولمبياد الرابع عشر بعد المائة وعمره ثلاث وستون سنة وكان ارسطو من اشهر قدماء الفلاسفة ولم يزل اسمه الى الآن مشهورا فى جميع المكاتب وكان والده المسمى نيقوماقوس حكيما صاحبا لملك مقدونيا المسمى امنتاس وكان ارسطو من ذرية ماكسون وهو حفيد اسقولاب ولد بمدينة استاچير وهى من مدن مقدونيا فى السنة الاولى من الاولمبياد التاسع والتسعين وفقد اباه وامه فى زمن صغره جدا فصار غير معتنى به عند الذين تكفلوا بتربيته فضيع مدة من صباه فى الفسق وارتكاب ما لا يليق الى ان ذهبت سائر امواله فشرع عند ذلك اولا فى تعليم الحرابة ولكن لما لم تكن هذه الصنعة موافقة لطبعه بالكلية بل كان يمجها ذهب الى كاهن دلفيس ليسترشده فى صنعة تليق به فامره بالذهاب الى مدينة اثينا وان يجتهد فى تعلم الفلسفة بها وكان عمره اذ ذاك ثمانى عشرة سنة فذهب ومكث بها عشرين سنة وهو مجتهد فى التعلم بمكتب افلاطون ومن حيث ان امواله ضاعت بالكلية كما سبق واضطر الى

التعيش اخذ يتكسب بالتجارة فى بعض ادوية يصطنعها بنفسه ويبيعها بمدينة اثينا كان اكله ونومه قليلين وكان مجتهدا مولعا بالقراءة والمطالعة حتى انه لخوفه من غلبة ووخامة النوم الثقيل اتخذ بجانب سريره طستا من نحاس فكان اذا تمدد على سريره اخرج يده خارج السرير ماسكا بها كرة حديد فكان اذا غلبه النوم سقطت من يده فى الطست فيستيقظ لوقته من صوتها وحكى «لايرقه» انه كان ضعيف الصوت ضيق العينين نحيف الساقين وكان يلبس افخر الملابس كان ارسطو دقيق الفهم فكان يسرع فهمه الى المسائل الصعبة جدا حتى انه ما مضت عليه مدة قليلة بمكتب افلاطون الا وقد صار ماهرا ففاق سائر من بالمكتب من الافلاطونيين وكانوا لا يقطعون حكما فى شئ الا بعد مراجعته وان كان رأيه قد يخالف رأى افلاطون وكان اعتقاد التلامذة فى قريحته انها خارقة للعادة بل كان بعضهم يقدم اتباع رأيه على رأى معلمه ولما خرج ارسطو من المكتب حصل لافلاطون عليه تأثر عظيم فصار يصفه بالعصيان ويشكوه بانه رفض معلمه وتكبر عليه وانه كالصغير العاق لامه ثم ان الاثينيين اختاروه سفيرا الى الملك فيليبس والد الملك اسكندر الاكبر فى مدينة مقدونيا فذهب لقضاء اشغاله واقام بها مدة من الزمن ثم لما رجع رآهم اختاروا اكسينوقراط معلما بمكتب افلاطون ورأى المكتب مكتفيا عنه فرأى من العار مكثه ساكتا مع اشتغال اكسينوقراط بالتعليم فجدد له مذهبا خلاف مذهب افلاطون اشتهر ارسطو شهرة عظيمة فى جميع العلوم سيما علم الفلسفة والسياسة فهذا ما شوق فيليبس ملك مقدونيا الى ان يطلبه مؤدبا لولده اسكندر وكان عمر اسكندر حينئذ اربع عشرة سنة فرضى ارسطو بذلك واقام مع اسكندر ثمانى سنين وهو يعلمه وذكر بلوتارك ان ارسطو كان يعلم اسكندر هذا كثيرا من المعارف الخفية التى لم يطلع عليها احدا ومع مطالعته الكثيرة فى علم الفلسفة لم تنفر نفسه من العالم بل كان لجودة فهمه يسوس ويرتب المصالح الميرية بديوان مدينة مقدونيا

ثم

ثم ان الملك فيليبس لشدة اعتنائه بهذا الفيلسوف جدد مدينة استاجير التى هى وطن ذلك الفيلسوف بعد تهدمها وتخربها مدة الحرب الذى اسر فيه اغلب اهلها وهرب باقيهم ورد اليها الاسراء والهاربين ولما فارق ارسطو اسكندر ورجع الى مدينة اثينا قابله اهلها بغاية الاحترام والتعظيم بسبب ان الملك فيليبس اكرمهم لاجله فانتخب ارسطو مكانا بمحل يسمى « ليسى » قد اكتنفته صفوف الاشجار وبنى له فيه مكتبا لانه كان من عادته تعليم تلامذته وهو ماش معهم فلذلك سميت اتباعه المشائين وعما قريب صار هذا المكتب شهيرا بسبب الجمعيات العظيمة التى تأتيه من المحال المختلفة لسماع ارسطو لما ان شهرته وصيته عمت سائر بلاد اليونان كان اسكندر امر ارسطو ان يعمل تجربة فى سائر الطبيعيات حتى انه اعطاه جماعة من صيادى السمك وصيادى الطير ليجلبوا سائر ما يلزم له فى التجربة واعطاه ثمانمائة دينار لاجل مصروفه اظهر ارسطو فى ذلك الوقت لعموم الناس سائر كتبه فى الطبيعيات وما وراءها والرياضيات وكان اسكندر اذ ذاك فى آسيا فلما بلغه ذلك حصل له غم شديد لانه كان طماعا حريصا على ان يكون هو السابق فى كل شئ فكتب لارسطو مكتوبا اظهر فيه تأثره ونصه فى اعلاه من اسكندر لارسطو ليس من الصواب ما صنعته من اشهار كتب العلوم ليتداولها عموم الناس لانه اذا فشا بين عموم الناس على اختلاف انواعهم ما نعرفه فباى شئ نفضلهم ومما لا يخفاك انى اوثر ان اكون فوق غيرى فى المعارف الشريفة على ان افوقه فى الشوكة والبأس انتهى فكتب له ارسطو تسكينا لغضبه انى اظهرتها ولم اظهرها على معنى انه اغمض عبارات مذهبه بحيث لا يهتدى لما فيه من المعارف ولم تدم المودة بين ارسطو واسكندر بل وقع فى نفس ارسطو منه شئ بسبب انتصار ارسطو للحكيم قاليثينوس ابن عمته الذى كان رباه واعتنى بتأديبه ولما رجع ارسطو من عند اسكندر اعطاه قريبه هذا على ان ينبهه فى الحرب واوصاه عليه كثيرا فكان

قاليثينوس لا يبالى بالملك بل يستطيل فى كلامه عليه وهذا هو الذى صد اهل مقدونيا عن عبادة اسكندر التى كانت طريقة العجم فى رعاياهم من عبادتهم للملك كالاله ثم ان اسكندر لما بغض قاليثينوس من تلك الطبيعة التى لا لين فيها وجد فرصة للانتقام منه فبدأ باهماله ثم اتهمه بلا برهان فى الفتنة التى حصلت من هرموليوس تلميذه بعد ذلك بقليل ولم يمكنه من تبرئة نفسه بل قابله بالقتل فمن قائل انه اغرى عليه السباع ومن قائل انه خنقه وعلقه مخنوقا ومن قائل انه صار يعذبه حتى خرجت روحه عند ذلك اشتد غضب ارسطو وكمن حقده على اسكندر واما اسكندر فلم يدع شيئا يغيظ ارسطو الا بحث عنه حتى انه رفع رتبة اكسينوقراط الحكيم واتحفه بهدايا عظيمة فحصل لارسطو من ذلك غيرة شديدة حتى انه على ما زعمه بعضهم كانت له يد فى فتنة انطيباطر وانه اخترع لانطيباطر السمّ الذى سقاه الاسكندر مع ثبات وحزم رأى ارسطو حصل منه ما يوجب ضعفه ويخل بمروءته وذلك انه لاذ بالملك هرمنياس الظالم المستولى على بلاد « اترنا » ولا يعلم السبب الذى جذبه اليه وذكر بعضهم ان سبب هذا السفر قضاء شهوات فاسدة شيطانية فقد تزوج هذا الفلسفى باخت هذا الملك وقال آخرون بسرية من سراريه فاحبها كثيرا حتى صار يقرب لها القربان كما يفعله الاثينيون للسنبلة ونظم قصيدة فى مدح هرمنياس والثناء عليه بانعامه عليه بهذا الزواج قسم ارسطو الفلسفة قسمين علمية ونظرية فالعلمية هى التى تعلمنا قواعد بها تستقيم الترتيبات العقلية كالمنطق او تفيدنا حكما وامثالا لترتيب معاشنا ومعادنا فهذا هو الحكمة العلمية والسياسية والنظرية هى التى تظهر لنا الحقائق العقلية الخالصة مثل علم الالهيات والطبيعيات وقد قال ارسطو ان اصول الاشياء الطبيعية ثلاثة العدم والمادة والصورة وبرهن على نظم العدم فى سلك الاصول بان مادة الشئ لا بد من سبق خلوها من صورة الشئ مثلا مادة السرير التى يتركب هو منها يلزم ان تخلو من صورة

السرير

السرير يعني انه يجب قبل عمل السرير ان المادة التي يصنع منها السرير لا تكون هي نفس ذلك السرير على تلك الصورة وليس قصده ان العدم اصل لتركيب الاجسام بل انه اصل خارجي لاحداثها ما دام هذا الايجاد تغييرا به تنتقل المادة من الحالة التي ليست موصوفة بهذا الايجاد الى حالة هذا الايجاد كالالواح التي تنتقل من الخلو عن كونها سريرا الى كونها سريرا وعرّف ارسطو المادة بتعريفين مختلفين سلبا وايجابا فقال في التعريف الاول المادة هي ما ليست جوهر ذلك الشيء ولا امتداده ولا عرضه ولا نوعا آخر من الامور الوجودية العارضة له فعلى هذا التعريف مادة الخشب مثلا ليست امتداد هذا الخشب ولا صورته ولا لونه ولا جسمه ولا زنته ولا صلابته ولا يبسه ولا رطوبته ولا رائحته ولا غير ذلك من الاعراض التي في هذا الخشب الحد الثاني الايجابي وهو كالاول ليس بمقنع وحاصله ان المادة هي مبدأ تركيب الاشياء ومنتهى تغييراتها لكن يرد عليه انه لم يستفد من تعريفه اى شيء هو المادة والاصل الاول الذي الاشياء التي على اصل الخلقة مركبة منه افادنا هذا الفيلسوف انه لاجل حدوث الجسم الطبيعي يلزم خلاف المادة الاولية اصل ثان سماه بالصورة فأول بعضهم هذا بان معناه ترتيب اجزائه الاصلية وقال بعضهم ان قصده بذلك هيولى جوهرية ممتازة امتيازا تاما عن المادة كما اذا سحقنا الحب فانه يطرأ عليه صورة جديدة جوهرية بها يستحيل الحب دقيقا واذا مزجنا الماء بالدقيق وعجن به فانه يكتسب صورة اخرى جوهرية بها استحال الدقيق الى صورة جوهرية صيرت الدقيق الممزوج بالماء عجينا فاذا خبزنا هذا العجين اكتسب صورة اخرى جوهرية صيرت العجين المنضج بالنار خبزا وقال المفسرون لكلامه بهذه الهيولات الجوهرية في جميع الاجسام الطبيعية مثلا غير ما في الفرس من العظم واللحم والعروق والمخ فيها الدم الذي بجريانه في سائر العروق والشرايين يغذي جميع اجزائه وغير ما في الفرس ايضا من العقول الحيوية التي هي اصول الحركات

يقولون بصورة جوهرية ادعائية وهى روح الفرس وهذه الصورة الادعائية ليست مستخرجة من المادة وانما هى ناشئة من قوتها فيريدون انها هيولى غير المادة ليست جزءا منها ولا قيدا فيها [وكان يقول ان الاجرام الارضية مركبة من اربعة عناصر وهى التراب والماء والهواء والنار وان الماء والتراب ثقيلان لانهما يحاولان دائما السقوط بالمركز بخلاف الهواء والنار فانهما يبعدان عنه على قدر الامكان لخفتهما وزاد على هذه الاربعة عنصرا خامسا فقال انه يتركب منه الاجرام السماوية وان حركته مستديرة دائما وكان يزعم انه يوجد فوق الهواء فى اعلى الجزء المقعر فى القمر كرة من النار تذهب اليها جميع الالتهابات النارية وتلك الالتهابات مثل الخلجان والانهر تصب فى البحر وكان يزعم ان المادة تقبل القسمة الى غير نهاية وان الكون ممتلئ وانه لا فراغ وان العالم باق لا يزول وان الشمس تستمر فى دورانها على الحالة التى نشاهدها كما هى كذلك قديما وان التناسل فى الاجيال لا اول له وكان يستدل على ذلك بقوله انه لو ثبت ان له اول انسان لكان من غير اب وام وهو محال واستدل بمثل ذلك فى شأن الطيور فقال انه لا يمكن ان يكون هناك بيضة اولية هى اصل لجميع الطيور ولا طائر اولى هو اصل لجميع البيض واستدل على ذلك بقوله ان الطير من بيضة والبيضة من طير وهكذا وكان يقول مثل ذلك فى سائر الاجناس والانواع التى فى الكون وكان يزعم ان الافلاك لا تقبل الفساد ولا تتخرب وانما يعرض لها ذلك مما فى الجو من الاشياء وكذلك اجزاؤها لا تفسد ابدا وانما تنتقل من محالها وان الآثار التى تبقى يتكون منها شئ آخر ولا تزال الدنيا بهذه الكيفية تامة لا تزيد ولا تنقص وكان يزعم ايضا ان الارض فى وسط العالم وان الموجود الاول جعل حركات الافلاك حول الارض بعقول دائما تشتغل بهذه الحركات وذكر ان جميع الاشياء المستترة الآن بمياه البحر كانت سابقا ارضا يابسة وان الاراضى اليابسة الآن تصير فيما

يأتى

يأتى مياها بسبب ان الانهار والسيول دائما تجذب معها رمالا واتربة ولا تزال الشواطئ تتقدم داخل البحر ولا يزال البحر ينحسر ويتأخر شيئا فشيئا بحيث انه بتداول الايام والقرون تصير الارض بحرا والبحر ارضا وان كان يلزم لذلك ازمنة طويلة وذكر ايضا ان عدة مواضع من الاراضى المرتفعة كانت بحرا بدليل ان من بحث فيها يجد صدف البحر وقطع المراسى والهلوب واجزاء السفن وقد نقل مثل هذا عن فيثاغورس وذكر ان تقلبات البحر وصيرورته ارضا وعكسه الذى يحصل مع التدريج بعد مضى مدة طويلة من الزمن هو السبب فى نسيان الاشياء الماضية وذكر ايضا ان هناك عوارض اخر ايضا ينشأ عنها ضياع سائر العلوم والمعارف كالطاعون والخراب والقحط والزلزلة والخسف والحريق والفساد العظيم فهذه ايضا ربما نشأ عنها هلاك امة كاملة الا ان ينجو قليلهم بفراره الى البرارى فيعيش هناك معيشة المتوحشين ويتناسل منه امم اخر على تداول الازمان يجتنون ثمار الارض ويخترعون العلوم والفنون او يجدونها مخترعة فيستعملونها ولهذا تجد الآراء تارة تتوافق وتارة تتخالف بآراء اخر متجددة وكذا الاديان وبهذا يستدل ارسطو على ان الافلاك لا يعتريها فساد اجتهد ارسطو بشأن الاسباب التى تصير الانسان سعيدا فى هذه الدنيا فنقض اولا رأى ارباب الشهوات الزاعمين ان السعادة فى اللذات البدنية قائلا انه مع ما فى اللذات من عدم الدوام يتسبب عنها سآمة منها وزهد فيها بل ربما اضعفت البدن وشوشت العقل وزيف ايضا رأى ارباب الطمع والحرص الزاعمين ان السعادة فى العز والشرف المستعملين سائر وسائل الظلم التى توصلهم لذلك قائلا ان الشرف ارتكاب ما يشرف وقال ايضا ارباب الطمع يتمنون ان يكونوا مشرفين بسبب التظاهر ببعض خصال حميدة يريدون ان تظنها الناس فيهم ففى الحقيقة السعادة انما هى فى الفضيلة نفسها لا فى مسبباتها لما ان المسببات ليست ذاتية للانسان وزيف ايضا رأى الجهلاء

الزاعمين ان السعادة فى الاموال قائلا ان الاموال ليست مرغوبة لنفسها وانها سبب شقاء لمن كنزها وخاف انفاقها فمن اراد ان امواله تكون نافعة فلينفقها ويتوسع بها فليس فى ذات الاموال سعادة اصلا ورأى ان السعادة هى اعمال العقل الحسن وسلوك طريق الفضائل وقال ان اشرف اعمال العقل تأمله فى الكائنات وبحثه عن احوال الموجودات وعن الافلاك والكواكب وسائر الاشياء الطبيعية خصوصا الموجود الاولىّ الازلىّ وقال ايضا لا يمكن الانسان تحصيل السعادة كلها الا اذا رزق ما يكفيه فانه بدون ذلك لا يمكنه الاشتغال بالبحث عن ظريف الاشياء ولا استعمال الفضائل مثلا من لا مال معه لا يقدر على صنع المعروف مع احبابه الذى تنبسط منه النفس فى حياتها فلذلك كان يقول سعادة المرء تصدر عن ثلاثة اشياء الكمالات العقلية كسداد الرأى وحسن التدبير والضبط والكمالات البدنية كالجمال والقوة واعتدال المزاج والكمالات الدنيوية كالغنى وطيب الاصل وقال ان الصلاح وحده لا يكفى فى سعادة المرء بل لا بد من كمالات الجسم والمعيشة فاذن الحكيم يشقى باحد سببين اما الآلام واما الاحتياج للمال بخلاف النقيصة فانها تكفى فى شقاء المرء فاذا كان المرء بغاية السعة واستكمل المنافع لا يمكن سعده ما دام متصفا بنقيصة وان الحكيم لا يمكن خلوه فى حكمته من بعض المكدرات انما مكدراته هينة وان الفضائل والرذائل ليست متباينة الافراد على معنى انه اذا وجد احدها عدم الآخر فانه يمكن ان الرجل الواحد يتصف بالصدق والانصاف وحزم الرأى ومع ذلك تكون عنده شهوات نفسانية تخصه وكان يقسم المحبة الى ثلاثة اقسام احدها شفقة القرابة وثانيها الميل للالف ثالثها محبة الاحسان كان يزعم ان الاعتناء بالعلوم الادبية يعين على التمسك بالفضائل كثيرا وقال انها اعظم ما يوجب تسلية الاديب اذا صار هرما وقال وفاقا لافلاطون بوجود ذات اولىّ متصفة بصفة القضاء والقدر وكان يقول ان سائر افكارنا اصلها الحواس

واستدل

واستدل لذلك بان الاكمه لا يفرق بين الالوان والاصم لا يفرق بين الاصوات قال فى سياساته اعظم الممالك واتمها انتظاما الولايات المحكومة بواحد بخلاف الجمهورية المتعددة حكامها ونظير ذلك الجيش المحكوم برئيس واحد ينقاد له فانه يظفر بمراده بخلاف الجيش المنقاد لعدة رؤساء ويوضح ذلك ان الجمهورية اذا ارادت شيئا فانه لا بد من اجتماعها وتشاورها ويلزم لذلك جمع رؤساء اطراف الاقاليم وذلك يحتاج لزمن ربما فاتت فيه الفرصة اما الملك الواحد فربما نفذ اغراضه فى زمن قدر زمن اجتماعهم وايضا ارباب تدابير الجمهورية قد لا يضرهم خرابها لما ان اصل غرضهم غنى انفسهم فقط فربما تنافسوا مع بعضهم فيتولد الفشل فى الامر الذى ينشأ عنه الدمار بخلاف الملك الواحد فان مصلحته التى يحافظ عليها هى حفظ ولايته فلا بد وان يدوم عمارها وخيرها وسئل ذات يوم ما كسب الكذابين فقال عدم تصديقهم فى شئ وان وافقوا الواقع اتفق انه تصدق على شرير فلاموه على ذلك فقال انما تصدقت عليه لكونه من الآحاد لا لكونه شريرا كان دائما يقول لتلامذته واصحابه العلم للروح كالنور للعين وتحصيل العلوم وان كان متعبا مرا لكن ثمرته حلوة وكان لما يغضب من الاثينيين يعيرهم بانكم لما وجدتم القوانين كثيرة كالحنطة حافظتم على الحنطة ولم تستعملوا ابدا قوانين سئل ما اسرع الاشياء محوا من الذهن فقال المعارف وفعل الجميل وشكره سئل ايضا عن الآمال فقال كالهوس الذى يراه النائم اهدى له ديوجينس تينة فنظر ارسطو فى نفسه انه ان ردها سخر به ديوجينس الذى كان كثير الهزل فاخذها وقال متبسما ضيع ديوجينس تينته ولم يفز بمقصوده من عطيته كان يقول اللازم للاطفال ثلاثة اشياء عقل ورياضة وتلمذة كان اذا سئل عن الفرق بين العلماء والجهال يقول كما بين الاحياء والاموات كان يقول ان العلوم زينة فى العز وملجأ فى الشدة ومن احسن تربية الاطفال فهو اولى بهم من آبائهم لانهم لم ينفعوهم

بغير المعيشة واما المربون فقد علموهم ما ينتظمون به فى سلك السعداء كان يقول الجمال اقوى فى الوصاية من المراسلات سئل ما السبب الذى يقدم التلميذ فى المعارف فقال يلزم نفسه دائما مساواة من تقدم عليه ولا ينتظر ان يلحقه من دونه سمع رجلا يفتخر بكونه من مدينة عظيمة فقال له الاولى لك الافتخار بتأهلك لهذا الوطن العظيم كان اذا تفكر فى معيشة الانسان يقول يوجد اناس منهمكون على جمع الاموال مع الحرص كأنهم لا يموتون ابدا وآخرون يسرفون فيها كأنهم يموتون غدا كان اذا سئل ما هو الحبيب يقول روح فى جسمين سأله جماعة بم نعامل اصدقاءنا فقال بما تحبون ان يعاملوكم به وكان دائما يتأوه ويقول باعلى صوته يا احبابى لا احباب فى الدنيا سأله جماعة لاى شئ تميل انفسنا للجمال دون غيره فقال لهم سؤالكم عن هذا يدلنى على انكم كالعميان الذين لا يبصرون شيئا كان اذا سئل ماذا اكتسبت من الفلسفة يقول هو عملى بالاختيار ما لا يعمله غيرى الا بالخوف من الشرائع ويقال انه فى زمن اقامته بمدينة اثينا اصطحب صحبة عظيمة مع المخالطة بعالم من سكان يهوذا فعلمه ذلك العالم علوم المصريين ودينهم فبذلك لم يفته تعلم علم المصريين الذى كانت تشد لمصر رحال كافة الناس لاجله ثم ان ارسطو بعد استمراره بمكتبه ثلاث عشرة سنة وهو يعلم فى غاية الشهرة اتهمه كاهن من كهنة السنبلة بانه كافر فخاف ان يعامل بما عومل به سقراط فخرج حالا من اثينا متوجها الى جزيرة اغريبوس وقال بعضهم انه مات من شدة غيظه بسبب عدم معرفته موجب زيادة المد والجزر فى بحر «اوريب» وزاد آخرون فقالوا قد ألقى نفسه فى ذلك البحر قائلا اذ ذاك ان بحر اوريب ابتلعنى لكونى لم اعرفه واثبت بعضهم موته بالقولنج وكان قد بلغ من العمر ثلاثا وستين سنة فكان موته بعد موت اسكندر بسنتين صنع له اهل مدينة استاجيب مزارا وقربوا له القربان كالآلهة

وكان

وكان ارسطو قد اوصى قبل موته وصية فنفذها انطيباطر ترك ولدا يسمى نيقوماخوس وبنتا تزوجت بحفيد ديمارطوس ملك مدينة لقدمونيا

﴿ تاريخ اكسينوقراط الفيلسوف ﴾

تولى هذا الفيلسوف بعد اسبوسيب الحكم فى مكتب افلاطون فى السنة الثانية من الاولمبياد العاشر بعد المائة ومكث فى الحكم خمسا وعشرين سنة وتوفى فى الاولمبياد السادس عشر بعد المائة كان من الفلاسفة المشهورين فى مكتب افلاطون موصوفا بكمال العقل والاستقامة والعفة وكان من مدينة يقال لها خالقدوان وكان والده يسمى اغاثينور وكان من ابتداء تعلمه تلميذا لافلاطون واستمر كذلك وكان دائما مشغوفا به حتى انه ذهب معه لجزيرة سيسيليا التى كان افلاطون يذهب فيها للملك دينيس الظالم وكان هذا الفيلسوف مع عظم عقله بطئ الفهم ثقيله ولذا كان افلاطون حين يذكره ويذكر ارسطو يقول احدهما يحتاج الى لجام والآخر محتاج الى منخاس وتارة كان يقول سخرية باكسينوقراط اى حصان اقطر فيه هذا الحمار كان اكسينوقراط سالكا الصعوبة والجد وكان افلاطون يضحك عليه ويسخر منه ويقول له احيانا يا اكسينوقراط اذهب وقرب لاصنام اللطف قربانا عسى يحصل لك شئ من آثارها افنى عمره وهو عاكف بالمكتب الافلاطونى كان حين يسلك فجاج اثينا وحاراتها التى يندر مشيه فيها يخرج قبباح اهل المدينة وينتظرونه بتلك الطرق ليعبثوا به ويخادعوه بانواع الخداع فكان هو مع تحيلهم بانواع المصائب والمكايد على ايقاعه لا تغضبه افعالهم ولا توقعه بمحذور لان الانسان متى اخذ بازمة هوى نفسه تصير عنده قضايا التحيلات والمكايد عقيمة ومما اتفق له ان امرأة يقال لها «افوونه» عقدت رهانا على انها تسلب عقله بعشقها فاتفق انه شرب مداما ذات يوم ازيد من عادته فتزينت باحسن ما وجدت

ودخلت عليه بيته واطالت المكث معـه فمع ذلك لم يمكنهـا ان تصل لشئ من مقصودها فاغتاظت لضياع سعيها فى الهباء المنثور وظنت انها تمحو هذا العـار بهجوه وذمه الذى هو حيلة المقلين الاشرار كان قليل الطمع جدا فاتفق ان اسكندر بعث له جملة من الدراهم فلم يأخذ منها الا ثلاثة وردّ الباقى وقال للرسول الآتى بتلك الهدية ان اسكندر عنده خلق كثيرون يطعمهم فيحتـاج حينئذ للدارهم اكثر منى وايضا اراد انطيباطر ان يهدى له هدية مثلهـا فلمـا بلغـه شكر معروفه ومدحـه امتنـع ولم يأخذ شيئـا اعطى له على سبيل الجائزة وهو بجزيرة سيسليـا اكليل ذهب ليتميز به حيث تميز بزيادة الشرب عن غيره فلم ينتفع به اصلا بل بمجرد ما عاد لمدينـة اثينـا اخذ هـذا الاكليل ووضعه فى اقـدام صورة صنمـة عطـارد وحرره لهـا وكـان فى اغلب الاوقات يهدى لهـا اكاليل الازهـار ارسله الاثينيون مع جملة رسـل الى الملك فيليبش فلاقاهم واحسن لهم الملاقاة حتى استمال قلوبهم وجذبها اليـه حتى صيرهم كأنهم تحت امره ممتثلين لقوله ما عدا اكسينوقراط فانه لم يقبل منه هدية ولم يحضر له وليمة قط بل ولا مذاكرته معهم فلمـا رجعوا جميعا الى مدينـة اثينا قالوا انه لم يكن فى ارسال اكسينوقراط معنا فائدة لانه لم ينفعنا فى شئ فاشتد غضب جميع الناس منه وارادوا الحكم عليه بدفع غرامة فعند ذلك اظهر للاثينيين ما وقع لرسلهم واخبرهم بما فعلوه وارشدهم الى الاحتراس منهم جدا وان يأخذوا حذرهم لئلا تفسد الجمهورية وذكر لهم ان فيليبش استمال قلوب الرسل بالهدايا والولائم اما انا فلم يصل لاستمالتى بشئ فعنـد ذلك انقلبت البغضاء محبة وقابلوه بمزيد الاحترام والتبجيل بعد ما شرعوا فى معاملته بالاذلال والتنكيل وصاروا لا يحثون الا عما يسره ويعجبه وشاع خبر هؤلاء الرسل حتى ان ان فيليبش اعترف بان رسل الاثينيين قبلوا هداياه ما عدا اكسينوقراط فانه لم يقبل منه شيئـا اصلا كان انطيباطر فى غزوة مدينة « لاميا » اسر جملة من الاثينيين

الاثينيين فارسلت جمهورية الاثينيين اكسينوقراط لانقاذ هؤلاء الاسرى فلما وصل الى انطيباطر دعا انطيباطر بالاكل قبل التكلم فى شأن الاسراء فقال له اكسينوقراط تؤخر المائدة فانى لا اريد طعاما الا بعد تخليص اهل بلدى الذى بعثت بصدده فحصل لانطيباطر شفقة من حب اكسينوقراط لوطنه فاخذا فى التكلم فى المقصود فتعجب انطيباطر غاية العجب من مداخلة اكسينوقراط معه حتى جذبه وتوافقا على اطلاقهم فاطلقوا حالا اتفق انه كان بجزيرة سيسيليا عند دينيس الظالم واذا بالملك يقول لافلاطون لا بد من قطع احد من الناس رأسك فقال اكسينوقراط هذا لا يقع ابدا حتى تقطع رأسى حضر انطيباطر بمدينة اثينا فذهب ليسلم على اكسينوقراط وكان اذ ذاك مشتغلا بالكلام فى المحفل فلم يقطع كلاما ولم يرد تحية حتى تمم مرامه وكمل كلامه وكان اسبوسيب من ذرية افلاطون خليفة على مكتبه فلما احس بالكبر والهرم ورأى انه قد تعب وان العمر انصرم طلب من اكسينوقراط ان يقوم مقامه فرضى بتلك الكرامة واخذ يعلم الناس على العموم وكان اذا جاء مكتبه من يجهل الموسيق والهندسة والهيئة يقول له اخرج من هذا المحل لانك جاهل باساس الفلسفة ولذاتها كان اكسينوقراط لا يحب التفاخر والزينة بل كان دأبه الخمول والعزلة فكان يمكث كل يوم بعضا من الساعات معتزلا عن الناس كان معتبرا مهابا عند الاثينيين فقد اتفق انه حضر الى القضاة ذات يوم لاداء شهادة فى دعوى اقيمت لديهم فلما دنا من المحراب ليحلف على صحة شهادته على عادة بلادهم قام القضاة ومنعوه الحلف وقالوا له حيث وثقنا باخبارك فلا فائدة لليمين كان بمدينة اثينا شاب يقال له بوليمون بن فيلوسترات من اعظم اهلها فسادا فاتفق دخوله مكتب اكسينوقراط لغرض من الاغراض وهو سكران وعلى رأسه تاج فكان اكسينوقراط حينئذ يحرض على العفة والاستقامة فلم يقطع الكلام بل زادت همته وقوته فى الكلام اكثر مما كان فاتعظ هذا الشاب جدا حتى انه

من ذلك الوقت شرع فى الاقلاع من ذنوبه وصمم على تنجيزه فنجزه ومهر فى الفلسفة حتى صار خليفة اكسينوقراط على المكتب ألف اكسينوقراط جملة من الكتب نظما ونثرا واتحف اسكندر بواحد منها وافسطيون بواحد كان لا يعتبر احدا اصلا فمن ثم كثرت اعداؤه فى الجمهورية فاراد الاثينيون اضراره فعاملوه بالاحتقار وباعوه ليهلك فاشتراه رجل من ارباب المظاهر بمدينة «فالير» يقال له دمتريوس وحرره وتحيل على الاثينيين حتى اقتصروا على عزله لما بلغ من العمر اثنتين وثمانين سنة اتفق ذات ليلة انه سقط على حوض صادفه تحت رجليه فمات لوقته وكانت مدة تعلمه فى المكتب اثنتين وعشرين سنة وكان ابتداء ظهوره فى زمن لسيماقوس فى الاولمبياد الثانى بعد المائة

﴿ تاريخ ديوجينس الفيلسوف ﴾

توفى هذا الفيلسوف فى السنة الاولى من الالمبياد الرابع عشر بعد المائة وعمره تسعون سنة فعلى هذا تكون ولادته فى السنة الثالثة من الالمبياد الحادى والتسعين كانت ولادته فى الالمبياد المذكور بمدينة «سينوب» من بلاد «يافيغونيا» وكان يلقب بالكلبى واسم ابيه ايزسيوس الصيرفى فاتهم بانه كان يصنع مع ابيه الدراهم الخارجية فقبض على ابيه الى ان مات فى السجن واما ديوچينس فمن الرعب فر الى اثينا فلما وصل اليها ذهب الى انتيثينوس فلم يقبله بل وكزه بالعصا وذلك انه كان عازما على ان لا يقبل تلامذة اصلا فلم يرجع ديوچينس عنه بل طأطأ رأسه وقال له اضرب اضرب ولا تخش شيئا فانك لا تجد عصا يابسة تطردنى عنك ما دمت حيا فمن جود وجهه قبل انتيثينوس ان يتخذه تلميذا ديوچينس هذا اضطر ليتعيش معيشة فقير متغرب عن وطنه منفى

من

من بلده لا يعاونه احد على معيشته ابا كان رأى ذات يوم فارة تجرى آمنة من جهة الى اخرى ولم تخش دخول الليل عليها بلا قوت وثقب تبيت به فتسلى بها على فقره وعزم ان لا ينهمك فى تحصيل معاشه وان يترك كل ما لا تتوقف عليه حياته ثم بطن دلقه لكى اذا التف فيه يكون وطاء له وغطاء ولم يكن له من الامتعة سوى عصا وخرج وقدح خشب فكان لا يمشى بدونهما لكن كان لا يتوكأ على العصا الا اذا ذهب الى الفضاء او وقت المرض وكان يقول ليس الاصم الاعمى معيبا من الرجال انما المعيب من لا خرج له وكان حافى الرجلين دائما فلم ينتعل قط ولو تغطت الارض بالثلج واراد ان يعود نفسه على اكل اللحم نيئا فلم يمكنه ترجى انسانا من معارفه فى ان يعطى له حجرا فى وطنه ليختلى فيه احيانا فلما طالت المدة ولم يرد له جوابا اتخذ برميلا وجعله مسكنا وصار يأخذه معه اينما توجه لا مسكن له سواه كان زمن الصيف وقت اشتداد الحر فى سائر المواضع يتدحرج على الرمال الشديدة الحرارة وزمن الشتاء حين يشتد البرد يلصق جسده بالرخام الذى ستره الثلج قاصدا بذلك تعويد نفسه على تحمل مشاق البرد والحر كان يحتقر جميع الناس وينسب افلاطون وتلامذته للتبذير وكذا كل من تفكه بالمآكل وكان يسمى الخطباء عبيد الرعايا كان يقول تيجان الملوك سريعة العطب كالزجاج وحب الظهور ليس الا فخر المجانين وبالجملة فلم يسلم احد من هجوه وذمه كان يأكل ويتكلم وينام فى اى محل صادفه وربما قصد ايوان هيكل الشمس ليأكل فيه ويصيح آه ما احسن الاثينيين حيث اسسوا لى هذا المكان اللطيف لآكل فيه كان غالبا يقول متى تأملت حقيقة الحكام والحكماء والفلاسفة الذين فى الدنيا اعتقدت ان الانسان بعقله يفوق عن البهائم ولكن من حيثية اخرى حين ارى من يدعى الوحى والعرافين والمعبرين للاحلام والذين اذا حصلوا مالا او جاها تكبروا فلا اتمالك نفسى ان اظن انهم اشد الحيوانات جنونا رأى ذات يوم فى حال سيره طفلا

يشرب بكفيه فاستحيى من ذلك جدا وقال كيف تكون الاطفال اشد معرفة
منى بالاشياء التى يدرك التخلى عنهـا واخرج عند ذلك قدحه من خرجه وكسره
حيث رآه متاعا لا ينفعه كان يمدح كثيرا من تهيأ للزواج ولم يتزوج كمدحه لمن
جهز لوازم سفر البحر ولم يسافر به وكان ينظم فى سلكهما من طلب لتعاطى
الحكم بالجمهورية فامتنع كمن دعى لولية الملوك والامراء فنأى عنها كان مولعا
بعلوم الادب زاهدا فى سائر العلوم الاخر وكان حاد الذهن قوى المدركة
يستوعب المقام بحيث لا يبقى لاحد بعده مقالا فيه كان رأيه فى الزواج لا يرضى
به ولا العامة الوحشيون كليا لانه رفض فيه رأى ارباب الشرائع والقوانين
السياسية بل ورفض القوانين الطبيعية وجعل الخيرة لهوى النفس كان يقول
متى احتاج الانسان لشئ واخذه فلا ضرر عليه وكان يود ان لا يحزن
احد من شئ اصلا ويقول تسلية الانسان نفسه اولى له واوفق من القبض
وتكلم ذات يوم فى مادة جدية نافعة مهمة فكان الناس يمرون غير ملتفتين
لاستماعه فاخذ يغنى فاسرع الناس من كل جهة لاستماعه فوبخهم حيث
يجتمعون لسماع الهزء وينفرون من سماع الجد النافع كان يتعجب من علماء
الادبيات حيث يبذلون غاية جهدهم ويعذبون انفسهم فى الوقوف على بعض
الوقائع الخرافية الهزلية التى لا طائل تحتها .ويتركون انفسهم لا يلتفتون اليهـا
مع ما هم عليه من ضيق الحال كان يلوم ارباب الموسيقى والالحان على
تحملهم المشقة فى تطبيق الموسيقى والالحان مع بعضها مع ان عقولهم سيئة الترتيب
بان الاولى لهم البداءة بتوفيق احوال عقولهم كان يذم ارباب الرياضة على
تسليهم برصد الشمس والقمر والكواكب مع انهم لم يعرفوا حقيقة ما تحت
ارجلهم ما كان اقل لوما على الخطباء الذين لا همة لهم الا تحسين الالفاظ
مع عدم عملهم بما يقولون كان يلوم ايضا البخلاء الذين يظهرون الزهد
والقناعة ويثنون خيرا على من زهد الدنيا مع ان فكرتهم ليست الا السعى

فى

فى جمعها ماكان ابشع عنده من الناس الذين يذهبون للهياكل فيقربون القربانات للآلهة ويدعونها بحفظ العافية واذا خرجوا من تلك الاماكن اتخذوا ولائم وانهمكوا فيها على لذات وشهوات قاتلة كان يقول طالما لقيت ناسا يتسابقون فى المزاح والهزء ولم ار منهم منافسا لصاحبه فى السبق الى طرق الفضيلة اجتمع مع افلاطون فى وليمة بها مآكل عظيمة فلما رآه لا يأكل سوى الزيتون قال له هلا يأكل مثلك على حد سواء من الاطعمة التى لاجلها سافرت الى سيسيليا فقال افلاطون ان غذائى بتلك المدينة ما كان الا الزيتون والكبر كفعلى بهذه البلاد فقال له ديوچينس فلاى شئ ذهبت الى سراقوسه بجزيرة سيسيليا وبينما بعض اصحاب الملك دينيس الظالم فى المحادثة مع افلاطون فى بيته اذ دخل ديوچينس عليهم فوطأ بقدميه بساطا ظريفا لافلاطون قائلا احتقر بفعلى هذا فرش كبر افلاطون فقال له افلاطون صحيح ولكن صنعك هذا هو عين الكبر اراد بعض السوفسطائية ان يظهر دقة عقله لديوچينس فقال له انك لست انا وانا رجل فلست انت برجل فقال له ديوچينس لو قلت انت لست انا واقتصرت لانتجت بنفسها انك لست برجل سئل مرة هل رأيت فى بلاد اليونان رجالا حكماء فقال رأيت صغارا فى مدينة لقدمونيا فاما الرجال فلم تقع عينى على احد منهم قط مشى ذات يوم وقت الظهيرة بمصباح فسئل عن ذلك فقال لعلى ابصر رجلا يحكى انه صرخ باعلى صوته فى الحارات قائلا يا رجال وصار يكررها حتى انفضت اليه جملة من العالم فطردهم بعصاه وقال لهم انا اطلب الرجال وما لكم اتفق ان ديموثينس اكل ذات يوم فى محل السكر فحانت منه التفاتة فابصر ديوچينس فاختفى فلما لمحه ديوچينس قال له كلما اختفيت فى مثل هذا المحل تمكنت فيه اتى جماعة من الغرباء لزيارة ديموثينس الخطيب فرآهم ديوچينس فتلقاهم وهو يضحك ويشير باصبعه ويقول انظروا جيدا فى خطيب اثينا الطيب ذهب مع رجل للفرجة على قصر عظيم الشكل مزخرف

البناء منقوش بالذهب مزين بالمرمر فبعد تحققه منه وتأمله فى زينته وحسن شكله اخذ يسعل سعالا قويا مرتين او ثلاثا حتى جذب نخامة غليظة وألقاها فى وجه ذلك الرجل الذى يفرجه وقال له معتذرا انى لم اجد محلا وسخا يصلح للقذارة غير وجهك دخل ذات يوم ولحيته قد صارت بين المحلوقة وغيرها على شبان بمكان لعبهم فاساءوه حتى اخرجوه فكتب اسماءهم فى ورقة وعلقها بين كتفيه وطاف بها الشوارع والازقة ليراها الناس فيعرفوهم ويسقطوا من اعينهم عيره اراذل الناس بالفقر وعابوه به فقال لهم لم ار احدا عوقب على فقره ورأيت كثيرا من الناس ارباب القبائح والخيانات يعاقبون على خياناتهم وقبائحهم طالما كان يقول انفع الاشياء اقلها ثمنا وذلك ان الصورة قد تبلغ ثلاثة آلاف دينار ومد الدقيق يباع بيسير الدراهم دخل الحمام مرة فوجد ماء قذرا بالاوساخ جدا فقال من اغتسل هاهنا فاين يطهر بدنه ويزيل درنه اخذه بعض اهل مقدونيا ليمثلوه بين يدى الملك فيليبش والد اسكندر الاكبر فقال له الملك من انت فقال له على سبيل التهكم انى جاسوس طمعك فتعجب الملك من حسن جوابه وفرح واطلقه وخلى سبيله وكان يزعم ان الحكماء لا يحتاجون لشئ ابدا وان سائر ما فى الكون فى قبضتهم فكان يقول ان سائر الاشياء لخالقها والحكماء احبابه وما كان بين الاحبة لا حرج فيه بل هو مباح فثبت حينئذ ان جميع الاشياء للحكماء وكان فى وقت الاحتياج يقول انا لا اسأل الناس انما اسأل الخالق ويحكى ان اسكندر توجه ذات يوم الى مدينة قورنته للتفرج على ديوچينس لكونه كان هناك فى ذلك الوقت فرآه جالسا فى الشمس يدبق برميله فقال له انا الملك اسكندر الاكبر فقال له ديوچينس وانا الكلب ديوچينس فقال له اسكندر أما تخافنى فقال له ديوچينس انت طيب او ردئ فقال بل طيب فقال ديوچينس ومن الذى يخاف من الطيب فعجب اسكندر من وفور عقله وانطلاق عنان لسانه ثم بعد

تحادثهما

تحادثهما برهة قال له اسكندر انى ارى حاجتك لاشياء كثيرة ومن سرورى وفرحى اعانتك ومساعدتك عليها فسلنى ما تريد فقال له ديوچينس تحول من هذه الجهة فقد منعت عنى ضوء الشمس وقطعت لذتى بها فصار اسكندر فى غاية العجب من زهد ديوچينس لسائر الاشياء الدنيويه ثم قال ديوچينس اينا اغنى من هو قانع بعباءته وخرجه او الذى لم يقنع بعظيم سلطنته وسعة مملكته بل اقتحم الاخطار لزيادة حدودها واشتغل الليل والنهار بشؤونها فعجب خواص اسكندر من كونه مع عظمه احترم هذا الكلب ديوچينس ولاطفه وبجله مع كون ديوچينس لم يقم له من محله بل ولا اعتنى به فلما استشعر اسكندر منهم بذلك التفت لهم وقال لو لم اكن الملك اسكندر لاحببت ان اكون ديوچينس اتفق لديوچينس وهو مسافر فى البحر لمدينة اچينا اخذ لصوص البحر له فساروا به الى جزيرة كريد وعرضوه للبيع بالسوق فلم يتأثر من تلك النكبة التى نزلت به وبينما هو كذلك اذ رأى رجلا اسمه اكزيناداس غليظ الجثة حسن الملبس فقال لهم ينبغى ان تبيعونى لهذا لانى اراه يحتاج لمعلم فلما دنا بقصد سومه قال له ديوچينس تقدم يا هذا الصبى واشتر لك رجلا يعنى نفسه فسئل ماذا تعرف من الاشياء فقال سياسة الرجال والحكم عليهم وقال للمنادى صح فى السوق من كان محتاجا لمعلم فليأت لشرائى وكان بائعه قد منعه الجلوس ولم يمكنه منه ابدا فقال ديوچينس لا ضرر فى ذلك فان السمك يشترى على اية حالة كانت لكنى اتعجب حيث لا يشترى غطاء القدر من النحاس الا بعد امتحان حسن معدنه برنته واما شراء الرجال فيكتفون فيه بنظرهم فقط فلما تم سومه قال لمشتريه مع انى الآن ملكك فاستعد لما آمرك به لانى اكون عندك اما بمنزلة حكيم او وكيل وعلى كل يلزمك طاعتى عبدا كنت او حرا ثم ان اكزيناداس اعطاه اولاده ليعلمهم فاعتنى بهم ديوچينس غاية الاعتناء حتى حفظهم غيبا جوامع منتخبات الاشعار وكذلك مختصرا فى الفلسفة ألفه لاجلهم وصار يعلمهم

الصراع والمسابقة على الخيل والصيد والقنص وضرب القوس والرمى بالمقلاع وعودهم على القناعة فى المعيشة فكانوا يكتفون باليسير جدا وشرب الماء القراح فقط وامرهم باستئصال شعورهم حلقا الى البشرة وكان يأخذهم معه فى الطرق عليهم الملابس الخشنة واغلب اوقاتهم بلا نعال ولا رداء وكان لهؤلاء الاطفال مزيد محبة وشدة رغبة فى ديوجينس فكانوا يوصون عليه اهاليهم جاءه بعض اصحابه فى مدة الاسر والحجر عليه بقصد انقاذه واخراجه من ذل العبودية فقال له ديوجينس أبك جنون او تهزأ بى أما علمت ان السبع ليس اسيرا عند من يطعمه انما المطعم للسبع هو اسيره سمع ذات يوم مناديا يقول ان ديوكسيبس غلب جملة من عظماء الرجال فى الالعاب الاولمبيقية فقال له لا بل قل غلب جماعة من الارقاء المساكين لان الذى غلب الرجال انما هو انا فقط كان اذا قيل له الآن ينبغى لك الاستراحة فانك صرت شيخا هرما يقول أترى الناس يشيرون على من يجرى بما ينشطه او بما يثبطه أفليس المناسب لى ان ابذل جميع قوتى رأى وهو مار فى الطريق رجلا وقعت منه كسرة خبز فاستحيى ان يرفعها فالتقط ديوجينس بعض قطع زجاجة مكسورة ودار بها فى المدينة قاصدا بذلك ان الانسان لا ينبغى له الحياء من شئ حيث كان غرضه عدم الخسارة كان يقول مثلى كمثل ارباب الالحان يعلم غيره الصوت الحسن بالانتقال الى غيره جاءه رجل يريد ان يكون تلميذه فناوله ديوجينس فخذ خنزير وامره ان يمشى به خلفه فى ازقة المدينة فاستحيى الرجل ورمى به الى الارض وذهب فرآه ديوجينس بعد مدة فقال له ما اعجب حالك حيث كان الفخذ قاطعا لمحبتنا رأى فى سياحته امرأة خاضعة ساجدة امام الاصنام مكشوفة العجيزة فاسرع اليها ديوجينس وقال أما تخافى ايتها المسكينة ان يكون المعبود الذى يبصر خلفك كما يبصر امامك يراك على حالة مخلة بالحياء كان اذا تفكر فى معيشته وفقره يقول ضاحكا سائر انواع اللوم والمعايب قد لحقتنى وانى وان كنت لا دار لى ولا مدينة ولا وطن

وطن وانقوت يوما بيوم فانى جلد على مقاومة صروف الدهر اقابل المال بالثبات والعفة واقابل العوائد بالحالة الفطرية الخلقية واقابل تكدرات النفس بالتدبر والعقل سأله رجل عن الوقت الذى يأكل فيه فقال له ان كنت غنيا فكل فى الساعة التى تعجبك وان كنت فقيرا فكل فى الوقت الذى يمكنك ترجاه الاثينيون ان يكون من حزبهم ويتدين باسرار ديانتهم وحلفوا له ان من دخل فى دينهم يكون من السعادة الاخروية فى اعلى عليين فقال لهم ان هذا الامر عجيب حيث ان عقلاء الناس تدوم فى الطين والمتداخلين فى طريقتكم مع شقائهم يحظون بجنان الخلد كان من عادته تعطير اقدامه فسئل عن ذلك فقال ان رائحة العطر الذى يوضع فى الرأس تطير فى الهواء بخلاف ما اذا عطرت الاقدام فان الروائح تصعد الى الانف اتفق انه مر بدار لاحد الخصيان القباح فوجد مكتوبا على بابها لا يدخل من هذا الباب شئ قبيح فقال فمن اين يدخل صاحب الدار اراد بعض الفلاسفة ان يبرهن له على ان لا حركة له فلم يجبه بل قام وتماشى فقال له ذلك الفلسفى ماذا تريد بمشيك فقال ابطال دعواك كان اذا سمع متكلما فى علم الهيئة والنجوم يقول له متى كان نزولك من السماء كان افلاطون يقرر فى تعريف الانسان انه حيوان ذو رجلين لا ريش له فاخذ ديوچينس ديكا ونتفه وخبأه تحت عباءته ولما دخل المكتب اخرجه وطرحه وسط المكتب وقال هذا انسان افلاطون فالتزم افلاطون لتصحيح تعريفه ان يزيد ذو اظفار عريضة مر ذات يوم بمدينة ميغاره فرأى اطفالهم جميعا عرايا ورأى الغنم مستورة بالصوف فقال غنم هذه المدينة اسعد من بنى آدم رأى الفيران الصغار تلتقط فتات طعامه من تحت السفرة وهو يأكل فقال قد بلغ ديوچينس ان صارت تأتى له الطفيلية سئل وهو خارج من الحمام أفى الحمام كثير من الرجال يغتسلون فقال لا فقيل له أفيه ازدحام عظيم فقال نعم دعى لوليمة فامتنع لكونه حضر اليها فى اليوم السابق ولم يثن عليه احد

فى نظير حضوره اتفق ان رجلا كان يحمل خشبة طويلة على ظهره فصدمه بها على حين غفلة ثم قال له ق نفسك فقال له ديوجينس قد ضربتنى ثانية وحصلت له واقعة نظير هذه مرة ثانية فضرب حامل الخشبة بعصاه وقال كن انت على حذر مر فى مطر غزير فابتلت عباته من جميع جهاتها حتى رثى لحاله جميع من رآه وكان افلاطون اذ ذاك حاضرا بالمصادفة فقال لهم افلاطون انما يحزنه ذلك حقيقة اذا لم يره عليه احد منكم صفعه رجل ذات يوم فقال انى لا اعلم انه يلزمنى ان اضع على رأسى سلاحا يقيه سئل مرة كم تأخذ نظير الصفعة الواحدة من ضاربك فقال بيضة حرب اتفق ان ميدياس لكزه ذات يوم جملة لكزات بيده ثم قال له اذهب فاشكنى وانت تدفع ثلاثة آلاف دينار غرامة ففى ثانى يوم اخذ ديوجينس قضيب حديد وضرب ميدياس به على رأسه ضربة شديدة وقال له اذهب فاشكنى وانت تدفع نظير تلك الغرامة سأله لوسياس العقاقيرى هل تعتقد وجود الله فقال له أيخفى علىّ مع معرفتى انه عدوك الاكبر ورأى رجلا ينغمس فى الماء ليتطهر فقال له يا مسكين لو اغتسلت الى غد بهذا الماء لم يعصم لسانك بذلك عن الخطأ فكيف يطهرك من الذنوب رأى غلاما فى حالة مخلة بالحياء فسار الى معلمه وضربه بالعصا وقال له لم علمت تلميذك الفعلة القبيحة اتاه رجل ليريه حسابا عمله فى برج من الابراج السماوية فقال له ديوجينس هذا شئ ظريف يمنع مثلنا ان يموت جوعا كان يلوم الذين يشكون المعيشة و يقول هؤلاء الرجال دائما يطلبون ما ظاهره خير ويتركون ما هو الخير فى الواقع والحقيقة كان يعرف استحسان كثير من الناس لمعيشته ولكن لما رأى القليل منهم شرع يقلده قال انى كلب عظيم ولكن لم يتجاسر الذين يعرفونى ويستحسنون طريقتى على الانضمام الىّ للصيد كان دائما يلوم الذين يتطيرون من الاحلام ولا يتأملون ما يخطر ببالهم فى اليقظة فيعبرون الخطرات النومية وبينما هو يتنزه ذات يوم رأى محفة جميلة ظريفة بها امرأة فقال أيليق ان يكون مثل

مثل هذا قفصا لمثل هذا الحيوان القبيح كان الاثينيون يحترمونه احتراما كليا
حتى انهم عاقبوا شابا بملأ من الناس كان قد كسر برميل ديوچينس واعطوه
برميلا آخر كان جميع الناس يغبطون قاليثينيس على اكله مع اسكندر غداء
وعشاء اما ديوجينس فكان يقول اما انا فانى ارثى لحاله فى ذلك بخصوصه
وكان اقراطير يبذل جهده فى التحيل على جلب ديوچينس عنده فقال له
ديوچينس اما انا فاختار اكل الخبز فقط بأثينا على تعيشى فى عز قصورك وهدد
بيرديقاس ذات يوم ديوچينس بالقتل ان لم يأت لزيارته فقال له اقل الهوام السمية
يمكنه ذلك ولكنى احلف لك ان ديوچينس ليس محتاجا فى راحته لبيرديقاس
بالكلية ولا لعظمه ثم صاح وقال ان الخيرات الالهية كثيرة انعمت على سائر الرجال
بالارواح واما اللذات المعنوية فمجهولة عند الناس الذين لا همة لهم الا المآكل اللطيفة
والتعطرات رأى ذات يوم رجلا يلبسه عبده نعله فقال له انه لم يبق لك عليه من
انواع السرور الا ان يمخطك فما منفعة يديك ورأى مرة حين سياحته قضاة يحكمون
فى رجل سرق جامة فى الخزينة العمومية فقال انظروا هؤلاء لصوص كبار
ساحبون لصا صغيرا كان يقول ان الغنى الجاهل كشاة مغطاة بجل من ذهب
وكان ذات يوم فى وسط السوق فصار يخمش بدنه باظافره ويقول ليت كثرة ذلك
فى البطن يمنع بها الانسان جوعه وقت ما يحب دخل ذات يوم الحمام فرأى
شابا يتحرك بحركات متوازنة لكنها مخلة بالحياء فقال له كلما اتقنت حركتك
واحكمتها زادت بك قلة الحياء مر بالطريق مرة فرأى مكتوبا على باب بيت
رجل مسرف انه معرض للبيع فقال انى من قبل ذلك اعرف جيدا ان كثرة
السكر توجب صاحبك للقئ لامه رجل فى التغرب بالبلاد فقال له يا ايها
المسكين انى مسرور بذلك جدا حيث كان سببا لصيرورتى فلسفيا وقال له
رجل آخر بعد ذلك بقليل ان السينيين يحكمون عليك بالنفى الدائم فقال وانا
كذلك حكمت عليهم بالبقاء الدائم فى بلدهم القبيحة على شاطئ البحر الاسود

وكان يترجى الاصنام ان يمنوا عليه باللطف فسئل عن سبب طلب ذلك منهـا فقال لاعود نفسي على ان لا اجاب فيما اطلب ولما كان فقره يحوجه الى طلب الصدقة يقول لمن يراه اولا ان كنت قد اعطيت احدا غيري شيئا فاعطني مثله وان لم تكن اعطيت احدا شيئا فاجعلني اول من تعطيه سئل ذات يوم عن طريقة دينيس الظالم مع اصحابه فقال كان يصنع معهم كالانسان الذى يستعمل الزجاج فى حال امتلائه ثم يتركه بعد فراغه لمح بالخمارة رجلا قد اسرف فى ماله وضيعه وهو يتعشى بالزيتون فقط فقال له لو كان فطورك على مثل هذا الطعام لكان عشاؤك احسن من هذا قال الشهوات غير الملايمة تصير منبع جميع المصائب التى تقاسيها البشرية وكان يقول الصلحاء من الناس هم مظهر الآلهة وكان يقول ان البطن آفة العمر كان يقول ان الكلام الحسن المرتب كسيلان العسل وان العشق شغل اهل البطالة سئل ما اسوأ الحالات قال الهرم مع الفقر سئل اى شئ احسن فى الدنيا قال الحرية وتجاسر عليه رجل وسأله ما اشد الحيوانات عضا فقال اما من الناس المتوحشين فالرجل السباب واما من المتمدنين فالرجل المداهن رأى فى سياحته نسوة متعلقة بفروع الزيتون فقال ليت سائر اشجار الزيتون تثمر مثل هذه الفاكهة دائما اتاه انسان وسأله ما السن الذى يستحق الانسان الزواج فيه فقال له ما دام الانسان صغيرا فان وقت زواجه لم يأت ومتى صار كبيرا فقد فات وقته سئل ما سبب اصفرار الذهب فقال كثرة حساده قيل له ذات يوم ان عبدك مينيس قد هرب وألحوا عليه فى طلبه فقال يا عجبا لكم حيث ان احدنا لا غنى له عن الآخر فما يكون جريى وسأله احد الظلمة ذات يوم عن اجود معدن لصناعة الاصنام فقال هو المعدن الذى صنعت منه صورة هرموديوس واستيوجيتون اللذين هما اشد اعداء الظلمة بينما افلاطون ذات يوم يوضح آراءه فى بعض مباحث فتكلم على شكل لوح الطاولة والقدح فقال له ديوجينس انى بالمشاهدة اتصور حقيقتهما جيدا

ولكن

ولكن لا ادرى شكلهما فقال له افلاطون صدقت لان معرفتهما بالمشاهدة لا يلزم لها الا البصر واما معرفة اشكالهما فتوقفة على الذهن سئل ذات يوم عن سقراط فقال هو رجل مجنون رأى شابا قد احمر وجهه جدا من الخجل فقال له هكذا هكذا يا بنى فان هذا لون الفضيلة جاءه ذات يوم اثنان من الفقهاء ليحكماه بينهما فحكم بالمعاقبة عليهما معا وذلك ان احدهما كان متهما بالسرقة والآخر كانت شكواه بلا سبب حيث ان المسروق ليس ملكه بل كان لآخر وسرقه منه وسئل عن سبب تصدق الناس على العمى والعرج وعدم تصدقهم على الفلاسفة فقال ان سائر الناس متأهلون للعمى والعرج وليس كل احد اهلا للفلسفة وسأله رجل ألك خادم او خادمة فاجابه لا فقال له فمن يدفنك فاجاب من احتاج لبيتى تجرأ عليه رجل وقال له انك كنت تصنع الدراهم المغشوشة فقال له نعم كنت فى السابق كما انت الآن ولكن ما انا عليه الآن لا تصله طول عمرك دخل ذات يوم مدرسة احد المعلمين فوجد فيها قليلا من التلامذة وكثيرا من صور من اخترع الفنون اللطيفة فقال له ديوجينس اذا حسبنا تلك الصور تكون تلامذتك كثيرة سئل من اى بلد انت فقال من الدنيا يشير بذلك الى ان العاقل لا يحتاج للتعلق ببلدة مخصوصة رأى رجلا مسرفا مارا بطريق فسأله دينارا فقال له ذلك المسرف لم طلبت منى دينارا وتطلب من غيرى درهما فقط فقال لانه يعطينى مرة ثانية واشك فى انى اجدك بعد ذلك على حال تعطينى فيها مرة اخرى وسئل يوما هل الموت مؤلم فقال انا لا نحس به وقت وقوعه فكيف يمكن ان يكون مؤلما رأى يوما رجلا لا يحسن الرمى وهو يصوب بآلة رميه الى غرض فاسرع ديوجينس الى ذلك الغرض وجعل رأسه امامه فسئل لم ذلك فقال مخافة ان يصيبنى لما كان يقال له ان كثيرا من الناس يهزأون بك يقول وماذا يضرنى مع انى اريد ذلك واظن ان الحمير حين تضرب اسنانها وتبرزها وقت نهيقها انما تفعل ذلك للضحك على مثل هؤلاء الناس فقيل له وهل يكترث مثل

هؤلاء بما تصنعه الحمير فقال فكيف اكترث انا بهم سئل ذات يوم لم لقبوك
كلبا فقال لانى اتملق لمن يعطينى وانبح على من منعنى واعض من يؤذينى سئل
من اى انواع الكلاب انت فقال اكون وقت جوعى من جنس السلاق
اتلاعب بجميع الناس ووقت شبعى كالكلب العقور اعض كل من قابلنى
ورأى انكسيمنس الخطيب مارا بالطريق وكان كبير البطن جدا فقال له
ديوچينس اعطنى بعض بطنك تصنع معى جميلا كبيرا ويخف عنك هذا الثقل
ولما كانوا يعيرونه بالاكل فى الطرق والاسواق يقول لهم ان الجوع يعترينى هنالك
كما يعترينى فى محال اخر لما رجع من مدينة لقدمونيا الى مدينة اثينا سئل من اين
جئت فقال من مدينة الرجال الى مدينة النساء كانت عادته ان يشبه معشوقات
الملوك بنبيذ عظيم مسموم وكان يسميهن سلاطين الملوك لانهن ينلن منهم كلما
طلبن تعجب بحضرته يوما رجل من كثرة الهدايا الموجودة بهيكل العافية
فقال له ديوچينس يا هذا لو كانت الهدايا ممن يموت لوجد به اكثر من ذلك
واجتمع حوله جماعة وهو يأكل وسط الطريق ونادوه باسم الكلب فقال بل انتم
الكلاب لانكم اجتمعتم حول من يأكل تقابل مع رجل من المصارعين لا
معرفة له وكاد يموت جوعا فشرع يجعل نفسه حكيما فقال له ديوچينس الآن قد
وجدت طريقة لاخذ ثارك ممن كانوا يضربونك كان عنده لرجل عباءة
فطلبها منه فقال له ديوچينس ان كنت ملكتها لى فقد صارت ملكى وان كنت
ما اعطيتها لى الا عارية فانا الآن مستعملها فاصبر حتى لا يكون لى بها حاجة
ولما كانوا يلومونه بالشرب فى الخمارة يقول وها انا احلق رأسى فى حانوت الحلاق
واحسن اليه رجل فسمع الناس يثنون عليه بذلك فقال الاوفق شكرهم لى لانى
مستحق لتلك العطية سئل ماذا ربحت من فلسفتك فقال لو لم تنفعنى الا فى
التجلد على تحمل المشاق التى من البعيد نزولها بى لكفى فى سرورى منها لما
علم ان الاثينيين اعلنوا بان اسكندر هو «بخوس» يعنى اله الشراب قال لهم مستهزئا
وانا

وانا لم تجعلونى « سيرا پيس » يعنى اله النار لاموه على الاقامة بالاماكن القذرة فقال الشمس تدخل فى اماكن اقذر من هذه بكثير ولا تتسخ تجرأ عليه رجل وقال له حيث انك لا تعرف شيئا فكيف تجرأت بجعل نفسك فى رتبة الفلاسفة فقال لو لم يكن لى من الفضل الا تشبهى بهم لكفى فى عدّى منهم اتوه بتلميذ يوما ومدحوه له بالعقل والمعارف والنباهة والاخلاق الحميدة فتأنى ديوچينس حتى اتموا كلامهم ثم قال لهم حيث كان كاملا جدا فلا حاجة له بى ولم جئتم به الىّ ودخل متفرجا عند خروج الناس منه فسئل لم ذلك فقال هذا ما عودت عليه نفسى طول عمرى لما طرد دينيس الظالم من مملكته المسماة سيراقوسه وذهب الى مدينة قورنثه وأداه فقره الى تعليم الشباب كيلا يموت جوعا دخل مدرسته ديوچينس ذات يوم فسمع تصويت الاولاد فظن دينيس انه جاء ليسليه على فقره فقال لديوچينس قد شكرت معروفك فانظر تقلبات الدنيا فقال له ديوچينس يامسكين انى متعجب من حياتك الى الآن ألست الذى عسفت فى الظلم باهل مملكتك وانى الآن اراك لا تصلح ان تكون معلما فى المكتب كما انك لم تصلح ملكا ورأى ذات يوم اناسا يقربون قربانا للآلهة رجاء ان يرزقوا بغلام فقال لهم انكم تفكرتم فى الغلام ولم تتفكروا ان يكون صالحا رأى شابا يتكلم مع قلة الحياء فقال له أما تستحى حيث تخرج من قراب العاج سلاحا من الرصاص كان يقول ان الذين يعلمون الصلاح ولا يعملون به كمثل آلات الموسيقى تخرج منها اصوات مطربة ولا احساس عندها قال له رجل ألم اصلح للفلسفة فقال له يا مسكين حيث لا ترجو معيشة طيبة فلم حياتك رأى شابا يصنع شيئا مع قلة الحياء فقال له أما تستحى تبخس ما انعم عليك به خالقك كان يقول اغلب العالم فى ذلة وذلك ان العبيد فى طاعة ساداتهم والسادات فى هوى انفسهم وسائر الاشياء متقومة بالعوائد فبعض الناس عودوا انفسهم على المعيشة اللذيذة والفخر والحظ بالشهوات فلا يمكنهم ان يتحولوا عنها ابدا والبعض الآخر عاشوا على اختصار

التلذذات والشهوات في مذهبه الكلبي ان الحياء من ضعف النفس ولذلك كان لا يستحي من صنع اقبح الاشياء امام الناس ويقول ان الاكل شئ عظيم فما يمنع الانسان ان يأكل في الطرق والاسواق كأكله في بيته سئل اى محل تريد ان تدفن فيه بعد موتك فقال في وسط الخلاء فقيل له أفلا تخاف ان تكون غنيمة الطيور والوحوش فقال ضعوا بجنبي عصا كى اطردها بها حين تأتي فقيل له انك اذ ذاك لا احساس عندك فقال فحينئذ ما الضرر في كونها تأكلني قال بعضهم انه لما بلغ عمره تسعين سنة اكل فخذ بقرة نيئا فنشأ له عنه تخمة فتوفي بها وقيل انه حين صار هرما قتل نفسه بان جذب نفسه ولم يخرجه فذهب اليه اصحابه في الصباح ولما وجدوا عادته في الانتباه من النوم تغيرت ووجدوه ملتفا بعباءته كشفوها فاذا هو ميت فتنازعوا ايهم يجهز جنازته حتى ادى للعراك فاتى القضاة واكابر مدينة قورنثه وسكنوهم وشهدوا جنازته العظيمة ودفنوه بجانب باب المدينة جهة البرزخ ونصبوا بجانب قبره عمودا من رخام فوقه صورة كلب من رخام جزيرة « پاروس » وكان موته وموت اسكندر الاكبر الذى مات في بابل في يوم واحد وكان ذلك في الاولمبياد الرابع عشر بعد المائة واهدى الى قبر ديوچينس جملة صور عظيمة مكتوب عليها

﴿ تاريخ اقراطيس الفيلسوف ﴾

كان عصريا لبوليمون وخليفة اكسينوقراط في المكتب الافلاطوني وكان موجودا في الاولمبياد الثالث عشر بعد المائة كان من الفلاسفة الكلبية وهو من اجل تلامذة الشهير ديوچينس وهو ابن اسقوندوس الطيوى وكان من عائلة شهيرة جدا وكان من ارباب الاموال الكثيرة كان ذات يوم بمحل لعب فرأى تيلفوس ترك امواله لاجل ان يكون فلسفيا كلبيا فتأثر هو من ذلك وصمم على

التشبه به فباع عقارات وطنه باكثر من مائتي دينار واودعها عند احد الصيارفة وقال له ان رأيت عقول اولادي لا تصلح للفلسفة فادفعها اليهم والا ففرقها على اهالى «طيوا» لما ان الفلاسفة لا احتياج لهم الى المال فاتاه اهله و ترجوه ان يعدل عما شرع فيه الى غيره فطردهم من داره وضربهم بعصاه كان يلبس فى الصيف عباءة ثقيلة جدا ويلبس فى الشتاء ثيابا خفيفة جدا ليتعود على مشاق الحر والبرد وكان لا يستحى ان يتقصد دخول البيوت والتلفت فيها حتى اذا رأى ما لا يعجبه وبخ صاحبه عليه فيتمرن على ذلك وكان يمشى خلف الاسافل ويسبهم ليسبوه فيتعود مقاساة نحو هذه الاحوال وكان ضنك المعيشة جدا وما شرب غير قراح الماء كبقية الفلاسفة الكلبيين كان فى زمنه ميتروقليس الخطيب الذى كان لا يمكنه ان يظهر لعموم الناس لانه كان سلس الريح ويعسر عليه منعه فمن شدة خجله لزم العزلة بمنزله وصمم عليها بقية عمره فلما سمع بذلك اقراطيس اكل ترمسا حتى ملأت الارياح بطنه فذهب الى منزل ميتروقليس وكلمه كلمات ظريفة ليظهر له انه لا ينبغى هذا الحياء وقال له حيث لم يقع منك الا كما يقع من كل احد فما الحياء من الامر العام وبينما هو يكلمه اذا بالترمس اثر اثره فتقوى هذا الخطيب بما صنعه اقراطيس حتى عاد يلوم نفسه وصار لا يبالى بلوم الناس على مثل ذلك وتعلق تعلقا كليا باقراطيس حتى حرق جميع كتبه التى تعلمها من تيوفراسط وتبع مذهب الكلبية حتى ربى تلامذة كثيرة وصار محترما عند الفلاسفة واشتهرت تلامذته شهرة عظيمة فى سائر اليونان ولكن لما احس بالهرم سئم الحياة وقتل نفسه خنقا كان اقراطيس بشع المنظر جدا حتى يظهر ان قباحته ورداءته خارقة للعادة وكان يخيط على عباءته جلود الغنم فلذا كان عند اول رؤيته يصعب تمييزه من اى نوع من انواع الحيوانات وكان ماهرا جدا فى الالعاب وكان اذا حضر المحافل العامة لمصارعة ونحوها لم يتمالك الحاضرون منع انفسهم من

الضحك عليه لقبح وجهه وملبسه الخارج عن العادة وكان هو لا يبالى بذلك ويرفع يديه يصيح تصبر يا اقراطيس فان الذين يسخرون منك ويهزأون بك الآن سيكونون غدا ويحسدونك حين يعرفون جبن انفسهم وانت تجد نفسك بذلك سعيدا ذهب ذات يوم ليترجى بعض المعلمين ان ينعم على احد تلامذته بالصفح فقبل فخذه بدلا عن تقبيل ركبته المعتاد فاستغرب هذا المعلم ذلك وظهر غمه منه فقال له اقراطيس لا يضرك ذلك أليس فخذك كركبتك كان يقول يستحيل ان يجد الانسان احدا لم يذنب اصلا ولا يقدح فى ظرافة الرمانة بعض الحبات العفنة كان يحث تلامذته على عدم التعلق بزهرة الدنيا اصلا ويقول لهم انا لم ادرك من الدنيا الا ما تعلمته وتركت سواه للذين يحبون فخر الدنيا كان كثيرا ما يحملهم على الهروب من حظوظ الدنيا بقوله لا يليق للفلسفى من الاوصاف الا الحرية ولا مالك اصعب من الشهوة كان يقول ان الجوع كاف فى اذهاب العشق فان لم يذهبه فى مبدأ امره قطع عرقه فى العاقبة فان لم يذهبه الجوع فلا حيلة فى اذهابه الا قتل الانسان نفسه كان اذا نظر فى اخلاق اهل عصره الفاسدة عيّرهم بالسفه حيث يصرفون اموالهم فى النقائص الملايمة لشهواتهم ويتأثرون على اقل قليل يصرف فى محله ألف رسالة فى عوائد اهل بلاده وقال فيها ما نصه عطية الطباخ عشرة دنانير وعطية الحكيم درهم واحد وعطية المتملق مقدار عظيم وعطية الناصح كالهباء وعطية الزوانى اموال جسيمة واما نصيب الفيلسوف عندهم فهو فلس كان اذا سئل ماذا اكتسبت من الفلسفة يقول معرفة انى اتعود على الاكتفاء فى الغذاء بالبقول وان اعيش بلا هم وحيرة ارسل له ديمتريوس الفاليرى ذات يوم مقدارا من النبيذ والخبز فغضب جدا من توهم ديمتريوس ان الفيلسوفى يحتاج للنبيذ ورد اليه زجاجته بحالها مع الانفذ والشدة وقال ليت الخبز بهذه البلاد يجرى كما يجرى النبيذ لما كان اقراطيس قد بلغ الغاية فى الجسارة والتمكن من اغراضه اعجب

غاية

غاية التعجب « هوبرخيا » اخت ميتروقليس حتى انها لم تمل لسائر من خطبهـا من عظماء الناس وهددت اهلها بانهم ان لم يزوجوها باقراطيس لتقتلن نفسـها فاحتـال اهلها على ازالة ذلك من ذهنهـا فلم يجد تحيلهم شيئا فسعوا الى نفس اقراطيس وطلبوا منه بالحاح ان لا يجيبها لما طلبت فلما لم يمكنه توفية مرامه معها قام لها على قدميه وخلع ثيابه ليريها احدوداب ظهره واعوجاج اعضائه وطرح عباءته وخرجه وعصاه الى الارض وقال لها لاجل ان لا تغتري هذا متاع الذي تريدين التزوج به وما يملكه من الدنيا فان احببت تزوجي فلا تظني ان يساري اكثر من ذلك او انى اطلب غيره فلم تتردد فى زواجه بل بادرت باشاره على جميع طلابها الآن ومن تظن طلبه لها غدا ولازمته فى سائر المحلات حتى فى حضور جميع المحافل بينما هى معه ذات يوم فى وليمة عنـد ليسماقوس شرعت فى قيـاس سفسطائى تخـاطب به تيودورس الحـاضر بهـذه الوليمـة فقالت اذا عمل تيودورس بعض الاشياء ولم يلم عليها فهوبرخيا اذا عملت هـذا الشئ بعينه لا ينبغى ان تلام عليه وتيودورس لما ضرب نفسـه بيده لم يعمل شيئا يلام عليه فهوبرخيـا اذا صفعت تيودورس على قفاه بهـذه الضربة لا تلام وصفعته بكفها فلم يجبها عن هذا القياس بشئ فى الحال ولكن اخذ عباءتها من فوق كتفها وقال انظروا هذه المرأة التى تركت فرشـها وجمالتها الى هذا فقـالت له صحيح ولكن أتظن انى اخطأت حيث قدمت الفلسفة على سائر ما تصنعه النساء ولد لها من هذا الزواج العظيم غلام يسمى « باسـقليس » وكان ابوه وامه معتنيين بتربيتـه وتعليمه الفلسـفة الكلبية سأل اسكندر اقراطيس ذات يوم فقـال له أترى اذا اعدت لك تجـديد مدينة وطنك كما كانت يحصل لك سرور فقـال له هـذا غير لازم لانى لا آمن ان يأتى اسـكندر آخر فيهدمها ثانيـا كان اقراطيس يقول لا احسـن ولا افخر من التوطن فى الفقر وازدراء سـائر المفـاخر فلا يكون للدنيا تسـلط وانى اعيش معيشـة

ديوجينس لا احسد احدا على لذات الدنيا كان يقول ان اغنى الاكابر العظام مثل الشجر الذى ينبت على رؤوس الجبال والصخرات الوعرة التى لا يمكن ان يصل لثمارها غير الغراب والحداة فحينئذ لا ينتفع بتلك الاموال الا المتملقون من الرجال والقباح من النساء فالغنى حينئذ بين هؤلاء بمنزلة عجل بين قطيع من الذئاب لما كان يسأل عن مقدار الزمن الذى يحصل فيه الانسان الفلسفة يقول حتى يعرف ان الناس الذين يسوسون الجيوش ليسوا الا كقادة الحمر كانت طريقته كبقية الفلاسفة الكلبية اهمال سائر العلوم ما عدا علم الآداب وعمر زمنا طويلا حتى مسه الهرم جدا وانحنى ظهره ولما احس بان اجله قد دنا قال متأوها متذكرا ياذا القتب من بعد ان عشت زمانا طويلا توضع فى القبر عن قريب وتنظر هنالك قصور جهنم وتوفى على غاية من الهرم فى وقت عزه وشهرته وكانت وفاته تقريبا فى الاولمبياد الثالث عشر بعد المائة وكان فى ذلك الوقت ظاهرا مشهورا فى مدينة «طيوا» حتى غطى اسمه ذكر الكلبيين من اهل عصره وهو الذى علم « زينون » الفيلسوف رئيس الفلاسفة الشاكين

تاريخ بيرهون الفيلسوف

كان موجودا قبل زمن ابيقورس قريبا من الاولمبياد العشرين بعد المائة وكان بيرهون مخترع المذهب المسمى ببيرهونى واسقيطيق وهو مذهب المشككة وابوه افليسطرقس من « مورا » واجتهد فى اول امره بالنقش والتصوير ثم بعد ذلك صار تلميذا لادريزون ومن بعده تتلمذ لانكسرخوس الفيلسوف وتعلق به كليا حتى تبعه فى السفر الى بلاد الهند وفى مدة سفره كان له اشتياق كلى الى محاورة المجوس وغيرهم من حكماء المشرق ومن بعد ان تعلم جميع مذاهبهم لم يكفه ذلك بل ظهر له ان سائر الاشياء غير مدركة الحقائق وان الحقيقة مخفية فى هوّ لا قرار له

له وانه لا اصوب من الشك فى كل شئ وعدم القطع بشئ كان يقول ان الناس فى ترتيب معائشهم يسلكون عوائد بلادهم وان كل انسان لا يفعل شيئا الا بحسب العادات ويمارس كل الاشياء على حسب القوانين والعوائد المؤسسة فى كل بلد من غير ما يدري ان هذه القوانين جيدة او رديئة كان فى ابتداء امره فقيرا خاملا فلما اخذ فى صناعة التصوير ومكث مدة طويلة فى بلده يشتغل بتلك الصنعة تيسر امره ونجح بمرامه وكان دائم العزلة عن الناس معتكفا عنهم لا يحضر مجامعهم بل لا يخالط احدا ابدا وكان كثير الاسفار ولا يخبر احدا بالجهة التى يريد التوجه اليها وكان يقاسى الشدائد والصعوبات العظيمة من غير ان يظهر منه تألم او ضجر من ذلك وكان مسلما فى جسده الى الحوادث ولا يمنعه خطر عن مقصده فربما اثر ان نحو العجل يمر فوقه ولا يرضى ان يميل عن طريق مشيه فلذا كان يتبعه كثير احبائه خوفا عليه من ذلك ويجتهدون فى امالته عن الطريق وقت الحاجة لها وكان عقله معتدلا وملبسه لا يختلف فى سائر الفصول واذا شرع فى الكلام مع احد لا يقطعه ولو ذهب الشخص الذى كان يكلمه لسبب اقتضى ذهابه حتى كان كلامه مسموع لسامعه وكان يعامل الناس ويخالقهم بحالة واحدة لا يميز احدا فى المعاملة عن احد حاز الشهرة عند جميع اليونان فى اقل زمن وقلده كثير من الناس ولما ظهر فضله لاهل بلده احترموه احتراما كليا حتى انهم جعلوه خليفة دينهم وعده الاثينيون من اهالى مدينتهم ليتشرفوا به وكان ابيقورس الفيلسوف يحب محادثته ومكالمته ويلتذ بسماع قصة معيشته واحواله وكان جميع الناس يعتقدون كمال حريته وخلوه من هموم الدنيا والكبر والاوهام وقد حكى طيمون الفيلسوف ان بيرهون هذا كان محترما مفخما قريبا من احترام الاله وقد قضى مدة عمره على حالة محبوبة وعيشة هنيئة مع اخته « فيلسطه » كانت صنعتها انها قابلة تولد النساء وكان يذهب السوق لبيع الطيور الصغيرة والخنازير الصغيرة

ويكنس بيته وينظفه بنفسه تبعه كلب ذات يوم واراد ان يعضه فدفعه بيرهون عن نفسه فقال له بعض الحاضرين ان هذا ليس مذهبك فانك دائم التسليم فتأوه قائلا ما اصعب خروج الانسان من اوهامه فانه يعسر تنزهه عنها بالكلية ومع ذلك فيلزم الانسان بذل جميع جهده وصرف سائر همته على تخلص من هذه الصفات وبينما هو ذات يوم فى سفينة صغيرة فى البحر اذ هبت ريح عاصف على غفلة فحصل للسفينة خطر عظيم ازعج ركابها الذين معه واما هو فدامت طمأنينته مع هذا الخطر واشار لهم الى خنزير صغير بجانبه يأكل بهدوء وسكون فقال لهم انه ينبغى للحكيم ان يبذل جهده حتى يصل فى قوة القلب والسكون الى رتبة هذا الحيوان الصغير كان فى جسده قرحة عظيمة اضطر معالجها ذات يوم الى الجرح والقطع لمحلها فقطع وحرق ولم يظهر منه تألم ولا تأوه بل لم يعبس وجهه ولم يحرك اهدابه وكان يعتقد ان اعلى ما يبلغه الانسان فى الدنيا من الكمالات امساكه عن الجزم بشئ ما وتلامذته جميعا اتبعوه فى ذلك فكان من اصولهم انه لا شئ محقق ثم انقسموا فمن قائل ان الحقيقة ربما ادركت بطول البحث ومن قائل باستحالة ادراكها ومن قائل انه لا جزم الا بقضية واحدة وهى الجزم بان لا جزم بشئ ومن قائل بانه يشك أيعرف شيئا ام لا وكان بعض هذه الآراء معروفا قبل ظهور بيرهون ولكن لما لم يتعرض احد فى ما سبق لاتخاذ رأى منها مذهبا له كان هذا هو السبب فى شهرة بيرهون باختراع هذا المذهب وانه رئيس فرقته والذى حمل هذا الفيلسوف على تعليق الحكم بالاشياء وعدم الجزم بحقيقة هو ان معرفتنا للاشياء انما هى عبارة عن ادراك النسبة بين بعضها مع بعض واما الاشياء فى حد ذاتها فمجهولة الحقائق عندنا جهلا كليا فانك مثلا تجد ورق الصفصاف تستطيبه المعز ويجده الانسان مرا ونبات الشوكران يسمن الطير السمانى ويقتل الانسان و « ديموفون » الذى كان وكيل مائدة اسكندر احرقه الظل ووجد

جسده

جسده برد الشمس عليه و«ا ندرون المرلى» جاب جميع رمال «برقه» ولم يظمأ اصلا وبعض الاشياء يعد فى بلدمن العدل والانصاف ويعد فى غيرها من الجور والاجحاف وكذلك يكون الشئ فضيلة عند امم رذيلة عند آخرين فان العجم يتزوج الرجل منهم ببنته بلا نكير وذلك موبقة عند اليونان وبعض الامم لا يقول فى الزوجة بالوحدة وباقى الامم ينبذون هذا القول والسرقة محمدة عند امة تسمى «القيلقية» ويعاقب عليها عند اليونان وارسطيس له فى اللذة مقالة تباين مقالة انتيثينس ومقالة ابيقورس تباينهما معا وبعض الفلاسفة يثبت القضاء والقدر وبعضهم ينفيهما والمصريون يدفنون موتاهم والهنود يحرقونهم والبيونيون يطرحونهم فى البحيرات وبعض الاشياء لونها فى الشمس يخالف لونها فى القمر ولونها فى ضوء الشمعة وعنق الحمامة يظهر بألوان مختلفة على حسب الجهات التى ينظر هو منها وشرب قليل النبيذ يقوى المعدة وكثيره يعكر الحواس ويفسد العقل والشئ الذى هو على يمين انسان هو على يسار آخر وبلاد اليونان شرقية بالنسبة لبلاد ايطاليا غربية بالنسبة لبلاد العجم وبعض الاشياء مستغرب فى بعض الاماكن مبتذل فى اماكن اخر والرجل يكون ابا بالنسبة لبعض الناس واخا بالنسبة لبعض آخر وبالجملة فالتنافى فى احوال الاشياء هو الذى حمل بيرهون وتلامذته على عدم تعريف شئ بالحد لزعمهم انه لا شئ فى الدنيا معروف الحقيقة بنفسه بل لا بد فى معرفته من مقابلته مع غيره لادراك النسبة بينه وبين غيره ولما كانوا لا يعرفون شيئا محققا تركوا جميع البراهين قائلين ان البرهان انما يؤسس على شئ واضح ضرورى لا يحتاج لدليل ولا شئ فى الدنيا بهذه الصفة لما ان ما تتراءى بداهته من الاشياء يلزمنا ان نبين حقيقة العلة التى اوجبت بداهته ولا سبيل الى ذلك وقد وافق هذا الفيلسوف اوميروس شاعر اليونان فى تشبيه الناس باوراق الشجر التى لا يزال يخلف بعضها بعضا ويأخذ الجديد منها محل

ما سقط من القديم وعاش من وقت ما عرفه الناس فى غاية الاحترام والتبجيل توفى وعمره اكثر من تسعين سنة

﴿ تاريخ بيون الفيلسوف ﴾

كان هذا الفيلسوف تلميذ ثيوفراسطيس خليفة ارسطو فى مكتب فرقة الفلاسفة المشائين قريبا من الاولمبياد الرابع عشر بعد المائة ومكث زمنا طويلا يتعلم فى المكتب الافلاطونى ثم لما لم تعجبه دراستهم وكان دائما يضحك على التماثيل التى به ويسخر منها ترك المكتب بالكلية واخذ عباءة وعصا وخرجا وتمسك بمذهب الفلاسفة الكلبيين ولكن لما وجد فيه ما لا يعجبه اضاف اليه عدة اصول من مذهب تيودورس تلميذ ارسطيبس وخليفته بمكتب القيروانيين وتلقى اخيرا عن ثيوفراسطيس خليفة ارسطو كان بيون دقيق العقل يحسن علم المنطق والشعر والموسيقى وكان له ادراك خاص فى علم الهندسة وكان يحب كثيرا طيب المآكل وكان كثير الشهوات الشيطانية ولا يطيل المكث بمكان بل يديم التنقل فى المدن وكان يرى فى جميع الولائم وكانت مزيته فيها اضحاك الجلساء واظهار النكات اللطيفة ومن حيث انه كان ظريفا مألوفا كان كل انسان يود مجالسته واطعامه بلغه ذات يوم ان بعض اعدائه اهدى للملك انتيفونوس بعض حكايات تتعلق برداءة اصل هذا الفيلسوف فلم تتأثر نفسه من ذلك بل ولم يظهر انه بلغه ذلك فارسل الملك الى بيون وزعم انه يفحمه من الكلام ويحيره فقال له اخبرنى باسمك واسم بلدك واصلك وحرفة اهلك فلم يتحير من ذلك بل قال كان ابى رجلا عتيقا وكان يبيع دهن الخنزير والسمن ولا اعلم هل كان جميلا ام لا بسبب ان وجهه الآن مشوه بآثار ضرب سيده له وكان تتارى الاصل وكانت بلدته على شاطئ نهر بورثينيس فوقعت المعرفة بينه وبين امى

بشارع

بشارع مطروق لعموم الناس صدفها فيه فتزوجها هناك ولا ادرى اى
ذنب ارتكبه ابى حتى بيع هو وزوجته واولاده وكنت انا فى ذلك الوقت
شابا صغيرا جميل الصورة فاشترانى احد الخطباء واوصى لى بجميع امواله
فلما مات مزقت حالا ورقة تلك الوصية وحرقتها بالنار وذهبت الى مدينة
اثينا وتعلمت فيها علم الفلسفة فها انت قد عرفت الآن اسمى واسم ابى وبلدى
وجميع اصلى كمعرفتى بذلك فهذا ما امكننى معرفته والاخبار عنه وكذلك
اعرف ان من احب ان يؤلف لك فى هذا المقصد كتابا لم يفدك باكثر من ذلك
وسئل ذات يوم عن اشقى الناس فقال هو الذى يعلق غاية طمعه بان يعيش سعيدا
ويقضى عمره فى المعيشة اللذيذة الهنيئة لما ان ذلك مستحيل كان يقول
الشيخوخة مورد الآلام واليها ترجع جميع المصائب افواجا وانه لا ينبغى للانسان
ان يعد من اعوام عمره الا اعوام الفخار الذى اكتسبه وان الجمال خير لذى
لا كسبى وان الغنى هو مجمع المقاصد العظيمة لان الانسان بدونه لا يبلغ مرامه
ولو بلغت براعته ما بلغت قابل ذات يوم رجلا اكل جميع امواله وعقاراته فقال
له ان الارض ابتلعت امفياروس واما انت فقد ابتلعتها اتى اليه ذات
يوم رجل متشدق مقبض فضولى الكلام وقال له اريد ان اسألك
بعض اشياء فقال له بيون اقضى لك جميع اغراضك بشرط ان لا تسألنى
بنفسك بل ارسل الى بما تريد وكان ذات يوم بسفينة مع بعض المجرمين
فاخذ تلك السفينة جماعة من لصوص البحر فقال بعض المجرمين لبعض ان
عرفونا هلكنا فقال بيون وانا ان لم يعرفونى هلكت اتاه ذات يوم بعض
الحساد حزينا فقال له هل مرت بك مصيبة او رأيت خيرا لغيرك كان
اذا مر به احد من البخلاء يقول له انت لست سيد مالك بل مالك هو سيدك
وكان يقول ان البخلاء يحفظون اموالهم ويحرصون عليها كانها لهم حقيقة
و يحترسون من الانفاق منها كانها لغيرهم وكان يقول اصعب الآلام عدم

معرفة التجلد عليها وكان يقول لا ينبغي للانسان ان يعير احدا بالشيخوخة والهرم لان بلوغ ذلك امنية كل احد وكان يقول اعطاء الانسان من ماله احسن من تمنيه زيادته بمال غيره لانه يمكن للمرء ان ينظم في سلك السعداء باقل مال ومتى علق امانيه بمال غيره انتظم في سلك الاشقياء وكان يقول ان المجازفة والمخاطرة لا تليق بالشبان في بعض الاوقات واما الشيوخ فينبغي لهم دائما استنصاح العقل واستعمال الحزم في كل شئ وكان يقول اذا صاحبت احدا فاستبق صحبته على اى حال كان صاحبك حذرا من ان يظهر للناس انك صاحبت الاشرار او قاطعت الاخيار وكان يقول لاصحابه لا تعتقدوا انكم تمكنتم من الفلسفة حتى لا تحرككم الاهانة ولا الاكرام وكان يرى ان حزم الرأى بالنسبة لسائر القوى الباطنة كالبصر بالنسبة لباقي الحواس الظاهرة وكان يقول ان جحد الاله قرين سوء لا يلايم النفس ولا تذعن له لما ان الانسان متى تجاسر على شئ ولامته عليه نفسه ظن ان ذلك من غضب الهى استحقه فنفسه دائما تمانعه كان يقول ان طريق جهنم سهل جدا بحيث يدخلها الانسان متناعس الطرف كان يقول ان الذين لم يتوصلوا الى الفلسفة وتعلقوا بغيرها من العلوم البشرية كعشاق المرأة المسلسلة يقنعون بمجالسة خادمتها عند فقدها كان ذات يوم بجزيرة رودس فرأى ان الاثينيين الذين بهذه الجزيرة لا يجهدون الا في الفصاحة وانشاء الاشعار فشرع يعلم الفلسفة فلامه بعض الناس على عدم عمله كغيره فقال لهم انما جئتكم بالحنطة فكيف تبغون مني بيع الشعير كان اذا سئل عن الاخوات المسماة « بنايد » المذكورات في خرافات اليونان اللاتي يصببن الماء دائما في وعاء مخروق بجهنم ولا يخرجن منه حتى يمتلئ مع ان ذلك غير ممكن يقول يكون الرثاء لحالهم اعظم لو حكم عليهن بالادلابانية لا منفذ لها اصلا بعد ما عاش معيشة المذنبين ادركه مرض شديد بجزيرة « خلفيس » حتى اذبله مدة طويلة ولفقره وكونه لا يمكنه تحصيل متعهد ارسل اليه

اليه الملك انتيغونوس عبدين وسريرا هدية لينتفع بذلك فى اى مكان يقال ان بيون فى وقت مرضه ندم على احتقاره للآلهة وصار يبتهل اليهم ليشفى من هذه الحالة الشنيعة وكان يذهب و يتبرك بشم لحوم القربانات التى كانت تهدى لها و يعترف بذنوبه ومن طروء ضعف عقله سلم نفسه لعجوز ترقى كى تداويه فمد لها ذراعه ورقبته لتملأهما له تمائم وطلاسم ولا زال يتبع الاوهام الخارقة للعادة حتى صار بابه مزينا بشجر الغار وتهيأ لان يستعمل سائر ما يقال له لصحة بدنه وبقاء عمره ومع ذلك فلم تجد معالجاته اصلا بل مات بعلته التى تولدت له من فساده

﴿ تاريخ ابيقور الفيلسوف ﴾

ولد هذا الفيلسوف فى السنة الثالثة من الاولمبياد التاسع بعد المائة وتوفى فى السنة الثانية من الاولمبياد السابع والعشرين بعد المائة وعمره اثنان وسبعون سنة ابيقور هذا كان من عشيرة يقال لها « فيليادة » وولد بمدينة اثينا قريبا من الاولمبياد التاسع بعد المائة ولما بلغ من العمر اربع عشرة سنة اجتهد فى تعلم الفلسفة وقرأ مدة من الزمن بجزيرة « شامس » على المعلم « بمفيلس » الافلاطونى ولما لم تطمئن نفسه لهذا المذهب خرج من المكتب ولم يتخذ له معلما آخر بعده وصار كما قيل يعلم بعد ذلك علم النحو واللغة وقيل انه انتهى امره انه سئم ذلك ايضا وصار يسر من كتب ديمقريطس التى انتفع بها جدا وساعدته على تدوين مذهبه ولما بلغ من العمر ثنتين وثلاثين سنة اشتغل بتعليم الفلسفة فى « متلينا » ثم انتقل منها وعلم فى « لامبساق » فبعد خمس سنين رجع الى اثينا واسس فيها فرقة جديدة واشترى بستانا عظيما وصار يزرع فيه بنفسه واسس فيه مكتبه ومكث فى عيشة لذيذة هو وتلامذته الذين كان يعلمهم وهو يتماشى معهم او يشتغل فى البستان وكان يحفظهم جميع الحكم التى يفيدهم اياها عن ظهر قلب وهرعت

اليه الناس من جهات اليونان للسرور بمساعده ومشاهدته وهو فى هذه العزلة وكان خلقه الصداقة وصفاء النفس لين الجانب محبوبا لجميع الناس ذا شفقة جدا على اهله واصحابه وكان معهم بكليته فى الظاهر والباطن وكان يجود عليهم بكل ما عنده ويوصى تلامذته صراحة بالشفقة على الارقاء وكان هو ايضا يشفق على ما يملكه ويعاملهم معاملة الكاملين ويأذن لهم فى التعلم ويهتم فى تعليمهم بنفسه كانهم تلامذته كان دائما غذاؤه الخبز والماء والفواكه والبقول النابتة فى بستانه وربما قال لبعض الناس ائتنى بما تيسر من اللبن والجبن كى الذذ به نفسى قال « لايرقه » هذه معيشة هذا الفيلسوف الذى اتهمه الناس فى معيشته باللذات والشهوات قال فيقرون فى مؤلفه المسمى كتاب الفلاسفة ما اشد قناعة ابيقور بالقليل كانت تلامذة ابيقور تقلده فى قناعته وفضائله فكانوا يتعيشون بالبقول واللبن لا غير وكان قليلهم يشرب يسير النبيذ وعامتهم لا يشرب الا الماء القراح ولم يرض ابيقور ان يجعل اموال تلامذته شيوعا مثل تلامذة فيثاغورس قائلا ان طريقة فيثاغورس فى هذا دلالتها على عدم الوثوق بالتعاون لو احتيج اليه اقرب من دلالتها على الاتحاد كان يعتقد انه لا اشرف من الاشتغال بالفلسفة وان الصغار لا يمكنهم البداءة فيها فى حداثة سنهم وكذلك الشيوخ لا يليق بهم السآمة منها لان المقصود منها ان يعيش الانسان سعيدا وهذا مقصد كل عاقل والسعادة التى يتكلم عليها الفلاسفة هى السعادة الضرورية يعنى حالة راحة يصلها الانسان بقدرة الهية قال ابيقور انها ليست عبارة عن مجرد لذات الحواس بل هى راحة القلب وعافية البدن فكان يرى ان الخير الكامل هو اجتماع هذين الشيئين فى آن واحد كان يقول الفضيلة هى اقوى الطرق الى معيشة الانسان سعيدا لانه لا شئ احلى من كون الانسان يعيش على مقتضى الحكمة والصلاح ولا يعمل ما يلام عليه ولا يحس فى نفسه باصابة الذنب ولا يؤذى احدا ويصنع الجميل

مهما

مهما امكن فبالجملة لا يهمل من واجبات الحياة شيئا فمن هذا ينتج ان لا سعد الا ارباب الصلاح وان الفضيلة لا تفارق الحياة الهنيئة كان لا يسأم من كثرة مدحه للقناعة وكف النفس عن شهوتها وهذه الصفة الثانية هي دائما سبب صفاء العقل وحفظ العافية بل ربما جبرت خلل العقل او البدن الطارئ وكان يقول ينبغي للانسان تعويد نفسه على اليسير لان هذا اصح الكيمياء وذلك لان الانسان عند جوعه واضطراره يتلذذ بهين الاكل اكثر من ألذ المطاعم وايضا فمهما كانت اغذية الانسان معتادة مجردة عن نفيس الاطعمة كانت اقوى لبدنه فلا يتكدر رأسه بل يستنير عقله ويخلو عن الشغل بمثل ذلك فحينئذ يتفرغ المرء للبحث عن حقائق الموجودات وترجيح بعض الامور على بعض فاذن يكون للولائم اذا صنعت غبا موقع عظيم ويستوي عند الانسان حلول النكبات او يهون عليه تحملها بسهولة بحيث انه يكتفي بما تدعو اليه الحاجة بخلاف من عود نفسه على التعيش بالملاذ والزخارف كان يقول لا يمكن الانسان وان خرق العادة في بذل الجهد ان يتجنب سائر ما يفسد جسمه ويكل عقله تجنبا كليا فاذن لا بد له من تجنب بعض اللذات وان كان مألوفا في نفسه اذا ترتب عليه من المكاره ما يفوق ملايمته للنفس كما ان بعضها وان كان فيه ما ينفر في ذاته يقبل عليه الانسان اذا ترتب عليه خير اكثر من شره كان يقول مخالفا للقيروانيين ان البلادة لذة دائمة وان القوى الباطنية اكثر احساسا وتأثرا من القوى الظاهرية وعلل ذلك بان الجسم لا يتأثر من الالم الا وقته بخلاف العقل فانه يتأثر بالحال والماضي والمستقبل كان يقول ان الروح جسمانية معللا ذلك بانها محركة لاجسامنا مشاركة لها ألما ولذة وانا في حالة ثقل النوم نتيقظ بها بغتة وبها تتغير ألواننا على حسب ما يعرض لها من الحركات والاعراض واثبت انه لا يمكن ان تتعلق بالجسم ما لم تكن جسمانية فكان يتصورها بانها ليست الا منسوجات مادية دقيقة جدا منبثة في جميع اجزاء البدن التي هي جزء

فنسبتها له كالرجل واليد والرأس ومنه ينتج انها تهلك بموتنا وتتفرق كالابخرة المتصاعدة وتفقد الاحساس كما فقده الجسم فاذن لا يخشى من الموت لعدم ايلامه لما ان الايلام منوط بوجود الاحساس والموت اعدام الاحساس فاذن لا نسبة بينه و بيننا لعدم المشاركة والاتصال فتى كنا لم يكن ومتى كان لم نكن وفي الحقيقة متى كان الحي موجودا في الدنيا فالاوفق بالطبيعة ان يريد الاقامة بها بمقدار سروره فيها ولا ينبغي له ان يكون خروجه منها اشق عليه من الانصراف من المائدة بعد الشبع كان يقول قل من يلتذ من الناس بحياته وذلك لان كل انسان يحتقر حالته الراهنة ويأمل ان يكون المستقبل احسن من ذلك فتخترمه المنية على غفلة قبل بلوغ الآمال فهذا موجب شقاء الانسان في حياته فلا احسن من التمتع بفرصة الحالة الراهنة وعدم الوثوق بالمستقبلات ولا ينبغي له ان يعد السعد بمقدار ما عاش من السنين على وجه الارض بل هو ما عاشه منها معيشة هنيئة فكان يقول قصر الحياة مع الهناء خير من طولها مع التكدر وضرب لذلك مثلا بالمأكل فان اللذة ليست في كثرة لحومها التي لم تهيأ تهيأ حسنا بل هي في لذة المطعم وان لم يكن بكثرة فينبغي اغتنام اللذة متى امكنت واما التسلي بانا سنفقد لذات الدنيا بالموت فلا يجدى لانا حين ذاك لا نشتهيها بل لا نحتاجها كما كنا في بطون امهاتنا كان يقول ان من ضعف الرأى خوف الانسان من جهنم وان ما ذكره جاهلية اليونان من انواع عقابات جهنم ككون البعض يعاقب بالجوع والظمأ الدائم والبعض يعاقب بان يدحرج حجرا مستديرا من اسفل جبل الى اعلاه كلما دحرجه عاد اليه والبعض يكلف ان ينضح بدلوه حتى يملأ حوضا متخرقا ونحو ذلك فانما هي خرافات واختراعات للتنبيه على مكاره الدنيا وانه ينبغي للانسان ان يتجنب ما يزعجه مما لا يستعمل الا لتنكيد معيشة الدنيا وتضييع الهناء كان يقول انما ينتج الحرية استواء سائر الاشياء خيرا كانت او شرا عند الانسان وكان يرفض القول بالقضاء والقدر ويقول الاخبار بالمغيبات هوس

لا

لا اصل له لما انه لا يمكن لاحد معرفة المستقبلات الاختيارية الوقوع حيث لا سبب ضرورى لها كان يتكلم على الالوهية مع الجلال والادب ويقول ينبغى للانسان ان لا ينسب للالوهية الا الكمالات وكثيرا ما كان يمنع الناس صراحة ان ينسبوا للاله شيئا لا يليق بمن شأنه البقاء وسائر الكمالات وكان يقول ليس المشرك من رفض الآلهة المعبودة للعامة بل المشرك فى نسبة القبائح اليها كما تنسبه لها العامة وكان يقول ان منصب الالوهية يستحق العبادة لعظمتها وشرف ذاتها فتعبدها بتلك الملاحظة لا خوفا من شرها ولا طمعا فى خيرها وقد ذم هذا الفيلسوف ما عليه العامة من البدع التى اوقعتهم فى اعظم الكبائر وكان دين وطن هذا الفيلسوف يقول بجواز الاعراض البشرية على الآلهة اما هو فكان يرى انها ذوات سعيدة مسكنها اماكن منعمة منزهة عن الرياح والامطار والثلج يحفها هواء طيب ونور ساطع وشغلها التمتع بما هى فيه من النعيم كان ينزهها عن جميع ما يحير البشر ويقول انها لا تتأثر بشئ من افعالنا فلا ترضيها طيباتنا ولا تغضبها سيئاتنا فكان يزعم انها اذا اهتمت بشؤون العالم او ادخلت انفسها فى سياسته وتدبيره تكدرت معيشتها الهنيئة واستنتج مما تقدم ان الادعية والصلوات والنذور ونحوها لا تنفع عندها بشئ وانه لا فائدة للاستعانة بها ولا للسجود بمحاريبها فلا يدفع ذلك شيئا من النكبات التى تقع ولكن يجب على الانسان ان يتلقى الحادثات بطمأنينة بلا عجب كان يقول ليس العقل هو الذى تصور الآلهة وان الخوف الذى جاء للناس مع هدوهم انما يجئ غالبا من المنامات حيث يخيل للانسان انه يرى فيها خيالات عجيبة فيتراءى له ان تلك الخيالات تخوفه وتهدده مع العظمة والكبرياء اللائقين بصورها العظيمة فيتمثل للانسان فى نومه انه يراها تفعل امورا عجيبة ولما كانت هذه الخيالات تتكرر فى جميع الازمان وكان كثير من الآثار يظهر انه مجهول الاسباب توهم كثير من ارباب المعارف الهينة فى كثير منها كالشمس والقمر

والنجوم لما رصدوها ورأوا حركاتها المنتظمة ان هذه الخيالات الليلية ذوات ازلية قادرة وجعلوها قارة فى وسط الفلك حيث يشاهد نزول الصواعق والبرق والبرد والمطر والثلج وجعلوها رئيسة تسيير هذا الفلك العجيب الذى هو دولاب الدنيا ونسبوا اليها كل ما جهلوا اسبابه من الآثار فعلى ما زعمه هذا الفيلسوف ان هذا كله هو سبب اتخاذ المحاريب والمعابد وعلى ما زعمه ايضا فسائر العبادة التى تؤدى للآلهة لا اصل لها الا ما ذكره قبل واما الاماكن العجيبة التى يعتقد اليونان انها مقام تلك الآلهة فهى كما قاله « لوفريقه » عن ايفور انها لا يمكن تصور ان بينها وبين قصور الدنيا ايا كانت مشابهة لان الآلهة حيث كان جوهرهم لطيفا لا يمكن العقول ادراك كنهه يلزم ان يكون بين اماكنهم وبين جواهرهم مناسبة فى اللطف اتفق سائر الفلاسفة على انه على حسب ما جرت به عادة الطبيعة لا يصدر موجود عن معدوم ولا يؤول موجود الى العدم لما قد صح بالتجربة ان الاجسام يتكون بعضها من آثار بعض فينتج من هذا ان لها سببا عاما وهذا السبب هو الذى يسمونه مادة اولية واختلفوا فى بيان هذه المادة الاولية فزعم ايفور انها الذرات يعنى اجسام دقيقة بسيطة فزعم ان سائر الاجسام تتركب منها وذهب ايضا الى اصل ثان غير الذرات وهو الفراغ ولكن لم يجعله اصلا لتركيب الاجسام وانما يقول انه اصل لحركاتها لانه لو لم يكن للفراغات الصغيرة انتشار فى جميع الاجسام لم يمكن تحرك شئ بل كانت اجرام المادة تبقى متلاصقة ببعضها كالصخرة الواحدة فلا يتولد عنها شئ كان يقول بقدم هذه الذرات وانه لا يعقل عدد صورها وان امكن حصره ولكن لكل صورة من هذه الصور ما لا يحصى من الذرات وزعم ان زنة الذرات هو السبب فى حركاتها فبتصادمها تشتبك ببعضها وان اختلاف طرق ترتيبها وانتظامها يتولد عنه ما نشاهده فى الكون من الآثار المختلفة من غير ان يكون شئ من هذه الآثار معلولا لعلة غير تلك المصادمة التى تقع بين عدة مقادير من الذرات مختلفة

الصور

الصور وكان يشبه هذه الذرات بحروف المبانى حيث يحدث عنهـا كلمات مختلفة على حسب اختلاف المادة التى تتركب منهـا الكلمات فى الحروف مثلا كلمة «بكر» و« ركب » و « كربوريك » كلمات مختلفة مع اتحاد حروفها وليس اختلافها الا من اختلاف هيئة التركيب بالتقديم والتأخير فكذلك الذرات التى يتقدم منهـا بعض الاجسام اذا كانت مرتبة على وجه معين تكون منها صورة كذا واذا رتبت على وجه آخر تكونت منها صورة اخرى ولكن مع ذلك فلا يقول بان جميع الذرات ايا كانت صالحة للدخول فى تركيب سائر الاجسـام ايا كانت فمن الظاهر ان الذرات التى تكون فرو الصوف لا تصلح ان تكون الالماس كما نشـاهد ان كثيرا من الكلمات يباين غيره فى سـائر حروفه كان يزعم ان هذه الذرات الصغيرة دائمة الحركة وهذا هو العلة فى كون ما فى الوجود من الحوادث لا يدوم بحـالة واحدة بل يصغر تارة و يعظم اخرى بما ينضم اليه مما نقص من الآخر وبعضها يقدم والآخر يأخذ فى الزيادة والقوة يوما فيوما فبناء على ذلك لا يمر على الشئ الواحد الا زمن واحد وكلما اخذ فى الفساد انتزعت منه اجزاء وانضمت الى اخر وصنعت فى العادة جسما يخالف ما تحللت منه فبهذا لا يفسد شئ ابدا وان لم يبق الا زمنا واحدا وانما يتراءى ان الشئ يؤول للزوال كأنه انعدم بالكلية وكان ابيقور يزعم انه مر على الذرات زمن وهى متفرقة ثم اجتمعت مصـادفة واتفاقا ولا تزال تتكون منها دنيـا وبزوالها تتكون غيرها وهكذا وهذا الزوال اما بواسطة نار كما اذا دنت الشمس جدا من الارض فاحرقتها واما بهزة مهولة تقلب جميع الاشـياء وتفسد دولاب العالم وبالجملة فهلاك كل دنيـا يحصل بسبب من اسبـاب عديدة ولكن من آثار الهالكة تتركب دنيا اخرى نشرع حالا فى توليد حيوانات جديدة بل الظاهر ان الدنيا التى نحن بهـا الآن انمـا هى اجتمـاع آثار ما بقى من حوادث مهولة وقعت فى سـالف الازمان كما يشهد لذلك ما يشـاهد فى البحـار من المهاوى التى لا قاع لها وسـلاسل الجبـال

الشامخة وطبقات الصخرات الطويلة العريضة المختلفة الاوضاع المتباينة التقاطع و يشهد لذلك ايضا اختلاف ما بباطن الارض من المعادن والانهر التي تحت الارض والبحيرات الكامنة فيها والمغارات والكهوف و يشهد لذلك ايضا ما فوق سطح الارض من التقاطع فانك تجدها مشقوقة بالبحار والبطائح والبوغازات والجزائر والجبال وكان يزعم ان العالم لا نهاية له وان هذا العالم العظيم لا وسط ولا اطراف له وان اى نقطة تتصورها في العالم فانه يبقى علينا ايضا اماكن اخر تقطع ولا يوجد له آخر وكان يقول من الجنون تمدح الانسان بان الدنيا خلقت محبة للناس بل الظاهر ان الآلهة بعد ما مكثوا زمنا طويلا في الراحة استحسنوا ان يغيروا حالتهم الاولية بغيرها وكان يقول ان الارض قد تولد منها في ما سبق اناس وحيوانات اخر كما يتولد عنها الآن الفيران وبنات عرس والديدان وسائر الحشرات وكان يزعم ان الارض في ابتدائها وقت ما كانت جديدة كانت سمينة نطرونية فلما صارت الشمس تسخنها شيئا فشيئا تغطت بالاعشاب والاشجار الصغيرة ثم ارتفع على سطحها نفاطات وخراجات على شكل الفقاقيع و بعد مدة كافية لنضجها انفتحت جلدتها العليا وخرج من تحتها حيوان صغير صار يتحرك شيئا فشيئا ذاهبا من الاماكن الرطبة التي تولد منها ودخله النفس فيها وكان يقطر من هذه الاماكن جداول من اللبن لغذاء هذه الحيوانات الصغيرة ومن هذه الحيوانات الكثيرة الاصناف عدة عجيبة الخلقة سيئة التركيب فمنها ما لا رجل له ومنها ما لا فم له ومنها ما لا رأس له ومنها ما اعضاؤه ملتحمة بهيكل بدنه بحيث ان كثيرا منها فقد من عدم قدرته على التقوت بنفسه او لعدم امكان تحصيل النسل الذى يكون من اجتماع الذكر بالانثى فلم يبق منها الا ما كان حسن التركيب وهى الانواع الموجودة الآن كان يقول ان في مبادى الدنيا لم تكن الحرارة والبرودة واختلاف الامزجة شديدة كما هى الآن بل كانت في مبدأ امرها كغيرها في الانتظام والناس الذين

الذين خرجوا من الارض كانوا وقت خروجهم منهـا اقوى مما نحن عليه الآن فكانت اجسامهم مغطاة بالشعر الخشن مثل شعر الخنـازير ولم يكن عندهم تألم من ردئ المأكول ولا من فساد الهواء والفصول ولم يكن من عادتهم اللبس بل كانوا ينامون عرايا على اديم الارض فى اى محل ادركهم الليل به وكانوا يتقون المطر بالاشجار الصغيرة ولم يكن لهم فى ذلك الوقت ائتناس ببعض بل ولا اجتماع بل كان كل احد لا يعرف غير نفسه ولا يشتغل الا بخاصة راحتهـا وقد تولد من الارض ايضا غابات اشجارها دائمة النمو فاول ما ابتدأ الناس يتغذون بثمر البلوط وثمر الاشجـار الصغيرة والثمرات الرديئة وكان لهم احيانا منـازعات مـع الخنـازير والسبـاع فاخذوا يجمعون طوائف ليتقوا ضرر هـذه الحيوانات الوحشية وابتنوا لهم اخصاصا صغيرة وشرعوا يصطادون الحيوانات ويتخذون جلودها ثيابا يلبسونها ثم اختار كل واحد منهم لنفسه امرأة وعاش معها معيشة خصوصية فتولد منهما اولاد وبمداعبة الآباء مع ابنائهم خف توحشهم ولان جانبهم فهذا اصل الائتلافات والتأنسات والجمعيات البشرية ثم ائتلف الجار بالجار وانقطعت عداوة كل لصاحبه وكانوا اولا يقضون اغراضهم بالاشـارة بالاصابع الى الاشيـاء ثم اختـرعوا للسهولة بعض اسمـاء للاشيـاء مصـادفة ثم ألفوا لغة خشـنية يستعملونهـا فى افادة بعضهم بعضا ما فى ضميره كان يقول انهم قبل ظهور النـار كانوا ينضجون ما احتاج النضج بحرارة الشمس فكانوا ينضجون فيهـا لحوم الصـيد فنزل برق من السمـاء ذات يوم فاحرق بعض اشيـاء دفعة واحدة فالنـاس الذين عرفوا منفعة النار عوضا عن ان يطفئوها لم يتفكروا الا فى حفظها فكل انسان اخذ منهـا فى خصه شـيئا لاستعماله فى تنضيج مأكولاته ثم بنـوا بعـد ذلك مدنا واقتسموا الارض بلا مسـاواة بل اخذ الذين لهم قوة وشجاعة اكثر من غيرهم وجعلوا انفسهم ملوكا واكرهوا غيرهم على طـاعتهم وبنوا لهم قلاعا وحصونا لاجل ابعـاد هجوم واغارات من جاورهم وكانوا

فى ذلك الوقت لا يدافعون عن انفسهم الا بايديهم واظافرهم واسنانهم وبالاحجار او العصى فهذا هو سلاحهم الذى كانوا يستعملونه عند المنازعة و بعدما احترقت عدة غابات بسبب مجهول وجدوا معدنا يجرى فى عروق الارض الى حفر صغيرة فيتجمد فيها فتعجبوا من بهجة هذا المعدن واستنتجوا من ذلك انه بواسطة النار يمكنهم ان يعملوا منه ما يشاءون ولكن لم يتذكروا فى اول الامر الا عمل الاسلحة وكانوا فى هذا المعنى يختارون معدن النحاس على الذهب لان اسلحة الذهب كانت دون اسلحة الحديد فى القطع ثم صنعوا من النحاس لجم خيلهم وآلة حراثتهم وكل ما احتاجوا اليه وقبل ظهور الحديد كانوا يتخذون الملابس من قطع الاشياء المختلفة و يربطونها ببعضها قطعا قطعا فلما وقفوا على منافع هذا المعدن وما يصلح له عرفوا وسائط اتخاذ الاقمشة من خيط الصوف و الكتان لاجل راحة انفسهم اما بذر الارض فقد عرفوه من طبيعة الارض حيث ان الناس فى ابتداء الدنيا رأوا ان ثمر البلوط الذى يسقط من شجره على الارض يتولد منه اشجار تشبه اصله فلما ارادوا زرع البلوط ببعض الاراضى بذروا بها ثماره وقاسوا على ذلك بقية النباتات فكل انسان صار يبذر ما يحتاج اليه على منوال ما رآه ولما كان النبات يطيب بطيب حراثة الارض شرع كل انسان فى الاجتهاد العظيم فى الفلاحة والى هذا الزمن القوة والمهارة هى التى كانت جارية وبمجرد ما تعاملوا بالذهب وافتتن الناس به صار كل لا يتفكر الا فى كنزه وادخاره فاغتنى كثيرهم بهذه الواسطة وترك الناس التعلق والميل الى الملوك السالفة وقصروا ميلهم على الاغنياء وقتلوا الملوك ومن ذلك الوقت صار الحكم للرعايا فى انفسهم فاسسوا شرائع وقوانين واختاروا لهم قضاة وحكاما لاجل التمسك بها وتدبير المصالح العامة فكلما فقدت هذه الامم توحشهم زاد ائتناسهم ببعض وشرعوا يدعون بعضا للمآكل والمشارب وكانوا بعد تمام الاطعمة يلذذون انفسهم باستماع اغانى الطيور ويبذلون جهدهم فى تقليدها

ويؤلفون

و يؤلفون مغانى على الاهوية التى يسمعونها من الطيور ثم لما سمعوا للرياح هديرا لطيفا فى داخل القصب كان هذا حاملا لهم على اختراع المزامير ولما تعجبوا من الاجسام السماوية حملهم ذلك على الاجتهاد فى تعلم الهيئة ثم لما داخلهم الطمع والحرص فى اخلاقهم شرعوا يحارب بعضهم بعضا لينتزع كل ما فى يد خصمه فنشأ من ذلك شعراء ينظمون ما كان يصدر فى تلك الوقائع العظيمة من الحسن وغيره وكثرة البطالة التى سلكوها فيما بعد كانت سببا لتبحرهم فى اتقان الفنون التى حملتهم الضرورة على وضعها بل ربما اخترعوا فنونا ليست ضرورية حملهم عليها قصد الترفه وحسن الحال واما كون الارض الآن لا يتولد عنها آدميون ولا سباع ولا كلاب فقد اجاب عنه ابيقور بان صفة الولود التى كانت قائمة بالارض انقطعت وصارت الارض عقيمة كالمرأة المسنة فانها لا تلد وان الارض التى لا تحرث تكون فى اول اعوام احيائها بحيث يخرج منها اكثر مما يخرج منها فيما بعد واننا اذا قلعنا اشجار غابة فان قرار الارض لا يخرج منه اشجار مشابهة لما نزعناه بل اشجار اخر تخبث عن اصلها مع الصغر والوحاشة كالشوك ونحوه ولا مانع من انه لم تزل الارض تلد الى الآن ارانب وثعالب وخنازير وغيرها من الحيوانات ولكن هذا يحصل فى الاماكن المتباعدة عنا فلا نعرفه فلهذا لا تظن وقوعه وكذلك لو لم نر اصلا من الفيران الا ما تولد بين الفيران لظننا ان الفيران لا تتولد من الارض بلا توسط ذكر وانثى ولما اختلفت الفلاسفة فى الطرق التى يتوصل بها الى معرفة الحقيقة قال ابيقور اعظم طريقة توصل الى ذلك هى الحواس واننا لا نعرف شيئا الا باخبارها ولا شئ لنا نميز به الصحيح من الباطل غير الحواس وكان يقول ان الذهن فى مبدأه لم يكن فيه تصور شئ بل كان كلوح خال لا شئ به فلما تكونت الجوارح الجسمانية تواردت عليه المعارف تدريجا بواسطة الحواس فصار قابلا للتفكر فى الاشياء الغائبة ولا مانع من كونه يخطئ حيث انه يتصور

الغائب حاضرا بل ربما تصور ما لا وجود له بخلاف الحواس فانها لا تدرك الا الاشياء الحاضرة حال حضورها فلذلك لا تخطئ ابدا في وجود الاشياء ولهذا كان من الجنون ان الانسان في صورة الخطأ لا يستعين بالاستخبار من حواسه لاجل ان يستعين بالبراهين على صدق فكره او كذبه وللفلاسفة في تفسير الابصار عدة طرق فقال ابيقور انه دائما يخرج من جميع الاجسام مقادير كثيرة من السطوح الصغيرة المشابهة لنفس الاجسام في هذه السطوح الصغيرة تملأ الهواء وبواسطتها ندرك الاشياء الظاهرة المحسوسة وكان يزعم ان الشم والحر والصوت والنور وغيرها من الاوصاف المحسوسة ليست مجرد ادراك للروح بل جميع هذه الاشياء في الحقيقة ليست جزءا من الانسان بالكلية وانما هي امور خارجية في الواقع كما هي كذلك في الظاهر فهي مقدار من المواد مصور ومهيأ للتحرك على وجه خاص هو الشم والحر والصوت والنور فهي مستقلة خارجة عن جميع الحيوانات مثلا الاجزاء الصغيرة التي تنفصل من اجزاء روضة تملأ الهواء حول تلك الروضة بمشموم ذي رائحة لطيفة هي التي يشمها المار بها واذا ضربنا ناقوسا فان الهواء المحيط به يمتلئ بصوت حاد مشابه لما نسمعه حينئذ واذا اشرقت الشمس ظهر في الهواء نور ساطع شبيه بما نراه وقتئذ واما كون الشئ الواحد يظهر مختلفا لحيوانين مختلفين فما ذاك الا من اختلاف شكل باطن هذين الحيوانين مثلا ورق الصفصاف مر في فم الانسان حلو في فم المعز فهذا دليل على كون داخل الانسان والمعز لا تماثل بينهما الفلاسفة الاسطوانيون مع ما هم عليه من التشديد والصعوبة والتعاظم حصلت لهم غيرة عظيمة من كثرة تلامذة ابيقور ومن احبابه الذين كانوا يتعلقون به دائما وان كانت طريقته مخالفة لطرائقهم فمن الغيرة بذلوا جهدهم في ابطال طريقته حتى انهم ذكروا في كتبهم كلاما قبيحا سبا له فكان هذا سببا في كون اتباعه بعد موته ظنوا نقصه مع انه كان على طريقة مستقيمة ومعيشة منظومة قد مدح « اجربجوار » عفة ابيقور فقال

ابيقور

قال ابيقـور ان اللذة منتهى اغراض الناس بافعالهم ولاجل ان يثبت انها ليست عبارة عن مطلق لذة الحواس بل هى استقامة الحال عاش دائما غير عفيفا منهمك على اللذات ليثبت قوله بالفعـل كان لا يحب الدخول فى حكام الجمهورية بل كان يؤثر راحة المعيشة على زحمة الحكم وتصوير الاثينيين صورته فى اشهر اماكنهم دليل على احترامه وتبجيله وكان كل من اجتمع به لايفارقه الا مترودروس فانه تركه لاجل تلقى العلوم بمدرسة « كرنياد » ولكنه لم يمكث فيها الا نحو ستة اشهر ثم عاد الى ابيقور ومكث معه حتى مات وكان موته قبل موت ابيقور بمدة قليـلة وبقى مكتبه بعـد موته كما كان حال حيـاته حتى فى زمن ما هجرت المكاتب الاخر ولما بلغ من العمر ثنتين وسـبعين سنة مرض بمدينة اثينا التى كان مستمرا على التعليم فيها وكـان داؤه حصر البول وكان يؤلمه ألمـا شـديدا فتصبر عليه فلمـا احس بانه قد حان وقتـه وقرب هـلاكه وموته اعتق جـلة من عبيده وفرق امواله واوصى بان يعمل ليوم ولادته وولادة اهله موسم فى كل سنة فكان ذلك الموسم يوافق عاشر شهر« جامليون » واعطى بستانه وكتبه لهرماقوس ميطلين الذى جعله خليفة بعده وشرط ان تعطى كذلك لكل خليفـة بعـده وكـتب لايدومينى هـذا الخطاب ونصه ها انا الآن بفضل الله تعالى فى آخر يوم سعيد من عمرى وانى معذب بدائى الذى يرعى مثانتى واحشـائى اكلا لا يتصور اقسى منه ومع ما اذوقه من هذه الآلام فانى اتسلى واتصبر حين اتذكر البراهين التى زينت بها علم الفلسفة فارجو منك اعتمـادا على ما ظهر لى من حبك لى ولمذهبى ان تسـتوصى باولاد مترودروس ثم انه بعـد ان مضى عليه وهو فى المرض اربعة عشر يوما ذهب الى حمـام حار قصدا فلما دخله طلب كاسـا من نبيذ صاف فشرب به فمات حالا واوصى احبابه وتلامذته الحاضرين عنـده ان لا ينسـوه ولا ينسـوا اصول مذهبه وكانت وفاته فى السنة الاولى من الاولمبياد السابع والعشرين بعد المائة وحزن على فقده جميع الاثينيين

﴿ تاريخ زينون الفيلسوف ﴾

كانت وفاة هذا الفيلسوف فى الاولمبياد التاسع والعشرين بعد المائة وكان شيخ الفرقة الاسطوانيين وكان من مدينة «قيتيا» بجزيرة قبرص وفى ابتداء امره قبل الشروع فى شئ ذهب يتفاءل من بعض الكهنة لاجل ان يفهم ما الذى يفعله حتى يعيش سعيدا فاجابه الكاهن بابهام وقال له لا بد ان لونك يصير كألوان الموتى ففسره زينون بان معناه انه يتعلق بقراءة كتب الاقدمين واعتقد ذلك فابتدأ فى القراءة وبذل جميع جهده اتباعا لاشارة الكاهن كان ذات يوم آتيا من مدينة «قيتيا» ومعه شئ من ارجوان الصوريين فكسرت السفينة التى هو بها وتلف ما كان معه بمينا «پيرى» فحصل له غم عظيم من تلك الخسارة فجاء الى مدينة اثينا فدخل عند بياع كتب وابتدأ فى قراءة المقالة الثانية من كتاب زنفون ليسلى غيظه فحصل له من قراءتها سرور عظيم ازال تكدر خاطره فسأل الكتبى عن مسكن هؤلاء الناس الذين يتكلم عليهم زنفون واذا باقراطيس الكلبى مارا بالمصادفة على غفلة فاشار الكتبى الى الكلبى باصبعه وقال لزينون اتبع هذا الرجل وكان سن زينون فى ذاك الوقت ثلاثين سنة فتبع اقراطيس وكان هذا اول يوم صار فيه تلميذا له وكان زينون شديد الحياء والخجل فلذلك لم يمكنه ان يتعود على طريق الكلبيين فلما رأى اقراطيس ان هذه الطريقة تشق عليه اراد ان يقوى عزمه عليها فاعطاه ذات يوم قدرا ممتلئة عدسا وامره ان يدور بها فى طرق مدينة «سبراميقه» فاحمر وجه زينون من شدة الخجل بسبب ذلك فاختنق به خشية ان يراه احد وهو على هذه الحالة فقال له اقراطيس لاى شئ هربت يا مكار مع ان هذا لا ضرر عليك فيه وكان زينون يحب علم الفلسفة وكان دائم الشكر للدهر على غرق امواله فى البحر وكثيرا ما كان يصيح قائلا ما اطيب الهواء الذى غرقنى حيث آل بى الى طيب واستمر يقرأ على اقراطيس اكثر من عشر سنين

سنين من غير ان يمكنه التخلق بقلة حياء الكلبيين ثم لما اراد ان يترك معلمه ليذهب الى استيلفون الميغارى ليتلقى عنه العلوم جذبه اقراطيس من عباءته وحجزه قهرا عنه فقال له زينون يا اقراطيس ان الفيلسوف لا يحجز بامساك اذنه فأقم لى برهانا على ان طريقتك احسن من طريقة استيلفون فان لم تحقق لى ذلك يكون عندك فى الحقيقة جسمى وعقلى يكون دائما عند استيلفون مكث زينون عشر سنين اخرى عند استيلفون واكسينوقراط وبوليمون ثم بعد ذلك خرج واسس له مذهبا وعما قريب انتشرت شهرته فى سائر بلاد اليونان وصار فى زمن قليل احسن فلاسفة جميع البلاد وهرع اليه كثير من الناس من سائر الجهات للتلقى عنه والتلمذة ومن حيث ان زينون كان يعلم التلامذة جالسا بايوان ذى اعمدة سميت فرقته الاسطوانيين كان الاثينيون يفتخرون به جدا حتى جعلوه امين مفاتيح البلدة وشيدوا له صورة واهدوا اليه تاجا من الذهب وكان السلطان انطيغونوس يمدح ويستحسن دائما هذا الفيلسوف ولا يمكن ان يأتى مدينة اثينا الا ويذهب الى سماع درسه وكان فى اغلب الاوقات يأتى الى زينون ويأكل معه او يأخذه للاكل معه عند ارسيتوقلى الآلاتى ولكن زينون ألزم نفسه ان لا يجتمع معه فيما بعد فى وليمة ولا جمعية عامة لتدوم الحشمة بينهما ثم ان انطيغونوس بذل جهده فى جلب زينون اليه فطلب ان يسامحه من ذلك السفر وارسل عوضا عنه بيرسيوس وفيلوميد وكتب له معهما جوابا صورته انه حصل لى غاية الفرح والسرور من حبك واشتياقك للعلوم وانه لا يصلح لردك عن لذة حواسك ويدعك تتبع الحقائق الا حب الفلسفة وقال فيه ايضا انه لولا كبر سنى وقلة عافيتى منعانى عن الخروج لاتيتك كما تشتهى ومن حيث عدم امكان ذلك قد ارسلت اليك اثنين من اعظم اصحابى مماثلين لى عقلا ومذهبا واشد منى قوة فاذا كلمتهما بجد واتبعت ما يعلمانه لك من الاصول الفلسفية رأيت انك لا تفقد شيئا من السعد الكامل كان زينون طويل القامة نحيف الجسم شديد سواد

الجلد فلذا لقب بالنخلة المصرية وكان رأسه مائلا على كتفه وكان غليظ الرجلين مريضهما يلبس دائما خفيف الاقمشة التافهة القيمة وكانت معيشته غالبا بالقليل من الخبز والتين والعسل والنبيذ الحلو ولم يأكل مطبوخا اصلا وكان ماسكا بازمة هواه وشهوته بحيث انهم اذا ارادوا ضرب المثل بعفة احد قالوا انه اعف من زينون وكان يمشي بتؤدة وهيبة وكان حاد الفطنة صعب الاخلاق واذا تكلم عبس جبهته ولوى فمه ومع ذلك فكان اذا حضر فى محفل حظ يكون طلق الوجه بشوشه ويحظ الحاضرين ولما كان يسأل عن سبب هذا التغير يقول ان طبيعة الترمس المرارة ولكنه اذا نقع فى الماء مدة حلا كان وجيز العبارة واذا سئل عن سبب ذلك يقول على العاقل اختصار كلامه ما امكن وكان اذا اراد توبيخ احد قصر فى الكلام مع الكناية والتعريض حثه ذات يوم شاب على جواب قضية لا يسع جوابها عقل هذا الشاب فاحضر له زينون مرآة فلما نظر الشاب وجهه فيها قال له زينون هل رأيت هذه الصورة تقبل مثل جواب هذه الاسئلة كان يقول ان تمويهات الخطباء مثلها كمثل دراهم سكندرية حسنة الظاهر خسيسة المعدن وكان يقول ان اضر ما يظلم به الشبان تربيتهم على الفخار انما اللائق تربيتهم على الادب وعلى فعل ما يليق فان الحكيم قافزيوس لما رأى ذات يوم احد تلامذته محشوا بالكبر صفعه وقال له ان تعاليك لا يتسبب عنه صلاح حالك فاما صلاح حالك فيتسبب عنه رفعتك على غيرك كان اذا قيل له ما تعريف صديقك يقول من كان اياى وكنت اياه ذهب ذات يوم فى وليمة كانت عملت لرسل الملك بطليموس فالتزم الصمت وقت الاكل فعجب الرسل من ذلك وسألوه أتريد تبليغ شئ عنك الى الملك فقال بلغوه انا رأينا انسانا يعرف الصمت هؤلاء الاسطوانيون كانوا يرون انه ينبغي لكل انسان ان يعيش بمقتضى الطبيعة على معنى ان لا يفعل ما يخالف حكم العقل الذى هو قانون عمومي مشترك بين جميع الناس وانه ينبغي لكل

احد

احد التمسك بالفضيلة لذاتها لا لما يترتب عليها من ثواب فانها بذاتها كافية في اسعاد المرء فمن تمسك بها تمتع بكمال الراحة ولو احاط به التعب الشديد وانه لا نافع الا ما كان صلاحا ولا نفع في الذنب وان تنزيه الحواس بالشهوات لا يعد من الخير في شيء لانها مدنسة للمرء ولا خير في المدنس وان الحكيم لا يخاف شيئا ولا يتزين بشيء لانه قد استوى عنده الفخار والعار انما طبع الحكيم شدة الاخلاق وصفاء الباطن ولا يمنع من شرب النبيذ ولكن لا يشرب حتى يصل حد السكر مخافة ان يضيع لحظة من عمره مع الخلو عن استعمال العقل وينبغي للعاقل تعظيم المعبود وتقريب القربان له واجتناب الفساد بانواعه وان الحكيم دون غيره هو الذي يعرف ان يحب وانه ينبغي له ان يدخل نفسه في مصالح الجمهورية لابعاد ذميم الخصال عنها وحث الاهالي على حميد الخلال لانه دون غيره هو الذي يميز الحق من الباطل وانه مختص دون غيره بانه لا يميل ولا يضر احدا ولا يعجب من شيء مما يعجب منه غيره كان يقول ان جميع الفضائل مشتبكة ببعضها بحيث لا يتم لاحد فضيلة من الفضائل ما لم تكمل له سائرها وانه لا واسطة بين الفضيلة والرذيلة لان الامور حيث انقسمت الى معوج ومعتدل فكل عمل اما خير واما شر بلا ثالث عاش زينون حتى بلغ من العمر ثماني وتسعين سنة ولم تصبه فيها علة وحصل التأسف على موته ولما سمع بوفاته السلطان انطيغونوس تأثر عليه وقال اواه من تلك الخسارة التي خسرتها فسئل عن سبب اعتبار هذا الفيلسوف فقال ما ذاك الا لاني مع كثرة ما اهديت اليه لم تدنسه الهدايا بالذل لي وترجى هذا السلطان الاثينيين ان يكون مدفن هذا الفيلسوف بقرية قيرميق كما تأسف عليه السلطان تأسف عليه الاثينيون اكثر منه واكابر اهل الحل والعقد مدحوه على رؤوس الاشهاد بعد موته ولاجل ان يكون

امر فضيلته محققا عند الناس خاليا عن الشك مسجلا فى صحيح التواريخ نشروا بين الناس ما صورته

﴿ الحكم على زينون ﴾

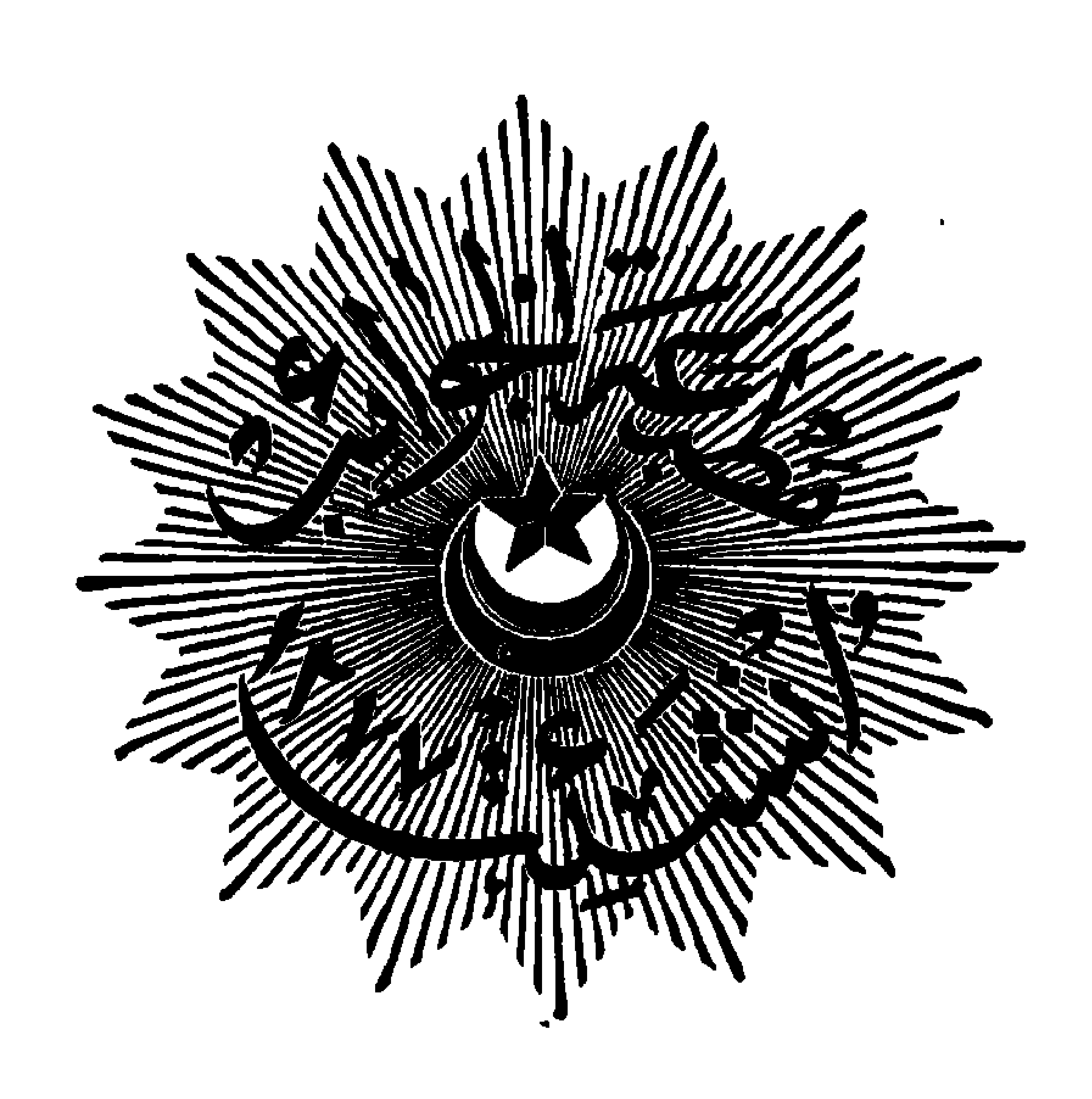
بحيث ان زينون بن امناسى الذى هو من مدينة « قيتيا » مكث بمدينتنا هذه عدة سنوات لتعليم الفلسفة واستبان انه رجل من اهل الاستقامة فى جميع الاشياء وانه كان دائما يحث تلامذته على سلوك طرق الفضائل وسلك طول عمره على موجب الاصول التى كان يعلمها استحسن نظر الاهالى مدحه على رؤوس الاشهاد واتحافه بتاج من الذهب استحقه لاستقامته وورعه وان يشيد له قبر بقرميق من بيت المال وقد استحسن نظر الاهالى انتخاب خمسة انفار من اهالى مدينة اثينا لمباشرة عمل هذا التاج والقبر وان ديوان الجمهورية ينقش هذا الحكم على عمودين احدهما بالمدرسة الافلاطونية والثانى بالمدرسة الارسطاليسية وان الدراهم اللازمة لهذا العمل كله تسلم حالا لمباشرة مصالح الجمهورية حتى يعلم كل الناس ان اهالى اثينا يشرفون ارباب الفضل احياء وامواتا انتهى وكان صدور هذا الحكم مدة ما كان ارهينيداس من ارباب مشورة اثينا المسماة مشورة الاراخنة بعد موت زينون بمدة يسيرة هذه كيفية انتهاء اجل زينون الفيلسوف يقال انه بينما هو خارج من مكتبه ذات يوم انصدمت اصبعه فانكسرت فتفاءل من ذلك بالموت عن قرب فضرب حالا الارض بيده وقال لها أتطلبيننى ها انا حاضر غير متوان ولا متأخر ولم يلتفت لمعالجة اصبعه بل تعجل الموت بخنق نفسه مع السكون والطمأنينة وكانت مدة اشتغاله بالتعليم ثمانى واربعين سنة مع الدوام بلا فتور واما ابتداء اشتغاله بتعلم الفلسفة على اقراطيس الكلبى فكان قبل وفاته بثمانى وستين سنة

﴿ انتهى تاريخ زينون وهو آخر ترجمة كتاب الفلاسفة ﴾

﴿ تم تاريخ الفلاسفة وهو منقول من الطبعة الاولى المطبوعة فى مطبعة ﴾
﴿ بولاق سنة ١٢٥٢ وكان الفراغ من طبعه فى اوائل شهر ﴾
﴿ ذى الحجة من سنة ١٣٠٢ هجرية على صاحبها ﴾
﴿ افضل التحية فى مطبعة الجوائب ﴾
﴿ بالاستانة العلية ﴾

طبع برخصة نظارة المعارف الجليلة
تاريخ الرخصة ٢٤ ذى الحجة ١٣٠١ وعددها ٥٩١





فهرسة كتاب تاريخ الفلاسفة

صفحة

صحيفة